الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة السانيا – وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية وعلم الآثار **قسم التاريخ**

زدور إبراهيم القاسم المهاجي
1923 – 1954

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبة:
- **جيلالي حورية**

تحت إشراف :
الأستاذ الدكتور **مهديد إبراهيم**

- جامعة وهران 2008 -

إهداء

إلى الوالدين الكريمين، أعاننا الله على إرضائهما.

كل إخوتي وأخواتي أمدهم الله بالصحة والعافية.

كل أفراد أسرتي وفقهم الله.

إلى عائلة جيلالي وقدور.

وكل طالب للعلم.

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور مهديد إبرهيم، الذي كان مشجعي ودافعي للبحث، بتوجيهاته المنهجية وإرشاداته العلمية. جازاه الله خيرا وأعانه على مواصلة نشاطه وبلائه الحسن في البحث العلمي.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي الذي كان مشرفا علي في بداية هذا البحث، وإلى كل أساتذتي في قسم التاريخ. وأخص بالذكر الحاج محمد زدور الذي أعانني على إنجاز هذا العمل.

جيلالي حورية

المختصرات

ج : الجزء

ص : صفحة

ط : طبعة

م : مجلة

ح.ش.ج (PPA) : حزب الشعب الجزائري

ح.ا.ح.د : حركة الانتصار للحريات الديمقراطية

ج.ع.م.ج : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

م.ت : المجلة التاريخية

DST : إدارة حماية الأرض Direction de la Sécurité du territoire

إ.ع.ط.م.ج (UGEMA) : الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين

ج.ط.م.ش.إ (AEMAN) : جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا.

م.إ.د : مركز الإعلام والدراسات

(م.أ.و.و) : مديرية الأرشيف لولاية وهران

المقدمة

ظهر بالجزائر ومنذ الاحتلال الفرنسي أعلاما عبروا كل بطريقته وفي مجاله عن رفضهم للاحتلال وأساليبه القمعية. فظهر العالم المفكر والسياسي المحنك، والمناضل البطل، حقق كل نوع منهم المقاومة سواء كانت سياسية، عسكرية أو ثقافية. وقد أبقت هذه الشخصيات على جوانب مضيئة في سيرة نضال هذا الوطن. في هذا الإطار، جاء موضوع هذا البحث الذي يتناول بالدراسة شخصية زدور إبراهيم القاسم المهاجي.

وجاء اختياري لهذه الشخصية لعدة أسباب منها: رغبتي في المساهمة قدر الإمكان بإلقاء الضوء على مسار هذه الشخصية، وسبر أغوارها والكشف عن أهمية الدور الذي لعبته في إطار نشاطها السياسي أولا ثم الثقافي. وقد شجعني على تناول هذا الموضوع انعدام وجود دراسة ولو بسيطة حوله، ما عدا تلك التي تتطرق لمقتله، وحتى الملتقيات التي أقيمت حول "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" لم تكن تتوسع إلا بالشيء القليل حوله. إلى جانب تشجيع الأستاذ الدكتور بلقاسمي بوعلام لي لتناول الموضوع.

وسرعان ما زاد شغفي الخاص بهذه الشخصية التي لم تنل حقها، ورغبتي في فك رموزها، وزاد مسعاي لإبراز مدى الدور الذي لعبته بتواصل البحث فيها. فكان الحديث عن زدور إبراهيم القاسم المهاجي يعني الحديث عن النشاط السياسي بوهران، عن عائلة امهاجة، عن الشيخ الطيب المهاجي، عن مدرسة الفلاح بوهران، عن جامع الزيتونة، عن جامعة دار العلوم، عن مكتب المغرب العربي، عن جريدة المنار، وغيرها من الكلمات المفتاحية لهذه الشخصية. وكان الإطار الزماني للبحث هو الفترة التي عاشها "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" وعاصرها أي من ميلاده سنة 1923 إلى استشهاده سنة 1954، وهي فترة حافلة بالأحداث الوطنية، حيث شهدت ميلاد نجم شمال إفريقيا، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حزب الشعب الجزائري، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وغيرها من الأحداث الهامة. وعلى المستوى العالمي كانت مرحلة لأحداث وتحولات كبرى، مثل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتشكيل هيئة الأمم المتحدة، حلف شمال الأطلسي، ظهور الثورة

المصرية، وغيرها. وهكذا فقد كان دراسة مسار شخصية "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" يعني تتبع الأحداث التي عايشها وأثرت فيه أثناء نشاطه وتنقلاته. ولهذا السبب كان لابد من دراسة عدد من الأحداث الوطنية والدولية وخاصة عندما بدأت بتحليل مقالاته المتعددة.

أما إشكالية الموضوع، فقد كانت مجموعة من التساؤلات التي طرحتها، ومنها من هو "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"؟ كيف كانت مشاركته في أحداث ماي 1945؟ ما هي طبيعة النشاط السياسي الذي كان يقوم به في كل من تونس والقاهرة؟ وما هي طبيعة المهمات التي كان يقوم بها أثناء تنقلاته بين القاهرة ، الجزائر وفرنسا؟ ما السبب الذي جعل السلطات الفرنسية تراقبه وتتبع خطاه؟ ثم تقوم بإلقاء القبض عليه وقتله في تلك الظروف الغامضة؟ ثم ما هي طبيعة المهام التي كان منوطا بها في إطار مكتب المغرب العربي؟ ما هو سبب ربط شخصيات مصرية هامة مثل الجنرال نجيب وعبد الرحمن عزام علاقات واسعة مع طالب جزائري بسيط؟ ما هو النشاط الذي كان "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" يمارسه في إطار النشاط الطلابي بصفته كان طالبا في تونس ثم القاهرة؟ وماذا عن تدريبه العسكري في مصر على يد عبد الكريم الخطابي؟ وما هي أهمية "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" كشخصية جزائرية سياسية وثقافية؟ كل هذه التساؤلات وغيرها حاولت الإجابة عليها من خلال هذا العمل.

وللإجابة عن كل هذه الأسئلة، وفي ظل شح المادة، اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي أحيانا والمنهج التاريخي التحليلي أحيانا أخرى، حيث اعتمدت على تتبع الأحداث التاريخية ثم تحليلها بشكل موضوعي، فكان التمحيص والاستنتاج ثم العرض، إلى جانب التحليل والتعليق على الوقائع، وهو ما ظهر جليا في الفصل الثاني، مع التركيز على ربط الشخصية بالأوضاع السائدة التي أثرت عليه.

كما ركزت الدراسة على الشخصية من حيث تنوع انتمائها فكانت تتبع أحداث سياسية وتاريخية، وتحليلات أدبية. ففي هذا البحث تنقلت بين السياسة والأدب والصحافة مما يدل على كثرة مشارب ومصبات هذه الشخصية وتنوعها.

هذا وقد قسمت هذه الدراسة إلى مدخل وأربعة فصول:

- المدخل : الأوضاع السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية في عمالة وهران فيما بين (1919 – 1954).

- الفصل الأول : أصول وجذور عائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي.
- الفصل الثاني : بداية نشاط زدور إبراهيم القاسم المهاجي السياسي.
- الفصل الثالث : هجرة زدور إبراهيم القاسم المهاجي للدراسة ودوره السياسي 1946 – 1954.
- الفصل الرابع : عودة زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى أرض الوطن عام 1954 وآثاره الفكرية والأدبية.

ففي المدخل حاولت التمهيد للموضوع بحيث تناولت فيه أوضاع عمالة وهران فيما بين 1919 – 1954 مع التركيز على مدينة وهران التي تعتبر مسقط رأس "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" موضوع البحث. ودرست فيه الأوضاع الاقتصادية، السياسية والثقافية بشكل عام في هذه الفترة. ورغم طوله نوعا ما إلا أنه يعطي صورة عن الوضع الذي عايشه "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" وخاصة في سنواته الأولى، كما يضع القارئ في إطار البحث.

وخصصت الفصل الأول للشيخ المهاجي الطيب ورحلاته لطلب العلم، وأهم مراحل حياته، لما كان له من دور في مدينة وهران في مجال التعليم، ثم لكونه المعلم الأول لـ"زدور إبراهيم القاسم المهاجي" ، والمدرسة الأساسية التي تخرج منها، وكذلك إلى أهمية العائلة كونها مهد تكوين الشخصية. وبعدها تعرضت إلى ميلاد وتكوين شخصية "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، وحاولت عرض العوامل التي ساهمت في بلورة شخصيته من أسرة، وعائلة، ومحيط، ومدرسة، ثم إلى تأثر "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" بشخصية والده، وبنجم شمال إفريقيا وأثر ذلك في صقل شخصيته الثقافية، الدينية والسياسية. فكان المبحث الأول حول المهاجي الطيب، ونشاطه في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومدرسة الفلاح. بينما كان المبحث الثاني حول تكون ونشأة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، وبينت في آخر هذا الفصل أهم العوامل التي كونت هذه الشخصية.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لبداية نشاط "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" السياسي، فكان المبحث الأول حول أحداث ماي 1945 بالجزائر وانعكاساتها. بينما كان المبحث الثاني حول مشاركة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" في هذه الأحداث ثم عملية إلقاء القبض عليه، وأهم نشاطاته بالسجن.

وتناولت في الفصل الثالث، والذي يعتبر أطول فصل، نشاط "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" في كل من تونس ومصر. ففي المبحث الأول تتبعت هجرة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" إلى تونس ونشاطه السياسي بها، وحاولت إعطاء صورة عن الأوضاع السياسية بتونس فيما بين 1945 – 1949، وعن جامع الزيتونة لمعرفة الجو الثقافي والسياسي الذي أثر في هذه الشخصية. هذا إلى جانب تتبع أوضاع الطلبة الجزائريين بتونس ونشاط "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" هناك.

أما المبحث الثاني فقد تطرقت فيه لهجرة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" إلى مصر ونشاطه بالقاهرة، حيث حاولت تبيان واقع مصر السياسي في هذه المرحلة والظروف التي عاصرها هناك. ثم تتبعت نشاط مكتب المغرب العربي، بعد التعريف به والدور الذي كان يؤديه في التعريف بالأقطار المغاربية وقضاياها.ثم دراسة دور "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" في إطار هذا المكتب بصفته طالبا ومناضلا جزائريا.

أما الفصل الرابع فكان حول عودة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" إلى أرض الوطن وأهم آثاره الفكرية والأدبية. فكان المبحث الأول حول عملية إلقاء القبض عليه ثم استشهاده وما تبع ذلك من تحقيقات. وتناولت في المبحث الثاني نشاطه الفكري والأدبي، وحاولت فيه إعطاء صورة عن "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" المفكر والصحفي والشاعر والهاوي، وهي صفات اكتشفتها فيه من خلال تتبع مساره، فقد كانت تجربته الصحفية بارزة بصفته صحفيا ومراسلا، وكذا هواياته من شعر وحب للتصوير، بحيث تبين هذه الميزات أهمية هذه الشخصية المبدعة.

وأنهيت هذا العمل بخاتمة كانت حوصلة للموضوع حاولت من خلالها إعطاء تقييم شامل لهذه الشخصية.

ولإثراء هذا البحث اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع التي خولت لي تتبع أهم المراحل في حياة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، وبالدرجة الأولى المصادر الأرشيفية. فقد كان أرشيف ولاية وهران أداة عمل استندت عليها لدراسة أوضاع عمالة وهران بشكل عام ومدينة وهران بشكل خاص بصفتها موطن ميلاد "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، وخاصة السلسلة "I" التي تهتم بقضايا المسلمين، وتركز على الحالة الذهنية بوهران، وغيرها من المواضيع، وهي تصل إلى غاية 1949. هذا إلى جانب أرشيف عائلة "زدور إبراهيم القاسم

المهاجي"، ورغم كونه يحتوي خاصة على شهادات هذا الأخير الدراسية، وبعض الأعمال التي أنجزها أثناء دراسته بالقاهرة، إلى جانب عدد من الصور وكشوفات النقط وغيرها. ومع افتقاره لمعلومات حول نشاط هذه الشخصية إلا أنه كان الركيزة التي اعتمدت عليها.

هذا وقد وظفت المصادر الشفوية والتي تمثلت في شهادة "زدور محمد" شقيق "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" الأكبر، وشهادة الدكتور بوعزيز يحي (رحمه الله) الذي توجه إلى تونس بعد توجه "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" إلى القاهرة. وقد أعطاني صورة عن الأوضاع التي كانت سائدة في جامع الزيتونة آنذاك. إلى جانب شهادة الدكتور الصم منور الذي أفادني كثيرا. هذا بينما تعذر علي وبعد عدة محاولات الاتصال بشخصيات كان من المفروض أن تنير هذا البحث بشهاداتها، كما هو الحال بالنسبة لكل من آيت أحمد وأحمد بن بلة اللذين رافقاه في القاهرة، ومحمد فرحات الذي كان قد عاصره أثناء الدراسة بتونس، وذلك بسبب ظروف مرض ثم وفاة هذا الأخير.

كما كان للمصادر المكتوبة الدور البارز في هذا العمل، ولعل أهم مصدر اعتمدت عليه هو كتاب "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر" لصاحبه الشيخ المهاجي الطيب، الذي أفادني في تتبع وتبيان أخبار هذا الشيخ، وأهمية عائلة امهاجة. كما احتوت خاتمة هذا الكتاب على معلومات هامة حول "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" بن الشيخ المهاجي الطيب، ووجهت خطاي في تتبع سيرته.

إلى جانب كتاب "ذكريات من مكتب المغرب العربي" لصاحبه "إدريس الرشيد" الذي يحتوي على عدة معلومات حول نشاط هذا المكتب. كما اعتمدت على مذكرات "آيت أحمد حسين"، الذي ذكر في آخر صفحة منه معلومات هامة حول دور "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" بالقاهرة، وكذلك مذكرات "عبد الرحمن بن إبراهيم العقون"، و"أحمد توفيق المدني".

أما فيما يخص المصادر المطبوعة، فقد كان مجال الاعتماد عليها واسعا وخاصة في ظل قلة الأرشيف حول الموضوع، حيث اعتمدت بشكل كبير على الحقائق التي نشرت في الصحف كما هو الحال بالنسبة لجريدة صدى الجزائر L’écho d’Alger، وهي يومية تأسست سنة 1882 وكانت تصدر بالجزائر العاصمة، وكذلك يومية Oran Républicain

التي تأسست سنة 1937. هذا إضافة إلى جريدة L’express، وجريدة "المنار" التي تأسست سنة 1951 بالجزائر العاصمة على يد "محمود بوزوزو".

هذا وقد اعتمدت على عدد من المراجع، منها العام والخاص، لإيفاد البحث حقه. الخاصة مثل كتاب "Histoire du nationalisme Algérien" لصاحبه "قداش محفوظ". وكتاب Les étudiants algériens de l’université Française لصاحبه Perville Guy، وكتاب 8 Mai 1945 en Algérie لمؤلفه عيناد ثابت رضوان. ومراجع أخرى مثل كتاب "النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962) لصاحبه الجابري محمد صالح. أما المراجع العامة فمنها كتاب "بريطانيا والعرب لصاحبه محمد عدنان مراد، و"مقدمات ثورة 23 جويلية 1952" لصاحبه الرافعي عبد الرحمن، إلى جانب كتاب "تاريخ الصحافة في الجزائر" لصاحبه سيف الإسلام الزبير، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فقد كان للمقالات المنشورة في عدد من الصحف والمجلات فائدة كبيرة بحيث غطت في كثير من الأحيان النقص في المادة. كما هو الحال لمقال "مولود قاسم نايت بلقاسم" الذي نشره بجريدة المساء. وكذلك مقال "معاشو عبد القادر عبد الجليل" الذي نشره بجريدة Le Quotidien d’Oran. كما كان للمجلات دورا واسعا في هذا المحل أيضا، مثل "مجلة دفاتر التاريخ المغربية" التي يصدرها مخبر تاريخ الجزائر وغرب البحر الأبيض المتوسط، "المجلة التاريخية المغربية"، مجلة "الدراسات الإعلامية" ومجلة "عصور".

أما الصعوبات التي واجهتها في هذا العمل، فكانت قلة المادة المكتوبة حول هذه الشخصية، فمعظم المراجع لا تشير إلا بالشيء القليل عنها. إلى جانب كون النشاط الأكبر لـ"زدور إبراهيم القاسم المهاجي" قد تمركز بتونس ومصر. هذا إضافة إلى سرية مهامه السياسية، واعتماده على الكتمان في أدائها، حتى أن عائلته كانت تجهل طبيعة المهمات التي كان يؤديها. إلى جانب دور السلطات الفرنسية في إخفاء أي معلومة حوله خاصة بالنسبة لظروف وفاته والتصريح بمعلومات من تأليفها. هذا ما جعل الوصول إلى الحقيقة صعب حتى بالنسبة لأفراد أسرته.

كما أن معالجة مثل هذه المواضيع ليست بالأمر السهل، ففي ظل قلة المادة المكتوبة، فكان السبيل الوحيد هو دراسة الإطار العام الذي عاشته الشخصية. كما أن عددا من الذين عرفوا "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" قد أعرضوا أو شحوا في تقديم شهاداتهم حوله، كما هو

الحال بالنسبة للدكتور بودراع الذي كان أحد رفاق طفولة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، الذي اكتفى بمنحي بعض المعلومات الخاطفة عبر الهاتف. كما أن ظروف مرض محمد فرحات، وبعد مدة انتظار، منعتني من الحصول على شهادته إلى أن توفي. لذلك فقد حاولت تتبع تطورات الأوضاع العامة في محيطه وربطها بشهادات بعض معاصريه.

المدخل

أوضاع عمالة وهران العامة فيما بين 1919 – 1954

قسمت الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي إلى ثلاث عمالات (الجزائر- قسنطينة- وهران) إلى جانب أقاليم الجنوب، وقد تكونت عمالة وهران من ولاية وخمس دوائر، وقسمت كل دائرة إلى بلديات بنوعيها المختلطة والكاملة الصلاحيات*. أما الدوائر فهي دائرة وهران، مستغانم، سيدي بلعباس، تلمسان، وقد اختلف عدد البلديات من بلدية لأخرى، حيث كانت دائرة وهران مثلا تتكون من 43 بلدية كاملة الصلاحيات وبلديتين مختلطتين، وكانت أهم مدن هذه الدائرة مدينة وهران، تيارت، عين تموشنت، باريغو[1].

أما حدود عمالة وهران، فهي البحر المتوسط شمالا، جبال تلمسان وكتلة جبلية منحدرة لمليانة والونشريس جنوبا، وادي شلف إلى غاية مصبه في غليزان وعين كرمان مع الظهرة والونشريس شرقا[2]، بينما يحدها غربا واد عطية آخر بلاد مسيردة الحاجزين أرضهم وأرض بني خالد**.

وقد انفردت مدينتا وهران وسيدي بلعباس بتغلب العنصر الأوروبي بها على العنصر المسلم، فقد بلغ عدد سكان مدينة وهران حوالي 157.981 نسمة بينهم 32.115 مسلما و125.866 أوروبيا. أما مدينة سيدي بلعباس، فقد كان عدد المسلمين بها 15.018 وعدد الأوروبيين حوالي 27.653، والمجموع 42.671 (إحصائيات 1931). ويدل هذا على اتساع مجال الهجرة الأوروبية إلى مدينة وهران حتى أصبحوا يشكلون تقريبا ربع سكان المدينة علما أن خمسة عشر (15) بلدية من بلديات عمالة وهران، من أصل 44 بلدية يفوق فيها

---

* البلديات كاملة الصلاحيات هي البلديات التي تسكنها أغلبية أوروبية، وتشبه في تسييرها وتنظيمها البلديات الفرنسية. أما البلديات المختلطة فعدد الأوربيين بها قليل، يعين رئيس بلديتها من الأوربيين كما هو الحال بالنسبة للبلديات كاملة الصلاحيات. وقد تميزت دائرة وهران بتفوق عدد الأوربيين فيها على عدد المسلمين.

[1] القورصو محمد، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران (1931-1935)، رسالة لنيل الدراسات المعمقة في التاريخ، جوان 1977، ص 10.

[2] TINTHOIN Robert, l'Oranie sa géographie, son Histoire, ses centres vitaux, Oran Edition L. FOUQUE 1952, p 10

** هم أحد بطون قبيلة بني زناسن بشرق المغرب الأقصى، انظر محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في أخبار الأمير عبد القادر، الطبعة II، بيروت، دار اليقضة العربية، 1964، ج 1، ص 14.

الأوروبيون عدد المسلمين، هذا ما جعل الباحثين الأوروبيين يطلقون على مدينة وهران اسم المدينة الفرنسية الإسلامية[1].

أما عوامل التمركز الأوروبي بهذه العمالة، فهي متعددة، ومنها الأهمية الاقتصادية بالدرجة الأولى، فبفضل موقعها الاستراتيجي، وأهمية موانئها ومراسيها مثل المرسى الكبير، مرسى مستغانم، وأرزيو. هذا إلى جانب طول ساحلها، واتساع سهولها مثل سهل وهران، وسهل سيق، سهل سيدي بلعباس، سهل تلمسان ومعسكر. وكذا غناها بالثروات كما هو الحال بالنسبة لبني صاف الغنية بالحديد. وكان تركز الأوروبيين بدائرة سيدي بلعباس بسب خصوبة أراضيها التي أقاموا بها مزارعهم الكبرى إلى جانب استراتيجية موقعها بين الساحل وداخل البلاد. وهكذا فقد تمركز الوجود الأوروبي بوهران وسيدي بلعباس، وبدرجة أقل في دائرتي مستغانم ومعسكر. بينما بقيت تلمسان محافظة، وظل العنصر الجزائري المسلم يغلب على سكانها[2]، هذا ما يفسر تزايد الاستيطان الأوروبي، وتوسعه من وهران إلى تلمسان ثم سيدي بلعباس، معسكر وسعيدة، وتيارت[3]. هدا ونظرا لأهمية مدينة وهران، فقد أقيمت بها كل المصالح الإدارية التي تحتاج إليها العمالة، من مركز للعمالة، ومحافظة الشرطة، وقطاع عسكري، فقد أقيم فيما بين (1845 – 1851) مركزا للعمليات العسكرية، إلى جانب وجود ميناء وهران التجاري، والمرسى الكبير العسكري[4].

أما عن الأوضاع العامة في عمالة وهران فيما بين 1919 – 1954، فيمكن تقسيمها إلى:

1/ الأوضاع السياسية :

كان لمشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى أثرا هاما في انتشار أفكار جديدة فيما بينهم، كالمساواة والحرية، وأدركوا أهمية مساهمتهم في انتصار فرنسا والحلفاء[5]. هذا إلى جانب وجود عوامل أخرى ساهمت في توعية الجزائريين وإدراكهم ما يدور حولهم. فعلى الصعيد الدولي برزت عدة أحداث منها دخول تركيا إلى جانب الحلفاء في الحرب سنة 1914 ومحاولة فرنسا حشد الجزائريين ضدها، وظهور الثورة العربية الكبرى سنة 1916 ومساعي فرنسا إلى التأكيد على انفصال مسلمي الجزائر عن السلطة العثمانية، ثم صدور وعد بلفور

[1] القورصو محمد، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين،...، ص ص 13 - 15
[2] القورصو محمد، المرجع السابق، ص ص 15 - 16
[3] TINTHOIN Robert, l'Oranie..., pp 37 - 38
[4] القورصو محمد، المرجع أعلاه، ص 11.
[5] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، (1900-1930)، الطبعة 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 300

سنة 1917 الذي حرك في الجزائريين أثر قانون كريميو. ولعل أهم حدث كان ظهور مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها الذي جاء به الرئيس الأمريكي ولسن* سنة 1918، والذي شجع الجزائريين على المطالبة بحقوقهم. ثم انتشار ثورة عبد الكريم الخطابي بالريف المغربي وهزيمته على يد التحالف الفرنسي الإسباني. وعلى الصعيد الفكري، فقد كان لعودة الاتصال الفكري بين المشرق والمغرب العربيين دور في زيادة يقظة الجزائريين العلمية وبفضل الصحافة التي كانت تصل سرا إلى الجزائر ومنها "العروة الوثقى"، "المنار"، جريدة "اللواء" و"المؤيد"[1]. أضف إلى ذلك انتصار القومية في أوروبا والثورة البلشفية**.

ويبدو أن هذا ما يفسر نتائج الانتخابات البلدية التي جرت بالعاصمة في ديسمبر 1919 والتي حصلت فيها قائمة الأمير خالد*** على أغلبية الأصوات. هذا علما أن هذا الأخير كان قدم مذكرة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية "هيريو" سنة 1924 شدد فيها على المطالب التي كان تقدم بها باسم الشبان الجزائريين ومنها (إلغاء القوانين الاستثنائية، التمثيل المتساوي في البرلمان بين المسلمين والفرنسيين...)[2]. وقد أدت هذه الانتخابات إلى تقسيم النخبة إلى مساندين ومعادين للإدماج، وإلى ظهور الأمير خالد كزعيم جديد يشكل ما يعرف بحزب الإصلاح[3]. أما الليبراليون المؤيدون للإدماج، فقد كانوا بقيادة الدكتور ابن تامي، بينما لم تعد للمحافظين القدرة على تنظيم أنفسهم في إطار حزب خاص.

هذا عن الجزائر العاصمة، أما عن القوى السياسية بوهران فقد تمثلت الاتجاهات السياسية والاجتماعية فيما يلي :

- الاتجاه المحافظ : سيطرت عليه عناصر جزائرية خدمت فرنسا واستفادت من ذلك.
- الاتجاه المعتدل : سيطرت عليه جماعة من النخبة بعد انقسامها على إثر انتخابات 1919 التي فتحت باب التجنيس للجزائريين. طالب هذا الاتجاه بالمساواة بين الفرنسيين، مع المحافظة على الأحوال الشخصية.

* ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (1856-1924) جاء بالمبادئ 14.
[1] سلوادي حسن عبد الرحمن، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتابن الجزائر، 1988، ص ص 19 - 21
** الثورة البلشفية ظهرت سنة 1917 وأدت إلى ظهور الاتحاد السفياتي وانهيار النظام الإمبراطوري بروسيا.
*** الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر (1875 – 1936) بسبب نشاطه السياسي نفته فرنسا إلى المشرق العربي.
[2] الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 61.
[3] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية...، ص 301

- الاتجاه الليبرالي : مثله ما تبقى من النخبة الجزائرية، طالب بالاندماج والتجنيس بغض النظر عن قضية الدين[1].

وقد ضم الاتجاه الإصلاحي المعتدل أعضاء من الطبقة الغنية المثقفة من الجزائريين مثل محمد بن رحال الندرومي، والمحامي مزوري مصطفى، والوكيل القضائي الحراق بوراس وكل من الأساتذة عبد الرحمن محمد، طهراوي هواري صبيحي إلى جانب عدد آخر من المثقفين ثقافة فرنسية من مترجمين وموظفين داخل الإدارة الفرنسية، أمثال عموري محمد، وقاسمي عبد القادر.

بينما مثل الاتجاه المحافظ رؤساء الأسر الكبيرة كالمتقاعد الحاج بن شيهة والباي إبراهيم بن سالم، وغيرهم. أما الاتجاه الليبرالي فسيظهر بصورة واضحة مع بداية عقد الثلاثينيات[2]، هذا علما أن الاتجاه الإصلاحي هو الذي حاز على الأغلبية كما هو الحال بالنسبة لقائمة الأمير خالد. غير أن ذلك لم يكن مريحا لفرنسا التي حاربت حزبه ثم نفته سنة 1923 إلى دمشق بسوريا، وقمعت حركته[3].

غير أن هذه العشرية ستكلل بحدث هام وهو تشكيل نجم شمال إفريقيا سنة 1926. ونظرا لاتجاهه الاستقلالي، فقد تعرض الحزب للحل سنة 1929 بحجة المساس بأمن الدولة الفرنسية. لكن هذا لم يثن أعضاءه الذين شكلوا حزب الشعب الجزائري سنة1937[*] ليحل هذا الأخير عشية الحرب العالمية الثانية سنة 1939 ويتحول أعضاؤه إلى السرية.

وفي سنة 1927 تشكلت فدرالية النواب المسلمين الجزائريين، وكانت تضم جزءا من الشباب الشباب الجزائري بقيادة الدكتور ابن تامي. وكان أغلب أعضائها من المثقفين ثقافة فرنسية[4]. نادى هذا الاتجاه بتمثيل الجزائريين في البرلمان، وبالمساواة في المعاملة والضرائب، والوظائف، وبالإدماج بشكل عام[5].

---

[1] مهديد إبراهيم، انتخابات الأهالي في وهران، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، جوان 1979، ص 34

[2] مهديد إبراهيم، نفس المرجع، ص 35

[3] MAHSAS AHMED, Le Mouvement révolutionnaire en Algérie, de la première mondiale à 1954, l'HARTTAN, Paris, pp 39-40

[*] حل الحزب لأول مرة سنة 1929 لكنه استمر في النشاط تحت تسميات أخرى (مثل نجم شمال إفريقيا المجيد G.E.N.A) للاطلاع، انظر : الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، نفسه، ص ص 175 - 186

[4] KADDACHE MAHFOUD, Histoire du Nationalisme Algérien, Question nationale et politique Algérienne, 1919/1951, tome I, SNED, Alger 1980, p 213

[5] مناصرية يوسف، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 14.

ونواصل تتبع الأحداث لتمييز سنة 1930 بالاحتفال المئوي للاحتلال الفرنسي للجزائر، والذي كان استفزازا للجزائريين، واستعراضا للقوة الفرنسية. وباستثناء الحزب المحافظ (بني وي وي) ، ظل الشعب الجزائري بعيد عن هذه الاحتفالات[1]، حيث تميزت هذه السنة بتنظيم عدة تظاهرات في مدن الجزائر، وأقيمت في وهران معارض اقتصادية وثقافية، إلى جانب تدشين بعض الإنجازات كدار الكولون، وتأسيس بعض الجمعيات مثل الجمعية الفدرالية لمعطوبي الحرب، فضلا عن تنظيم حفلات موسيقية لمختلف الأجواق في وهران، وعدد من المباريات الرياضية. وبالمقابل ففي ماي 1931 تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالجزائر العاصمة، وهي جمعية إرشادية تهذيبية هدفها إصلاح المجتمع[2] ونشر التربية والتعليم فيه.

أمام هذا التطور السياسي في الجزائر بشكل عام، والقطاع الوهراني بشكل خاص، ظهر حدثان هامان هما انتخابات ماي 1935، وانعقاد المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في سبتمبر 1935[3].

تعتبر انتخابات 1935 البلدية مرحلة هامة، حيث ميزت الإطار الانتخابي الجديد للقطاع الوهراني، ذلك أنه شهد مشاركة واسعة من النخبة والنواب والمثقفين وخاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي عبرت عن اهتمامتها السياسية، وقد مثل الاتجاه المحافظ في هذه الانتخابات الملاك والتجار والإقطاعيون وأبناء الأسر الكبيرة. ومنهم الحاج حسن بشطرزي* في وهران، والحاج محمد العشعاشي بتلمسان، بينما مثل الليبراليين مكي مزغود* وزين بن ثابت**...، بينما مثل كل من منصوري سي محمد ومرزوق سي محمد من تلمسان جمعية العلماء.

---

[1] بلحسن مبروك، مراسلات الثورة الجزائرية بين الجزائر والقاهرة، 1956/1954، ترجمة الصادق عماري، دار القصبة للنشر، الجزائر 2004، ص 20

[2] القورصو محمد، المرجع نفسه، ص 2.

[3] مجلة دفاتر التاريخ المغربية، مخبر تاريخ الجزائر، إفريقيا الغربية وغرب البحر المتوسط، معهد علم الاجتماع، جامعة وهران، العدد 1، سبتمبر 1987، مقال للدكتور مهديد إبراهيم، ص ص 173- 174

* ترأس الحاج حسن بشطارزي فدرالية النواب المسلمين للقطاع الوهراني، التي تأسست حوالي 11 ماي 1930، تتبع في حركتها فدرالية النواب المسلمين التي أسسها بن جلول.

* مكي بزغود مسؤول في جريدة صدى وهران، صاحب عدة أوسمة عسكرية.

** زين بن ثابت : صحفي ومدير "الفجر" الملحقة بصدى وهران، وهو يرأس جمعية أصدقاء الكتاب.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن نجاح هذا الاتجاه الأخير في كل من مستغانم وتلمسان في هذه الانتخابات كان دليلا على الوعي السياسي الوطني الذي تحقق بين أوساط الجزائريين وذلك بفضل نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب شمال إفريقيا[1].

أما عن انعقاد المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا فيما بين 6 و10 سبتمبر 1935، فقد تم اختيار مدينة تلمسان لاحتضان أشغال هذا المؤتمر لعدة أسباب منها الموقف الفرنسي المتشدد من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعمالة الجزائر : التوتر الذي ساد قسنطينة نتيجة أحداث أوت 1934[***]، ضرورة تدعيم جمعية العلماء بالعمالة الغربية، الأهمية التاريخية لمدينة تلمسان[2].

كانت افتتاحية المؤتمر بقاعة البلدية، لكن سرعان ما منعوا من مواصلة نشاطهم، وعقدت بقية الجلسات بنادي السعادة[****]. هذا ويعتبر هذا المؤتمر يقظة سياسية وثقافية بفضل الجهود التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3].

كما أن المسلمين في القطاع الوهراني أصبحوا مستعدين للمطالبة بحقوقهم خاصة بانتشار الإحساس بالفوارق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بينهم وبين الأوروبيين[4].

وقد شهدت سنة 1936 عقد أول مؤتمر إسلامي جزائري في 7 جوان شاركت فيه معظم الاتجاهات الوطنية ما عدا نجم شمال إفريقيا. وقد بعث المؤتمر بوفد إلى باريس يحمل مجموعة من المطالب، لكن عاد صفر اليدين ليظهر مشروع بلوم فيوليت الإدماجي والذي كان ينص على حصول نخبة من الأهالي (بين 20 و30 ألف) على الجنسية الفرنسية. غير أن هذا المشروع لقي معارضة شديدة من قبل الكولون خاصة، لتضطر حكومة "بلوم" إلى التخلي عن هذا المشروع سنة 1938. هذا وبدلا من الإصلاحات التي كان أعضاء المؤتمر الإسلامي ينتظرونها، أعلنت هذه الحكومة حل نجم شمال إفريقيا في 26 يناير 1937. غير أن هذا لم يثن من عزيمة مصالي الحاج وباقي أنصار الحزب، ليقوم في 11 مارس 1937

---

[1] مهديد إبراهيم، نجم الشمال الإفريقي وحزب الشعب الجزائري (1926-1939)، الاستراتيجية الوطينية وتأصيل الفكر الاستقلالي، منشورات دار الأديب، وهران، 2007، ص 41.

[***] حوادث قسنطينة في أوت 1934، بين المسلمين واليهود، كانت دامية، وسرعان ما انتشرت الحوادث في القطاع الشرقي من الوطن مثل سطيف.

[2] القورصو محمد، المرجع نفسه، ص 139.

[****] يعود سبب عدم السماح للمؤتمرين بمواصلة جلساتهم بقاعة البلدية إلى محاولة شيخ بلدية تلمسان VALLEUR الذي حاول تحدي المؤتمرين من خلال خطابه الذي أشار فيه إلى عدم وجود وحدة شمال إفريقيا، وقد ترجم هذا الخطاب العالم "علال بلهوان"، ورد عليه بالفرنسية، حتى جعله سخرية للحاضرين، فقرر شيخ البلدية منع المؤتمرين من استخدام القاعة. للتوسع أكثر يمكن الرجوع إلى مجلة دفاتر التاريخ المغربية، نفسه، ص ص 186/184

[3] مجلة دفاتر التاريخ المغربية، نفسه، ص 187.

[4] مهديد إبراهيم، نجم الشمال الإفريقي، نفسه، ص 41.

بتشكيل حزب الشعب الجزائري بنانتير NANTERE بباريس، وتم تحويل مقر الحزب إلى العاصمة الجزائرية. غير أن هذا الحزب سيحل عشية الحرب العالمية الثاني التي أثرت على العالم بأسره بما في ذلك المستعمرات. وتجدر الإشارة هنا إلى القلق الفرنسي من الدعاية الألمانية خاصة وأن هتلر كان قد حقق عدة انتصارات خلال المرحلة الأولى من هذه المواجهة، وهنا نذكر أحد التقارير السرية للشرطة بوهران الصادر بتاريخ 29 ديسمبر 1939 والذي تبين فيه مراقبة الأوضاع في وهران وبالضبط في حي الزنوج (المدينة الجديدة حاليا) سبب قيام أحدهم بالدعاية لصالح ألمانيا[1]. هذا إلى جانب تقرير آخر بتاريخ 31 أكتوبر 1942 بعنوان "نشاط الأهالي في عمالة وهران"، وفيه وصف للحالة الذهنية "للأهالي" أثناء الحرب حيث يبين التقرير التعاطف الشعبي مع هتلر. ويؤكد أن أعضاء حزب الشعب المنحل لم يقوموا بأي نشاط يذكر في هذه المرحلة، بينما ظهرت بعض الاحتجاجات من الحزب الشيوعي الجزائري بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية[2]. بينما يُظهر التقرير تخوف السلطات الفرنسية بعمالة وهران من قيام جبهة ثانية بإفريقيا الشمالية[3]، إلى جانب تزايد الدعاية الألمانية بواسطة الصحافة[4].

أما تقرير مركز الإعلام والدراسات الصادر بتاريخ 4 ديسمبر 1942، فهو يوضح الحالة الذهنية بوهران عقب الإنزال الأنغلوسكسوني بشمال إفريقيا، في نوفمبر 1942 حيث بيّن تأييدا وميلا من الأهالي اتجاه الأمريكان[5]. وبيّن التقرير السري الصادر عن محافظة وهران الوضع السياسي بوهران وبالضبط حي الزنوج (المدينة الجديدة حاليا) أين يظهر اتجاهان متعارضان يحاولان الحصول على التأييد، ويقومان بدعاية كبيرة، وهما الشيوعيون والإصلاحيون. فبينما قامت جمعية العلماء المسلمين بتوسيع دعايتها بين أوساط المثقفين والتجار وصغار البرجوازيين، بواسطة جمعية الفلاح*، قام الحزب الشيوعي بدعايته بين أوساط العمال، وصغار التجار لمنافسة جمعية العلماء بالمدينة، بوضع مركز لهم مخصص "للأهالي" وسعى أعضاؤه إلى البحث عن مقر لحزبهم[6].

---

[1] (م.أ.و.و)، السلسلة I11، العلبة رقم 4480، تقرير رقم 3011 بتاريخ 29 ديسمبر 1939 بوهران بعنوان "مراقبة الأهالي بوهران".
[2] (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، دراسة مركز الإعلام والدراسات (م.إ.د) لعمالة وهران رقم 582، بتاريخ 31 أكتوبر 1942، ص 4.
[3] (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، ص 1.
[4] (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، ص 9.
[5] (م.أ.و.و)، السلسلة I11، العلبة رقم 4477، دراسة م.إ.د لعمالة وهران، رقم 632، بتاريخ 1942/12/04، بعنوان "الحالة الذهنية بوهران".
* هي جمعية أقيمت للتربية والتعليم بوهران، سيتم التوسع فيها لاحقا.
[6] مديرية الأرشيف لولاية وهران، السلسلة I11، العلبة رقم 4480، بتاريخ 1939/12/29، نفس التقرير أعلاه.

وهكذا، فإن الأوضاع في الجزائر بشكل عام وفي وهران بشكل خاص كانت محل قلق السلطات الفرنسية حيث كانت النشاطات والتحركات خاضعة للمراقبة الفرنسية. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، يجازى الجزائريون بأحداث ماي 1945 والتي شكلت منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية، وتضطر السلطات الفرنسية في محاولة منها لتهدئة الأوضاع بالسماح للأحزاب السياسية بالقيام بنشاطات من جديد لتظهر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وغيرها من التشكيلات السياسية التي تبلور فكرها وتطور. وبدأت فكرة الثورة تطغى على المناضلين خاصة بعد اكتشاف المنظمة الخاصة، لتبدأ الإعدادات الفعلية لثورة الفاتح من نوفمبر 1954.

2/ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

قسم المجتمع الجزائري بعد الاحتلال الفرنسي إلى مجموعتين، تشكل المجموعة الأولى الجالية الأوروبية. أما المجموعة الثانية فتتكون من الجزائريين الذي وصل عددهم في الخمسينيات إلى أكثر من عشرة ملايين نسمة، وهم مهمشون مسلوبو الأراضي، يعانون الحرمان والظلم، وخاضعون للقوانين الاستثنائية.

أما الوضع الطبقي للجزائريين، فقد انحصر في طبقتين، تتكون الأولى من الطبقة العاملة التي تضم الفلاحين (91 %). أما الطبقة الثانية فهي الطبقة المتوسطة التي تتكون من التجار في المدن وأصحاب المهن الحرة، وبعض موظفي إدارة الاحتلال، وملاك الأرض

من الريف[1]، عددهم لا يتجاوز خمسين ألف نسمة. أما الطبقة الإقطاعية والرأسمالية فلم يكن لها وجود في هذه المرحلة بسبب مصادرة أراضي الفلاحين، وهذه ظاهرة فريدة في الاحتلال الفرنسي، لأن الاحتلال كما هو الحال بالنسبة للاحتلال الفرنسي في المغرب، والبريطاني في مصر والهند، يعمل على تكوين طبقة من الإقطاعيين والرأسماليين (مثل الباشاوات) ترتبط مصالحها بمصالحه ويعتمد عليها لإحكام سيطرته[2].

هذا وقد تميزت الفترة ما بين (1919 – 1925) بعدة مشاكل اقتصادية واجتماعية أثرت على سكان المدن، بسب ارتفاع أسعار السلع، وانخفاض القدرة الشرائية، وانتشار المجاعة

---

[1] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931 – 1956)، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1395هـ/1975م، ص ص 88 - 90

[2] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية...، ص 91.

سنة 1920 بسبب جفاف 1919 وتناقص محصول القمح الذي انخفضت نسبة مردوده إلى 30 % سنة 1920[1]. بينما شهدت الفترة ما بين (1926 – 1930) ازدهار المشاريع التجارية الرابحة، ونمو بعض الشركات الرأسمالية حتى أصبحت مدينة وهران أول وأهم ميناء في الجزائر[2].

وسرعان ما ظهرت تأثيرات الأزمة الاقتصادية العالمية ابتداءً من سنة 1930، فساد غلاء المعيشة وانتشرت البطالة والتسول[*].

هذا وقد عرفت وهران توافدا كبيرا بسبب الهجرة الداخلية والخارجية، فيما بين 1925 – 1935 حيث بلغ عدد المهاجرين حوالي 8500 شخصا بحثا عن مناصب الشغل. ومن جهة أخرى فقد تميزت نهاية سنة 1942 بمعاناة الجزائريين في القطاع الوهراني، وهو ما يشير إليه تقرير مركز الإعلام والدراسات بتاريخ 31 أكتوبر 1942، حيث يبين نقص المواد الغذائية وقلتها كما هو الحال بالنسبة للزيت والسكر، اللحوم خاصة في شهر رمضان، ونفس الشيء بالنسبة للحبوب والقمح اللين. ويشير نفس التقرير إلى الجفاف الذي مس آخر السنة والذي أدى إلى تأخير عملية الحرث، وبالتالي قلة وتأخر المحصول، وهو ما حدث بالنسبة لأشجار الزيتون. ويذكر التقرير في صفحته التاسعة الاحتفال بعيد الفطر، والحفل الذي نظمته الكتيبة 66 للمدفعية والذي لقي اهتماما كبيرا حيث أحيا الحفل أعضاء الكشافة الإسلامية صباحا، وتم فيه تقديم المساعدات لحوالي 1100 تلميذ من "الأهالي" بمدينة وهران[3].

ونفس الوضعية المزرية يشير إليها تقرير 21 جوان 1943 السري والذي يشير فيه صاحبه إلى غلاء الأسعار وخاصة المواد الغذائية (اللحوم، الحبوب، الفواكه)، قلة الخبز، تأخر توزيع هذه المواد وحتى القماش[4].

وهكذا، فقد عانى سكان القطاع الوهراني كباقي أنحاء الجزائر من سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية خاصة خلال الحربيين العالميتين الأولى والثانية، حتى وصفت

---

[1] KADDACHE (M), opcit, Tome I, p 22

[2] مهديد إبراهيم، انتخابات الأهالي في وهران...، ص 67.

[*] بلغ عدد العاطلين في وهران من الجزائريين 1200 شخص، شغلت البلدية 270 منهم سنة 1935.

[3] مديرية الأرشيف لولاية وهران، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، نفس التقرير أعلاه، ص 5 – 9.

[4] مديرية الأرشيف لولاية وهران، السلسلة I11، العلبة رقم 4477، نفس التقرير أعلاه.

الجزائر بأنها "مملكة البؤس"، وهو ما جعل المنظمات الدولية تقول"بأن مستوى المعيشة في الجزائر بالنسبة للجزائريين يعتبر أحط مستوى في العالم كله"[1].

3/ الأوضاع الثقافية :

عملت السلطات الفرنسية على تحطيم الشخصية الجزائرية بمحاربة اللغة والثقافة العربيتين. ونتيجة لهذه السياسة، سادت الأمية بين أفراد المجتمع الجزائري بأكمله. وبالنسبة للوضع الثقافي لعمالة وهران فلم يكن بالمختلف عن باقي العمالات، فقد اختفت المدارس والمساجد والمؤسسات التعليمية. ومما زاد الوضع سوءًا، هو بعد عمالة وهران عن مراكز النهضة العربية (القاهرة – دمشق – القرويين) وحتى الصحافة في هذه العمالة فقد اقتصرت على جريدتي الحق والبلاغ الجزائري. وبالمقابل، فقد وجدت في مدينة وهران وحدها أربع جرائد يومية وعشرون جريدة عبر كامل عمالة وهران والملاحظ أنه ماعدا جريدة الفجر الناطقة باللغة الفرنسية، فلم تكن هناك بعمالة وهران أية جريدة عربية اللسان[2].

ومن جهة أخرى، فقد انتشرت الطرق الصوفية وتعددت في عمالة وهران قبيل 1930[*]، وكان لانتشارها عدة آثار بسبب العداء فيما بين شيوخها، والذي انتقل إلى المجتمع نفسه فزاد في انقسامه وجهويته[3].

رغم هذا فقد وجدت بوهران فيما بين (1934 – 1935) عدة جمعيات ونوادي ذات طابع خيري أو رياضي، ومنها[4] :

- الهلال الأحمر الوهراني برئاسة "حسن بشطارزي".
- جمعية الصناعة التقليدية الأهلية في وهران برئاسة السيد "ببيش".
- "المولودية" نادي موسيقي كان يرأسه بشطارزي مصطفى.

وهكذا فقد كان لسياسة التجهيل التي اتبعتها فرنسا أثر في ظهور الفوارق بين الجزائريين أنفسهم، المثقفين منهم والأميين. وأثرت الأوضاع الاقتصادية عليهم وجعلت مسألة توفير حاجيات أهاليهم في المقام الأول.

---

[1] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية...، ص ص 88 – 89.
[2] القورصو محمد، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين...، ص ص 16 – 22.
[*] بلغ عدد الطرق الصوفية بعمالة وهران 8 طرق منها الطريقة الدرقاوية، العليوية، العيساوية...
[3] القورصو محمد، المرجع نفسه، ص ص 19 – 21.
[4] مهديد إبراهيم، انتخابات الأهالي في وهران...، ص 77.

ومع هذا، فقد عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على محاربة هذه الأوضاع السيئة في مختلف أنحاء الوطن بما في ذلك القطاع الوهراني، بتأسيس شعب لها مثل شعبة وهران التي رافقت تأسيس جمعية الفلاح الإصلاحية، وشعبة المحمدية، وبناء دار الحديث بتلمسان سنة 1937[1]. إلى جانب تأسيس جريدة "الغرب العربي"، وهي جريدة عربية إصلاحية. غير أن هذا النشاط المكثف سرعان ما سيوجه إليه بطش الإدارة الفرنسية التي ستعمد إلى تضييق الخناق على نشاطات الجمعية كما هو الحال بالنسبة لقرار شوطان[**]، غير أن هذا الأخير لم يوقف نشاطات الجمعية بل زادها صلابة[2].

[1] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني (1900 – 1940)، الجذور الثقافية، الهوية الوطنية والنشاط السياسي، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 2، وهران 1999، ص 487.

[**] قرار شوطان : 8 مارس 1938، قرار تعسفي، تضمن عدة نصوص منها إغلاق المدارس العربية الحرة التي لا تتمتع برخصة عمل، منع المدرسين من مآزرة التعليم بدون رخصة، اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

[2] مهديد إبراهيم ، الجزائريون في القطاع الوهراني، نفسه، ص ص 489 – 552.

الملاحق

الفصل الأول

أصول وجذور عائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي

المبحث 1 : **سيرة الأب الشيخ المهاجي الطيب**

المبحث 2 : **نشأة وتكوين الطالب زدور إبراهيم القاسم المهاجي**

المبحث 1 : سيرة الأب الشيخ المهاجي الطيب

1/ : نسب الشيخ المهاجي الطيب.

ينتسب الطيب المهاجي إلى قرية أولاد سيدي الفريح من أرض القعدة من قبيلة أولاد علي إحدى قبائل بني عامر بن زغبة الذين انتقلوا من شبه الجزيرة العربية منذ أوائل الفتح الإسلامي إلى المغرب العربي. وقد استوطنت هذه القبائل منطقة المغرب* الأوسط[1].

وهو الطيب المهاجي بن المولود بن مصطفى بن محمد السني بن مصطفى بن سيدي الفريح المهاجي، ولد سنة 1300هـ الموفق لـ 1882م بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي المعروفة بـ"امهاجة" من أرض القعدة إحدى ضواحي وهران قديما التابعة حسب التقسيم الإداري الحالي إلى ولاية معسكر (دائرة زهانة).

وقبيلة "امهاجة" عريقة من حيث النسب، وذات مكانة كبيرة في مجال العلم، حيث اشتهرت بكثرة كتاتيبها القرآنية، ورجال العلم فيها، فقد كان والد جده سيدي محمد أحد العلماء الذين أحيوا السنن، وقاوموا البدع حتى لقب بالسني. ثم نقله باي وهران عثمان الكبير إلى جامعها الأعظم وبقي بها إلى أن توفي في أوائل القرن الثالث، ودفن بمقبرة سيدي البشير خارج وهران بوصية منه[2].

أما جده فكان سيدي المصطفى الذي قرأ على العلامة الشيخ أبي راس الناصري المعسكري، وقد اشتغل بتعليم القرآن تجويدا وتصحيحا برسم المصحف العثماني. اشتهر سيدي المصطفى بالصلاح وطيب الحديث. ومن تلاميذته المشهورين بالأخذ عنه المولود بن بريك وجلول بن يغمور والطيب بن كاب... وفي أواخر أيامه ذهب بصره، واختار البقاء عند ابنه والد الطيب المهاجي "المولود" إلى أن توفي ودفن بمقبرة "العين المالحة".

أما والد الطيب المهاجي "المولود"، فقد حفظ القرآن على والده، وقد قرأ مختصر خليل على الشيخ سيدي الطيب بن بشير الشرفي وعلى الشيخ سيدي الحاج محمد أحد عمومته. ثم

---

* المنطقة التي استوطنوها يحدها غربا مدينة تلمسان وما حاذاها، وشرقا واد أفكان الحاجز بينهم وبين قبائل الحشم، ويفصل بينهم وبين وهران شمالا قبائل الزمالة والدواير، ويحدهم جنوبا الجعافرة وبنو مرناين.

[1] المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر. الشركة الوطنية للطبع والأوراق، وهران، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص 116.

عمل على تعليم القرآن بالأجرة بسبب ما كان يعانيه من فقر وعوز. وقد نسخ بيده عدة مصاحف، كما اشتهر بكتابة الوثائق[1].

وقد توفي والد الطيب المهاجي في محرم 1323هـ/1905م[2]، ودفن بجوار والده. كان للطيب المهاجي أربعة إخوة هو أصغرهم، حرص والدهم على تحفيظهم القرآن الكريم. أما جد الطيب المهاجي من أمه فكان السني "بن فريحة"، تميز بمساندته للأمير "عبد القادر" في مقاومته إلى أن نفي إلى كورسيكا ومات بها[3].

2/ رحلات الطيب المهاجي داخل الوطن وخارجه :

كان بيت الأسرة هو النواة الأولى لتعلمه القرآن الكريم، فقد علمه والده ألفاظ الشهادة وبعض السور حتى حفظ من سورة الأضحى إلى سورة الناس. وقد افتتح القرآن في اللوح من سورة الليل حتى حفظ القرآن كله وختمه على يد والده وهو في التاسعة من عمره[4]. ثم تلتها إحدى عشرة ختمة مفرقة على عدة شيوخ منهم الشيخ محمد بن قدور بن الأقرع، الشيخ عبد السلام بن صالح الغريسي، الشيخ محمد بن عبد الله اللعباني[5] وغيرهم. أما مشايخه، فقد تعددوا ومنهم ابن عمه الشيخ سيدي محمد بن سيدي قدور بن مصطفى بن الفريح المهاجي الذي حضر له دروسا من مختصر خليل لمدة خمس سنوات حتى ختم عليه المختصر أكثر من أربع مرات[6]. إلى جانب محمد بن عبد الله اللعباني، ومحمد بن العربي الشرفي، الذي درس عليه باب المواريث من مختصر خليل. ثم انتقل إلى قبيلة صبيح بمدينة تنس أين التحق بمدرسة "الشيخ الشعيبي" الذي كان من أحب شيوخ الطيب المهاجي[7]. كما كان قد أقام في مدينة سيق سنة، قرأ فيها على الشيخ القندوز معظم مختصر خليل والأجرومية عدة مرات، وقطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك[8].

---

[1] المصدر نفسه، ص 113.

[2] المصدر نفسه، ص 116.

[3] DJEMEL ABDELKADER, « CHEIKH TAYEB EL MEHADJI » : Un sage dans la ville, in. El Moudjahid, 16.02.1991

[4] المصدر نفسه، ص 38.

[5] ELKORSO MOHAMED, Politique et Religion en Algérie, L'Islah : ses structures et ses Hommes, Le cas de l'Association des Oulamas Musulmans Algériens en Oranie, 1931 – 1945, Tome I, l'Islah et ses structures, pp68/69

[6] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 44.

[7] EL KORSO Med, Politique et Religion, Tome I, p 69

[8] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 49.

قام الطيب المهاجي بعدة رحلات خارج الوطن لطلب العلم، منها إلى تونس سنة 1348هـ/1929م التي تردد فيها على جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية[1]. وفي سنة 1350هـ توجه لأداء فريضة الحج، وقد نشط الرحلة بإلقاء عدة دروس، وبوصوله إلى مكة تمكن من اللقاء بعدة علماء منهم الشيخ سيدي أحمد الشريف السنوسي الخطابي الذي أجازه إجازة عامة مشافهة. كما حضر عدة دروس بالمدينة المنورة وعلى رأسهم الشيخ خليل التكروري الذي أجازه أيضا إجازة عامة مشافهة. إلى جانب حصوله على إجازة الشيخ أحمد أمين بن عزوز أحد علماء المدينة[2].

وفي سنة 1364هـ/1945 قام الطيب المهاجي بزيارة إلى فاس بالمغرب الأقصى وكذلك مكناس والرباط وسلا، وكان دلك بدعوة من بعض أصدقائه بفاس[3]. غير أن ذلك لم يسمح له بحضور الدروس بجامع القرويين لأنهم كانوا في عطلة الصيف[4].

وقد حصل الطيب المهاجي على إجازة من عدد آخر من علماء عصره منهم :

- الشيخ أبو شعيب الدكالي بإجازة عامة، الشيخ محمد بدر الدين محدث الشام بدار الحديث النبوي الشريف بدمشق.

3/ آثار الطيب المهاجي العلمية :

بعد هذا المسار الحافز بالعلوم، استقر الطيب المهاجي بوهران (سنة 1330هـ) التي افتتح بها مدرسة قرآنية بجامع الشريفية بالمدينة الجديدة. كانت هذه المدرسة تضم حوالي أربعين متعلما[5].

وللعلامة "الطيب المهاجي" دور كبير في تعليم القرآن الكريم ونشر الثقافة الإسلامية. كان يمضي يومه بالمسجد لإلقاء الدروس صباحا من السابعة إلى الحادية عشر، ومساء من الثانية إلى الخامسة. أما العلوم التي كان يدرسها فهي النحو والصرف والبيان صباحا، والفقه مساء.

أما الفترة الليلية فقد كان يلقي فيها دروسا في التفسير الذي ختمه خلال تسع سنوات. كما أعاد تفسير القرآن الكريم خلال شهر رمضان إلى جانب سرد صحيح البخاري[1].

---

[1] المصدر نفسه، ص 89.
[2] المصدر نفسه ، ص ص 69 - 79.
[3] المصدر نفسه ، ص ص 92 - 97.
[4] الهواري ملاح، الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري (1300-1389هـ/1881-1969م)، مراجعة الدكتور عبد المجيد بن نعيمة، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص 13.
[5] EL KORSO Med, Politique et Religion en Algérie..., p 69

وقد واصل الطيب المهاجي مهمته في التدريس إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية حيث توقف عن ذلك بسبب تجنيد القوات الفرنسية لمعظم تلاميذه، ليعود لمواصلة التعليم من جديد بعد أن وضعت الحرب أوزارها. وبعد اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954 عطل تعليمه لفترة قصيرة ليعود لمواصلة نشاطه من جديد إلى غاية وفاته سنة 1969م.

ويذكر الطيب المهاجي أنه عندما استأنف عملية التدريس بوهران منعته الحكومة الفرنسية بدعوى أن القانون الفرنسي يمنع التعليم بسائر أنواعه حتى تعليم الديانة بدون رخصة. وبعد عدة عراقيل وصعوبات، يذكر أنه حصل على رخصة مقيدة بالإذن في قراءة فنون خاصة مع الحجر على باقيها[2]. ويذكر هنا ما كتبه معاشو عبد القادر عبد الجليل في مقاله الذي كتبه حول زدور القاسم، وأثناء سرده لمعلومات حول الطيب المهاجي حيث ذكر أنه ابتداءً من 1932 – 1933 كان يراه وهو يأتي لإلقاء دروسه ببرنوسه الأسود، رفقة أولاده (القاسم ومحمد)، أما أحمد فلم يكن قد ولد بعد، وأحيانا حتى إخوته مع الحاج إبراهيم والحاج صادق[3].

لعب الشيخ الطيب المهاجي (رحمه الله) دورا فعالا في مواجهة سياسة التجهيل التي عمدت السلطات الفرنسية إلى تطبيقها، ورغم العراقيل التي واجهها إلا أنه واصل نشاطه جامعا حوله عددا كبيرا من الطلبة حتى تخرج على يده عدة علماء برزوا على الساحة في وقت كانت فيه الجزائر بأمس الحاجة إلى هذه الفئة. ومع طول قائمة طلبة الطيب المهاجي رحمه الله، سنكتفي بذكر البعض منهم وهم :

- الشيخ مصطفى بن زيان، توفي حوالي 1971، أصله من سيق، كان من أنجب تلاميذ "المهاجي الطيب". تولى القضاء والفتيا بمدينة تيارت إلى غاية وفاته.
- الشيخ عبد القادر الطيب إبراهيم، هو ابن الشيخ محمد مكنوس أحد أقرباء الطيب المهاجي، مارس التدريس بسيق في مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الاستعمار الفرنسي. وبعد الاستقلال أصبح إماما ومدرسا بالجامع الكبير بوهران (جامع الباشا).

---

[1] الهواري ملاح، المرجع السابق، ص 9.
[2] الطيب المهاجي، المصدر نفسه، ص ص 84 – 85.
[3] MAACHOU ABDELKADER ABDELJLIL, Zeddour Kacem, Une lutte et ses racines, In. Le Quotidien d'Oran, 01/11/2000

- الشيخ عبد القادر بوجلال، جند خلال الحرب العالمية الثانية. كان من أبرز تلاميذ الطيب المهاجي، عمل إماما ومدرسا بمسجد البدر بوهران إلى غاية تقاعده.

ومن جهة أخرى، فقد خلف لنا الطيب المهاجي عددا من المؤلفات كان أهمها :

- "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر"، و"مختصر في المنطق"، و"رسالة في أصول الفقه".
- "كتاب في علم البيان"، "رسالة في التصوف"، "رسالة في باب معرفة علامة الإعراب"، "تزويد الحاج بالمناسك المعزوة لمذهب الإمام مالك"[1].

4/ مشاركة الطيب المهاجي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (بجمعية الفلاح الإصلاحية):

قبل التطرق إلى مشاركة الطيب المهاجي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لابد من الإشارة إلى أهم النوادي والجمعيات التي ظهرت بالقطاع الوهراني، والتي كان من بينها "حلقة التقدم" (Le Cercle du Progrès) التي تأسست في صيف 1932 على يد الشيخ سعيد الزاهري[*]. وكان هدفه بعث الأهالي وإيقاظهم، حيث نذكر هنا أحد الخطابات التي ألقاها هذا الأخير على الشباب الذين حضروا للاستماع إليه : إن أنتم لم تكوّنوا أنفسكم في اللغة، والدين، والعلوم الإسلامية فإنكم ستلقون نفس مصير البربر المغاربة، كانوا مسلمين، وحولتهم فرنسا بالقوة إلى مسيحيين"[2]. لكن هذا النادي سرعان ما اختفى، غير أن الشيخ سعيد الزاهري قام بتأسيس نادي "الإصلاحية" يوم 24 أوت 1934 الذي عمل من خلاله على :

- تنظيم عدد من الدروس بالعربية ودعم التلاميذ المحتاجين.
- تقديم محاضرات أدبية باللغتين العربية والفرنسية.
- تنظيم مكتبة تضم المؤلفات الأدبية والعربية والفرنسية.

وبعد ذلك بحوالي ثمانية أشهر قام الزاهري بتأسيس نادٍ آخر باسم "الإصلاحية الحمراوية" والذي ركز من خلاله على التربية والتعليم. وكان إلى جانبه سعد الهاشمي المدعو سي علي،

---

[1] الهواري ملاح، المرجع نفسه، ص 5.

[*] السعيد الزاهري، محمد السعيد الزاهري، ولد ببسكرة، له تجربة صحفية، وكان من الشخصيات البارزة في وهران.

[2] EL KORSO Med, Politique et Religion en Algérie..., p 205

ورغم متابعتهما قضائيا بسبب فتح مدرسة خاصة بدون رخصة إلا أن ذلك لم يثن من عزيمة هذا الشيخ حيث أسس سنة 1936 جمعية ثالثة باسم جمعية إخوان الأدب، وكان يهدف إلى تأسيس جمعية واسعة النطاق تمتد إلى كل التراب الوطني لكن هذا المشروع لم ينفذ بسبب قلة الامكانيات. هذا إلى جانب تأسيس جمعية الفلاح سنة 1937 ثم جمعية التربية والتعليم بوهران سنة 1938. وفي هذا الإطار لابد من التوسع فيما يخص جمعية الفلاح التي نشط فيها الشيخ الطيب المهاجي وكذلك الشيخ زدور سي الميلود ابن أخ الشيخ الطيب المهاجي[1].

بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالعاصمة سنة 1931، بدأ أعضاؤها في إطار نشاطاتهم بمحاولة إشراك مدينة وهران لبعث الحركة الإصلاحية بها، فقامت الجمعية بتفويض الشيخ الزاهري لتأسيس مدرسة تعمل على ترسيخ اللغة العربية والتعليم الديني. فكان تأسيس مدرسة الفلاح في الحي الشعبي Village nègre (حي الزنوج) المدينة الجديدة حاليا، بإيعاز من الشيخ البشير الإبراهيمي[2] والتي ستكون النواة التي تكونت فيها أهم قيادات الفدائيين في جبهة التحرير الوطني مثل أحمد زبانة وحمو بوتليليس. وقد خلف سعيد الزاهري على رأس الجمعية بعد سنوات الشيخ أمين الكنتاري سنة 1937. وفيما بين 1938 و1940-1941 قاد الجمعية الشيخ جفال من تبسة، والشيخ عمر البسكري.

غير أن أهم شخصية لعبت دورا ملحوظا في تطوير الجمعية وتحقيق أهدافها، كان الشيخ سعيد زموشي* سنة 1944 الذي كان يهدف إلى جمع وتوحيد أكبر عدد ممكن من الجزائريين سعيا لتكوين قيادات تشارك في الثورة المسلحة. ولتحقيق هذا الهدف، كان لابد، وفي ظل يقظة السلطات الاستعمارية، من إحياء تعاليم الدين الإسلامي، وتعليم اللغة العربية وإعادة الاعتبار لها.

أما عن ظروف تأسيس هذه الجمعية الإصلاحية، فهي تعود إلى سنة 1936 أين تم تأسيس لجنة مدرسة الفلاح تحت زعامة الشيخ الميلود المهاجي الذي كان تلميذا للشيخ عبد الحميد بن باديس. وقد ضمت اللجنة الشخصيات التالية : الطيب تسورية، شرفاوي حبيب، حمو نافي،

---

[1] Opcit, p 290

[2] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني، بين 1900 و 1940، ص 487.

* سعيد الزموشي من مواليد قسنطينة، درس بالزيتونة، كان له نشاط كبير في إطار ج ع م ج.

عتو بغداد، هواري بن جبار، سمغوني محمد، مكي عبد القادر، قندسي الهواري، بغداد أبو بكر، بغداد لشلاش، حاج شيخ أحمد، مطهري سيد أحمد[1].

وقد استقبلت هذه اللجنة الشيخ عبد الحميد بن باديس بوهران أين ألقى أول محاضرة بجامع الباشا والتي ذكر فيها أهمية إيجاد مقر لهذه اللجنة كي تتمكن من وضع خطة عمل للتعريف بنشاط الجمعية وأهدافها. وبالفعل وجد مقر مرحلي لها بمنزل شرفاوي حبيب أحد أعضاء اللجنة.

كان هدف هذه الجمعية إعادة الاعتبار للغة والدين، والقضاء على البدع والخرافات التي عمل الاستعمار على ترسيخها في إطار سياسة التجهيل.

وهكذا فقد كان أهم إنجاز إصلاحي حققه العلماء سنة 1937 هو تأسيس جمعية دار الفلاح مع مدرستها التعليمية[2]. إذ سرعان ما أصبح المقر غير كاف لنشاطاتها، فتم استبداله بمنزل السيد نميش** ليصبح المقر الجديد لها، وتم تحويله إلى مدرسة حملت اسم الفلاح. وكان هذا المقر الجديد بعنوان طريق EMILE DELORD بالمدينة الجديدة. أما عن أصل التسمية، فكان تيمنا بمسجد الفلاح بمكة المكرمة. ولحماية أعضاء الجمعية وصاحب المنزل من السلطات الاستعمارية، سجل البيت عند بيعه باسم 120 شخصا أي ملكية جماعية[3].

عملت الجمعية من خلال نشاطاتها على نشر الوعي عن طريق المحاضرات والندوات واللقاءات التي كان ينشطها أعضاء بارزين كما هو الحال بالنسبة لقيادات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[4].

وقد تميزت المرحلة التي ترأس فيها الشيخ سعيد الزموشي جمعية الفلاح بالنشاط الفكري، ورافقه في نشاطاته بها عدة أشخاص منهم صغير بن علي، صباغ محمد، عبد الرحمن فاطمي، حسين بن غراب، ونزار بومدين، دواجي محمد، جيلالي بريكسي، سويح الهواري...، حيث عمل هؤلاء على تطبيق أهدافها التربوية.

---

[1] M^eme ZEMMOUCHI KHEIRA, BENDELLAL GHAOUTI, ZAANANE YAMINA, FATMI ABDERRAHIM, La Medersa Elfalah, Son Histoire, SA création, Ses activitées, in. El Falah, Oran, 15 Avril 1985, In, pp : 6 - 7

[2] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 488.

** والد السيد نميش وزير المجاهدين سابقا.

[3] M. ZEMMOUCHI KHEIRA, BENDELLAL GHAOUTI, ZAANANE YAMINA, FATMI ABDERRAHIM, Opcit, p : 8

[4] M. ZEMMOUCHI KHEIRA, BENDELLAL GHAOUTI, ZAANANE YAMINA, FATMI ABDERRAHIM, Opcit, p : 5

كما توجت الجمعية بعدة زيارات لشيوخ جمعية العلماء أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي في 7 جوان 1937، الشيخ العربي التبسي[1]، الشيخ مبارك الميلي، والطيب العقبي[2]. وركزوا كلهم على إلقاء المحاضرات التي تميزت بحضور جماهيري واسع، الأمر الذي كان يقلق السلطات الفرنسية التي كانت تراقب عن كثب نشاطات هذه الجمعية، حيث تعرضت هذه الأخيرة للمداهمة والتفتيش وألقي القبض على أعضائها عدة مرات، الأمر الذي تطلب البحث عن مقر جديد لها ليتم العثور على مكان جديد تتم فيه مزاولة التعليم العربي. وكان بعنوان : 26 B^{d} Joseph Andrien[3]، وهو طريق الاستقلال بالمدينة الجديدة حاليا، وتم تسجيل المقر باسم مجموعة من الأشخاص لحماية أنفسهم من السلطات الاستعمارية، ليتم بعد ذلك العمل على بناء مدرستين كملاحق للمدرسة الأم، بفضل التبرعات والمساعدات التي تم جمعها. كما شاركت عدة شخصيات في إكمال هذا الإنجاز[4].

هذا ويرجع سبب الإشعاع الذي شهدته هذه الجمعية إلى جهود فرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوهران، ودور العالمَين زدور ميلود المهاجي وسعد الهاشمي (سي علي)[5].

ولابد من الإشارة هنا إلى الزيارة التي قام بها أعضاء الكشافة الجزائرية إلى وهران مرورا إلى تلمسان، حيث كان يرافقهم فرحات عباس، والبشير الإبراهيمي وحسين عسلة، الذي كان عضوا في حزب الشعب الجزائري، وذلك بعد الدعوة التي تلقوها من المدرسة، حيث أقيم لهم غذاء خاص. وبهذه المناسبة قام حسين عسلة بالاتصال بدلال الغوتي لعقد اجتماع سري لأعضاء حزب الشعب الجزائري بمنزل حمو الطاهر شقيق الشهيد حمو بوتليليس.

هذا وقد عمل الشيخ الزموشي على توسيع المدرسة لزيادة نشاطاتها وعدد تلامذتها، وقام لأجل ذلك بجولة عبر الوطن، رفقة دلال الغوتي بغية الحصول على الدعم المادي، وحصل لهم ذلك، فكان مصدر المال فتح عدد من الحمامات الشعبية. إلى جانب حصول الجمعية على بعض المال من الإخوة عمار (سيرك عمار) عند زيارتهم لوهران. كما كانت تحصل من حين لآخر على بعض الأموال من زوار وهران. إلى جانب المسرحيات التي كانت تعرض

[1] (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، نفس التقرير أعلاه.
[2] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 490.
[3] (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، نفس التقرير أعلاه.
[4] M^{eme} Zemmouchi et Autres, Opcit, pp 7-8
[5] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 487.

بالمدرسة وتعتبر مصدرا للأموال. وكذلك تبرعات الفنانين زوار وهران كما هو الحال بالنسبة للمطرب التونسي محمد جاموسي الذي قدم للجمعية مبلغا معتبرا[1].

وهكذا فقد تنوعت نشاطات الجمعية من التدريس، الندوات إلى المسرح والرياضة، بفضل تنشيطها لمباريات الملاكمة وكرة القدم. هذا إلى جانب تنظيمها لدورات استدراكية للتلاميذ أثناء العطلة، وكان الدكتور "نقاش" مسؤول وممون هذه الدروس. كما عمل أعضاؤها على تنمية المواهب لدى التلاميذ من خلال الاهتمام بالتربية البدنية، إلى جانب فتح مركز للتكوين في فن الخط، الرسم وأعمال النجارة. وكان يحتفظ بالانجازات لتقدم كهدايا رمزية لزوار المدرسة. ونشير هنا إلى مسرحية بعنوان "في خدمة العرش" التي قدمها جزائريون من وهران بجامع الزيتونة بتونس، وأسماؤهم كالآتي : "عيسى مسعودي" الذي أصبح فيما بعد سفيرا للجزائر بإندونيسيا إضافة إلى دوره أثناء الثورة، بن سنوسي محمد الملقب بـ"نهرو" والذي استشهد فيما بعد، شرفاوي الذي كان خطاطا (فن الخط) بإذاعة وهران، إلى جانب عفرات بلال والدكتور عبد الإله ميسوم المدير السابق للإذاعة والتلفزة الجزائرية بوهران. إلى الجانب السيدة سعيداني المديرة السابقة لملحق المدرسة الأساسية عائشة أم المؤمنين، وأخيرا فاطمة دياب[2]. غير أن هذه لم تسلم من القمع الإداري حيث تمت ملاحقة ممثليها* وبعض مدرسيها أمثال زدور الميلود، وعزوز الجيلالي طيلة صيف 1937[3].

وتواصلت نشاطات الجمعية حيث ساهمت في تقديم العون لضحايا زلزال شلف 1954 وذلك بجمع المساعدات وإرسالها إلى المناطق المتضررة.

وباندلاع ثورة نوفمبر 1954 عملت السلطات على تضييق الخناق على الجمعية ونشاطاتها، خاصة وأن أول شبكة لجبهة التحرير الوطني بوهران** – حسب شهادة بعض الأعضاء في الجمعية – كانت على اتصال بالحاج عسلة، ستظم دلال الغوتي الذي سيكثف من عمليات التوعية. وقد تعرض أعضاء الجمعية مرة أخرى، وعلى رأسهم الشيخ سعيد الزموشي للقمع، حيث أبعد دلال الغوتي إلى آفلو، والشيخ الياجوري إلى معسكر سنة 1956، في حين تعرض سعيد الزموشي للتعذيب والسجن لمدة ثلاثة أشهر، وعند إطلاق

---

[1] M^eme Zemmouchi et Autres, Opcit, pp 8 - 10

[2] M^eme Zemmouchi et Autres, Opcit, pp 11 - 13

* سنة 1937 كانت جمعية الفلاح برئاسة السيد "قوديح".

[3] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 269.

** كانت الشبكة باسم Réseau Claude وهو الاسم الثوري لسويح الهواري.

سراحه المؤقت استدعته جبهة التحرير الوطني ليلتحق بها في المغرب أين واصل نشاطاته هناك، إلى غاية وفاته سنة 1960. ونقل جثمانه سنة 1964 إلى مدرسة الفلاح بوهران ثم إلى المقبرة ليدفن بها.

وسرعان ما تزايدت المراقبة الاستعمارية للمدرسة حيث أمر رئيس البلدية (لامبار) "Lambert" بإغلاقها سنة 1956 بعد تفتيشها من قبل السلطات. وفيما بين 1958–1959، تحولت المدرسة إلى مقر لبعض قوات الجيش إلى غاية 1961. وقد عانى العديد من أعضائها الويلات بسبب المساءلات والتعذيب. وبعد انسحاب القوات الفرنسية عنها تمركزت بها قوات متنقلة تم تعيينها في الأحياء المسلمة بوهران. وبعد 1962 تحولت المدرسة إلى مقر للسجناء الذين تم إطلاق سراحهم بعد مفاوضات إيفيان[1].

وفي جويلية 1962 زار الأمير محمد بن مسعود رفقة سويح الهواري أول والٍ لولاية وهران بعد الاستقلال، وقد منح الأمير مبلغا معتبرا من المال للمدرسة، وأقيم غذاء رسمي على شرفه بالولاية. هذا إلى جانب زيارة مجموعة من علماء الأزهر الشريف لها، كما نشطوا محاضرات في جوامع مدينة وهران، والذين تمت دعوتهم من قبل السيد "دلال الغوتي".

بعد كل هذه النشاطات والأحداث الحافلة، تحولت المدرسة إلى قطاع وزارة التربية الوطنية، وأصبحت متوسطة منذ السنة الدراسية 1984 – 1985[2].

كان الطيب المهاجي من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بصفته عضوا مستشارا. وواصل نشاطه التعليمي إلى جانب نشاطاته في إطار مدرسة الفلاح، إلى جانب زدور ميلود المهاجي أحد أقاربه.

وتبين وثائق الأرشيف خضوع الشيخ الطيب المهاجي كباقي أعضاء جمعية العلماء والناشطين بجمعية الفلاح للمراقبة، حيث كان يتم تتبع حركاتهم واتصالاتهم، والزيارات التي يتلقونها كما هو الحال بالنسبة للزيارة التي قام بها كل من فاطمة عبد الرحمن (تاجر)، دلال الغوتي ونطاحي محمد إلى الشيخ الطيب المهاجي والسي حمّار لبيوض يوم 24 سبتمبر

---

[1] M^{eme} Zemmouchi & Autres, Opcit, pp 12 - 14

[2] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، الفترة الأولى (1920-1936)، الجزء 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 190.

1943، وكان هؤلاء مندوبين لجمعية الفلاح، ورغم عدم وجود معلومات عن تفاصيل هذه الزيارة، إلا أنها كانت منبعا للشكوك الفرنسية[1].

ومن جهة أخرى، فقد كان الشيخ الطيب المهاجي رئيسا للجمعية العقائدية الإسلامية بوهران، علما أن رئاسة هذه الجمعية كانت لبشطارزي بن عودة المستشار العام السابق. وبعد استقالته، اجتمع أعضاء الجمعية يوم 7 جوان 1942 وانتخبوا رئيسا جديدا لجمعيتهم "السيد مهداد" الذي كان أستاذا بالثانوي، والمساعد الثاني لرئيس بلدية وهران. بينما عين الشيخ الطيب المهاجي رئيسا للمجال الثقافي. وكانت الجمعية تعنى بتعليم اللغة العربية، بينما فرضت عليها السلطات الفرنسية تعليم اللغة الفرنسية جنبا إلى جنب مع اللغة العربية، حيث قامت السلطات بتوزيع أيام الدروس كالآتي :

- السبت، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء : يتم تعليم اللغة العربية صباحا، واللغة الفرنسية بعد الظهر.
- الجمعة : اللغة الفرنسية صباحا ومساءً.

وتم إتباع هذا التوزيع ابتداءً من أبريل 1940، وقد بلغ عدد تلاميذ هذه الجمعية حوالي 15 تلميذا سنة 1942، وكان معظمهم من سكان حي المدينة الجديدة (حي الزنوج سابقا).

لقد كانت هذه الجمعية رسمية معترفا بها من قبل السلطات الفرنسية التي كانت تخضعها لمراقبة مستمرة وخاصة فيما يتعلق بسير دروسها وبرامجها وطرق التعليم بها[2].

ونجد أن الشيخ الطيب المهاجي كان يحاول التوفيق بين نشاطه في هذه الجمعية، ونشاطه في إطار جمعية العلماء، على أنه كان مركزا على مواصلة إلقاء الدروس حتى أن ذلك كان قد منعه من التأليف. غير أنه كان يرى فيه أداة ووسيلة لبناء جيل المستقبل. وفي هذا الصدد نذكر بعضا من الكلمة التي ألقاها الشيخ الطيب المهاجي لتلاميذ مدرسة الخلدونية بتونس حيث قال : "إنكم رجال المستقبل، وإن أمتكم لتعلق على هذا المستقبل آمالا فسيحة الأرجاء وتبني على تلك الآمال صروحا من التمنيات التي تعتقد أنها ستغلبها بواسطة مجهوداتكم. كما

---

[1] مديرية الأرشيف لولاية وهران، السلسلة I11، العلبة رقم 4477، دراسة رقم 381/5، بتاريخ 1943/09/28.
[2] (م.أ.و.و)، السلسلة I11، العلبة رقم 4477، دراسة (م.إ.د)، عمالة وهران، بتاريخ 1942/10/28.

أن وطنكم يفرض عليكم أن ترفعوا مستواه حتى يتبوأ مركزا ساميا يليق به". ولعل هذا ما يفسر إصرار الشيخ على تعليم أبنائه رغم توسط حاله[1].

ووجد الطيب المهاجي في نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مجالا لتحقيق أهدافه، خاصة وأن علاقته بأعضائها كانت جد وطيدة، فقد كانت عائلة امهاجة محل احترام أعضائها. وهنا لابد من الإشارة إلى الزيارة التي قام بها الشيخ الطيب المهاجي إلى قسنطينة، أثناء عودته من تونس[2]*. وقد بقي بالمدينة يوما كاملا لقي فيه ترحيبا كبيرا من قبل الشيخ عبد الحميد بن باديس قائلا : "كان رحمه الله منصفا ليّن العريكة، وقافا عند الحق، لا يتعداه أبدا سواء ظهر على يده أو يد غيره...، وهكذا، كان رحمه الله سليم القلب طيب السريرة حسن الخلق"[3]. وعند زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوهران سنتي 1931 – 1932، استقبل من قبل الشيخ المهاجي الذي رافقه في جولته بالمدينة.

هذا وبتاريخ 16 أبريل 1952 أحيت جمعية الفلاح بوهران ذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس بمقر مدرسة الفلاح بوهران. وحضر الحفل حوالي 300 طفل من تلاميذ المدرسة، قاموا بمسيرة في أحياء وهران، حاملين لافتات كتب عليها باللغة العربية "إرشاد التربية أو تعليم الفلاح"، منشدين نشيد شعب الجزائر مسلم، إلى جانب تظاهرات ونشاطات أخرى تمت بهذه المناسبة[4].

ومن جهة أخرى، فقد واصل الشيخ تعليم القرآن العظيم وعلومه، وإصدار الفتاوى خاصة فيما يتعلق بحياة الناس والمواضيع الشائكة مثل قضية القرض بالفوائد، وحقوق الزوجة، وغيرها. كان الطيب المهاجي رحمه الله، يرى أن الدين ليس مجرد فرائض يمارسها المسلم، ولا مجرد معارف مسلم بها، بل هو علم يجب الاستعانة به في سبيل التطور الثقافي والاجتماعي وحتى الاقتصادي. كما كان يرى في الإسلام مجالا للانفتاح على العلم والتقدم[5].

وهنا لابد من الإشارة إلى المكانة التي كان ولازال هذا الشيخ – رحمه الله – يتمتع بها خاصة وأنه تمكن خلال الثورة التحريرية من إقامة الصلح بين مجموعتين من الفدائيين اشتد

---

[1] المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر...، ص 87.
[2] المصدر نفسه، ص 88.
* كانت رحلة الطيب المهاجي إلى تونس سنة 1929 وأمضى بها بضعة أيام. للاطلاع : الهواري ملاح، نفسه، ص 12.
[3] الصدر نفسه، ص 92.
[4] (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، التقرير أعلاه.
[5] EL KORSO Med, l'Islah, ses structures et ses hommes…, p 70

النزاع بينهما. هذا علما أن الشيخ المهاجي الطيب، وبعد ظهور الخلافات الداخلية انفصل عن نشاطه الرسمي داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وفضل الاكتفاء بالتعليم كرسالة كرّس جهده ووقته وعلمه لأدائها مدركا أهميتها في ظل الاستعمار وأهدافه الاستعمارية لطمس ملامح الشخصية الإسلامية، وشغل جل وقته بتكوين جيل واع متفقه، عالم بدينه. وبعد هذه المسيرة الحافلة، توفي – رحمه الله – يوم 7 أكتوبر 1969 بوهران عن عمر يناهز 88 سنة. وألقى الكلمة التأبينية الشيخ المهدي البوعبدلي، وشيع جنازته حوالي خمسين ألف شخص، ودفن بمقبرة "مول الدومة" بحي الصنوبر بوهران[1].

[1] الهواري ملاح، الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري...، ص 16.

المبحث الثاني : **نشأة وتكوين الطالب زدور القاسم**

1/ مولده ونشأته:

في كنف هذه الأسرة العريقة النسب، المعروفة بالعلم والتقوى، وفي ظل رعاية والده الشيخ الطيب المهاجي، ولد زدور القاسم يوم 02 فبراير 1923 على الساعة الثانية ظهرا بوهران، وكان عمر والده آنذاك ثلاثة وأربعين سنة. أما والدته فهي "دويلة خيرة"، وضعته وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها. تم تسجيله إداريا يوم 03 فبراير على العاشرة والنصف صباحا من طرف أحد جيران العائلة السيد "خرويشة قدور"، الذي كان هو الآخر رجل علم وعمره حوالي اثنان وخمسين سنة. وهكذا سجل زدرو القاسم باسمه الكامل زدور محمد إبراهيم القاسم، على شهادة الميلاد التي حملت رقم 497[1].

كان لزدور القاسم ثلاث أخوات : عيشة، فاطمة، يمينة. وأخوين هما محمد - الذي نعتمد في هذا العمل على شهادته - وأحمد الشريف. سكنوا بحي المدينة الجديدة، وكان عنوان منزلهم كما ذكر في شهادة ميلاد زدور القاسم : 14 طريق الصفراء (المدينة الجديدة حاليا)، وهران.

حفظ زدور القاسم القرآن العظيم وعمره لا يتجاوز التسع سنوات، شأنه في ذلك شأن والده الذي حفظ هو الآخر القرآن وهو في مثل هذه السن، وكان ذلك على يد هذا الأخير، الذي حرص على تلقينه علوم الدين واللغة. وكان يصطحبه رفقة أخيه محمد لحضور الدروس التي كان يلقيها بمدرسته بحي المدينة الجديدة بوهران[2].

وقد أعطى الشيخ الطيب المهاجي علوم القرآن من فقه وتفسير، واللغة العربية بعلومها الأولوية في تعليم أبنائه ثم يأتي تعليم الفرنسية في الدرجة الثانية. ذلك أن أغلب الجزائريين كانوا يعتقدون أن التعليم الفرنسي الذي شرعه المستعمرون لأولادهم، كان غرضه هدم الدين، وتمكين نفوذهم واستعمارهم في الجزائر بنشر لغتهم، وإعداد الجزائريين ليكونوا جندا لهم، فأعرضوا عن التعليم الفرنسي، ونظروا إلى المدارس الفرنسية بعين العداوة والخوف. وكان الآباء الأغنياء يدفعون الرشوة الكبيرة كي لا يكتب أبناؤهم للتعليم الفرنسي الذي كان إجباريا.

---

[1] نسخة من شهادة ميلاد زدور القاسم بتاريخ 1967/02/22، تحت رقم 497، الأرشيف العائلي.

[2] MAACHOU ABDELKADER ABDELJLIL, opcit, In. Le Quotidien d’Oran, 1er novembre 2000.

بينما كان الفقراء يقيمون المآتم في أول السنة الدراسية إذا أخذ أبناؤهم للالتحاق بالمدارس الفرنسية. غير أنه بظهور النهضة، وجد العلماء المسلمون أن التعليم الفرنسي مفيد إذا ربي الأبناء تربية دينية صحيحة، وعرفوا العربية وأخذوا حظهم من العلوم الدينية التي تحصن عقولهم. فدعوا إلى التعليم الفرنسي على هذا الشرط.

لذلك فقد استجاب عدد كبير من العائلات التي حصنت أبناءها بالتربية الدينية ثم أدخلوهم المدارس الفرنسية والجامعات فيما بعد، وكانوا بعلمهم واستقامتهم وغيرتهم واعتدادهم بدينهم وشخصيتهم الإسلامية الجزائرية دعاية حسنة للتعليم[1]. لذلك فإن الشيخ الطيب المهاجي جعل أبناءه يهتمون أيضا بالتعليم الفرنسي لما في ذلك من فائدة لهم ولوطنهم. فنجد أن ابنه محمد زدور مثلا أثناء دراسته بمدرسة "باستور" كان يزاول حفظ القرآن على يد والده، وبمجرد ختمه المصحف الشريف، وجهه والده إلى تلمسان ليواصل تعليمه بها. غير أن الظروف التي كانت سائدة هناك من اضطرابات وإضرابات منعته من مواصلة تعليمه[2].

والشيء نفسه بالنسبة لزدور القاسم، ففي الوقت الذي كان يتعلم فيه علوم الدين واللغة على يد والده، كان يزاول دراسته بمدرسة باستور بالمدينة الجديدة التي كان بها أقسام مختلطة (بنات – ذكور)، وبها أقلية جزائرية. حصل زدور القاسم عند نهاية دراسته بها على الشهادة الابتدائية وهو في الثالثة عشرة من عمره[3] أي حوالي 1936. هذا علما أن هذه الشهادة كان يتحصل عليها الطالب عند بلوغه سن السادسة عشرة من عمره. ولعل هذا دليل على قدرات زدور القاسم وإمكانياته، فقد كان تلميذا نجيبا، ذكيا، سريع الحفظ.

وفي هذا الصدد يصف الشيخ الطيب المهاجي ابنه القاسم قائلا : "... فقد كان هذا الولد البار الأنجب هو ثمرة عملي، ومنتهى أملي، ورزقي الحسي والمعنوي الدنيوي والأخروي، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنوات، وحاز شهادة اللغة الفرنسية وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم صار يحضر دروسي المتنوعة بجد واجتهاد بمزيد اعتناء مع ذكاء القريحة والفهم الثاقب والحرص الدائم حتى حصل على ما عندي..."[4]. وقد أكد لنا الدكتور بوذراع الذي أصبح فيما بعد جراحا بالمستشفى الجامعي بوهران، والذي كان أحد رفاق زدور القاسم بمدرسة باستور،

---

[1] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزء 2، الطبعة 1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، صص 5 – 6.

[2] شهادة زدور محمد شقيق زدور إبراهيم القاسم الأكبر، من مواليد 31 ماي 1920، حصل على شهادة التعليم الابتدائي بمدرسة باستور، عمل خمس سنوات بسلك العدالة، ثم اشتغل نائب مدير بديوان الحبوب إلى أن حصل على التقاعد.

[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/10.

[4] المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، نفسه، ص 105.

حيث ذكر أن زدور القاسم كان نبيها وذكيا وسريع الإجابة، دقيق التعليل. وقد كان المنبع الأول الذي كون شخصية زدور إبراهيم القاسم المهاجي هو المنزل والعائلة، إذ يؤدي المنزل دورا بالغا في تشكيل أخلاق الطفل، وسلوكه العام. ففيه يلتقي بالمعلم الأول وهو الأم. وفيه يتعلم المبادئ الأولى للدين. فالمنزل هو المكان الذي يقضي فيه الطفل سنواته الأولى التي يقول علماء التربية عنها أنها السنوات الحاسمة في حياته بتأثيرها على سلوكه وأخلاقه. وفي هذا الصدد يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله : "البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق..."[1].

ونظرا لدور المدرسة في تكوين شخصية الطفل، فقد عمد الشيخ الطيب المهاجي إلى ازدواجية تعلم ابنه، حيث أولى القرآن وعلومه الأهمية الكبرى، ليأتي بعد ذلك دور المدرسة، فهي أول مجتمع يتصل به الطفل بعد أسرته. ويحتك فيها بعدد كبير من الأطفال، من بيئات وطبقات مختلفة فيها الصالح والطالح. لذلك فقد كثف الشيخ الطيب المهاجي تعليم ابنه الدين الإسلامي، وعلوم القرآن واللغة العربية. وهذا ما يفسر حضور زدور القاسم الدروس الليلية التي كان يلقيها الشيخ في تفسير القرآن، وذلك رغم صغر سنه. ويبدو أن زدور القاسم كان قد حصل على رصيد معرفي كبير من والده لدرجة أنه كان في كثير من الأحيان وعند حضوره لحلقات الدرس مع والده، يناقش هذا الأخير ويحاوره لا في الأمور الدينية فحسب، بل وحتى في الأمور التاريخية والسياسية[2]. ويدل هذا على حسن اطلاع زدور القاسم وتتبعه لأحداث عصره، فقد كان نحبا للمعرفة مستزيدا منها. وعند بلوغه سن الخامسة عشرة من العمر كلفه والده بإمامة المصلين في صلاة التراويح[3].

كان لزدور القاسم معزة خاصة عند والده، فقد كان أقرب إخوته إلى قلب أبيه وأمه، نظرا لاستقامته وحسن سلوكه وحبه للعلم[4]. فشبّ زدور القاسم في بيئة علمية محضة، معظم رجالاتها من أهل العلم، ولعل أهمهم والده، والشيخ ميلود المهاجي الذي عرف هو الآخر في مدينة وهران بعلمه وورعه، والذي كان قد توجه إلى قسنطينة لمواصلة تعليمه، ومتابعة دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس، بعدما حفظ القرآن الكريم وأخذ علومه وقواعده وضبط

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة III، أكتوبر 1974، ص ص 291 – 293.
[2] شهادة زدور محمد بمنزله يوم 2001/05/10.
[3] شهادة زدرو محمد بمنزله يوم 2001/06/09.
[4] شهادة زدرو محمد بمنزله يوم 2001/06/09.

أصوله على شيوخ وفقهاء كبار وعلى رأسهم الشيخ الطيب المهاجي. وحصل منها على ما كان يسمى بالإذن أو الإجازة ليصبح بموجبها عضوا بارزا في أعلى هيئة علمية لجمعية العلماء المسلمين حيث أوكلت له مهمة العمل على فتح مدارس ومعاهد دينية في بعض المدن الكبرى كوهران وتلمسان وسيق، وقد كان له دور هام فيما بعد[1].

وبهذا كان لأسرته الدور الأول في بلورة شخصيته، وجعله محبا للعلم وأهله، ثم يأتي دور المجتمع في صقل شخصيته، فقد ترعرع بحي المدينة الجديدة أحد أعتق أحياء وهران، وكانت بها مدرسة الفلاح التي ساهم فيها والده الشيخ الطيب المهاجي إلى جانب الشيخ الميلود المهاجي، في فتحها، ومزاولة نشاطها. وكانت هذه المدرسة قد استقطبت عددا كبيرا من المحبين للعلم، والراغبين فيه. ففي هذه البيئة، وهذا المجتمع شب زدور القاسم، ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أهمية المجتمع بمؤسساته ومنظماته، وهيئاته الثقافية ونمط الحياة، وطرق التعامل بين أفراده، وعاداته وتقاليده. فالطفل يمتص منه أسلوب السلوك الذي يتعامل به، لذلك وجب التعاون والتنسيق بين المنزل والمدرسة في التربية الأخلاقية[2]، والعمل على توفير البيئة الصالحة التي لا تهدم ما يقوم به المنزل، والمدرسة. فالمجتمع في مدينة وهران كما هو الحال في باقي أنحاء الجزائر كان رافضا للسياسة الاستعمارية التي طبقت كل الأساليب لإخضاعه.

في هذه البيئة ترعرع زدور القاسم، وتبلورت شخصيته بفعل الأسرة والمدرسة والأسرة والمجتمع، فكون ذلك الرجل المحب للعلم وأهله المناهض للاستعمار وقهره، فكان مدركا للأساليب الاستعمارية الرامية إلى القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية. وفي هذه البيئة وهذا الوسط الاجتماعي عامة تتفتح نظرته على التيارات السياسية فيتشرب من معينها ويتأثر بتوجهاتها ويتشبع بأفكارها وأهدافها، ليرسم لنفسه أول طريق جديد ينتهجه مع زمرة ثانية من رفقاء الدرب الجديد.

ونورد هنا وصف المهاجي الطيب لابنه البار قائلا : "... لا يخرج إلا في أوقات قليلة مناسبة يأخذ فيها راحته وأفراد العائلة كلهم ينظرونه بعين الإجلال والإكبار مغتبطين بوجوده بينهم ويرغبون في أن لا يفارقهم طرفة عين لما هو عليه من كرم الأخلاق والشيم، فقد كان خفيف الروح رقيق الطبع طيب الحديث، حسن العشرة حتى مع الأجانب..." ويواصل قائلا :

---

[1] المهاجي قدور إبراهيم عمار، العلامة الشيخ ميلود المهاجي، الرجل الذي ظل منسيا، في جريدة الرأي، العدد 1018 بتاريخ 2001/08/30.
[2] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ص 294.

"فكانت رسائل الصداقة ترد عليه باستمرار تأتيه من أمريكا وهولندا وإيطاليا، يكاتبه بها أساتذة وأستاذات كانوا يتوددون إليه ويتودد إليهم أيام كانوا في سياحتهم بمصر فتأكدت بينه وبينهم روابط الصداقة والمودة..."[1].

تأثر زدور القاسم بالاتجاه الإصلاحي:

قبل التطرق إلى ما يحتوي العنوان، فإنه لابد من الإشارة إلى تطور الفكر الإصلاحي بالجزائر، وفي الوقت نفسه ظهور نجم شمال إفريقيا وتأثير هذين الاتجاهين في شخصية زدور القاسم.

فقد عانت الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي سنة 1830 من انحطاط كبير في المستوى العلمي، إذ قضى الاستعمار على معظم مراكز الثقافة واللغة العربية، من مدارس وجوامع وزوايا، فقد حوّل البعض منها إلى معاهد للثقافة الفرنسية. بينما سلّم البعض الآخر إلى الهيئات التبشيرية المسيحية لتنفيذ مخططاتها، بينما هدم عدد آخر منها بحجة إعادة تخطيط المدن الجزائرية. هذا إلى جانب نهب التراث الثقافي من مخطوطات ووثائق وكتب[2]. وفي هذا الصدد نذكر قول "ألكسيس دوطوكفيل" الذي أورده الدكتور أبو القاسم سعد الله حول هذا الموضوع حيث قال : "...جعلنا المجتمع الإسلامي (الجزائري) أكثر شقاء وأكثر بربرية مما كان عليه قبل وجودنا..."[3]. وقد وصف محمد فريد بك حالة التعليم والثقافة بالجزائر بعد الاحتلال بمرحلة الانكماش خلال جولته التي قام بها إلى الجزائر حيث ذكر: "...كانت ربوع العلم آهلة بالطلاب، وجوامع القطر الجزائري ملآ بالمعلمين والمتعلمين ودور الكتب عامرة بالمؤلفات والمطالعين...وكان الفتح الفرنساوي الضربة القاضية على العلم وأهله بسبب اشتغال جميع الأهالي بمحاربة المغيرين على بلادهم والدفاع عن ديارهم..."[4]. ومن جهة أخرى، فقد عانت اللغة العربية أشد المعاناة بسبب المساعي الفرنسية إلى إهمالها وجعلها لغة أجنبية في الجزائر. وهذا ما يؤكده قرار شوطان سنة 1938 الذي اعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، لا يجوز تعليمها في معاهد التعليم الحكومية أو الشعبية، وأن تعليمها

[1] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 106، الهامش 05.
[2] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية...، ص ص 93 – 94.
[3] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء 2، ص 61.
[4] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسرا...، ص 61.

ونشرها هو محاولة عدائية لصبغ الجزائر بالصبغة العربية[1]، علما أن حرمان الجزائريين من لغتهم لم يكن بهدف تعليمهم اللغة الفرنسية، إذ تشير إحصائيات 1948 أن 15% من الرجال و6% من النساء الجزائريين والجزائريات كانوا يستطيعون أن يتكلموا الفرنسية، و6% من الرجال و2% من النساء كانوا يستطيعون أن يكتبوا بها[2].

ومن جهة أخرى فقد كان للطرق الصوفية انتشار واسع، حيث بلغ عدد الزوايا بالجزائر 249 زاوية، وعدد أتباعها ومريديها 300.000[3]. بينما بلغ عددها في عمالة وهران ثمانية طرق[4]، علما أن عدد كبير من رجال الطرق الصوفية قد انحرفوا[*] عن الخط الذي رسمه المؤسسون الأوائل لتلك الطرق. كما أن هذه الأخيرة استُخدِمت من قبل المستعمر لتخذير العقول ونشر الخرافات والبدع[5]، كما عمل هؤلاء على بسط نفوذهم على السكان باسم الدين والتصوف الزائف، وإبعادهم عن مقاومة الاحتلال[6]. وقد ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي أنه خلال الدراسات التي أجراها بمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس عند اجتماعهما بالمدينة المنورة حول الوضع في الجزائر أنهما استنتجا أن الشعب الجزائري خاضع لاستعمارين، الأول استعمار مادي يعتمد على سلطة الحديد والنار وهو الاستعمار الفرنسي، والثاني روحي تمثله الطرق الصوفية وشيوخها. وكلاهما متعاضدان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوة ومظهرهما معا تجهيل الأمة، وتفقيرها حتى لا تسعى للثورة بالمال[7].

كان هذا هو الجو الثقافي والفكري الذي سيؤدي إلى ظهور الحركة الإصلاحية بقيادة عبد الحميد بن باديس، وآخرين ممن برزوا على مسرح الحياة الإسلامية منذ 1919[8]. فرغم محاولة فرنسا عزل الجزائريين عن العالم العربي والإسلامي، فإن توجه عدد من الشخصيات إلى المشرق العربي للدراسة أو الاتصالات عن طريق الحج، أو بقاء روابط بين المهاجرين

---

[1] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية...، ص ص 93 – 94.
[2] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2...، ص 64.
[3] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسرا...، ص 98.
[4] القورصو محمد، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران...، ص 18.
[*] يعرف تركي رابح في كتابه التعليم القومي والشخصية الوطنية (ص 120) رجال الطرق الصوفية المنحرفين بأنهم مشعوذون ومنحرفون عن جادة الدين الإسلامي، استطاعت فرنسا أن تكسبهم إلى جانبها فأصبحوا أداة في خدمة مصالحها.
[5] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسرا...، ص 99.
[6] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية...، 120.
[7] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسرا...، ص 100.
[8] أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 – 1945)، الطبعة 1، 1981، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ص 57.

إلى المشرق وأهاليهم بالجزائر، قد أبقى على تواصل العلاقات بين الجزائريين والعالم الخارجي[1].

وقد ظهرت النهضة العربية الإسلامية بشقين، فهناك حركة دينية ركزت على الإصلاح الديني والتعليم الإسلامي لنهضة الشعوب الإسلامية والعربية، وهي حركة جمال الدين الأفغاني[*] ومحمد عبده[**] ورشيد رضا[***] وغيرهم. وهناك حركة سياسية كانت تهدف لاستقلال الشعوب العربية خاصة تزعمها شكيب أرسلان منذ بداية ق 20م ، الذي اتصل بالشيخ محمد عبده، ورشيد رضا وغيرهم.

وهكذا فإن نهضة العالم العربي كانت نسيجا من الحركتين السياسية والإصلاحية الدينية[2].

أما عن الجزائر، فقد شهدت يقظة فكرية منذ بداية القرن 19م ويعود ذلك لعدة عوامل منها:

1- الصحافة العربية الشرقية التي كانت وسيلة اتصال واطلاع الجزائريين على أحوال العالمين العربي والإسلامي، وكان مصدرها إما تونس أو المغرب أو عن طريق الحجاج والمسافرين عبر المشرق العربي[3]. ومن بين هذه الجرائد والمجلات مجلة العروة الوثقى التي التي صدر أول عدد لها في 13 مارس 1884 في باريس، ولم تدم سوى ثمانية أشهر أصدرت فيها 18 عددا ليتم إيقافها عن الصدور بسبب البطش الاستعماري. كانت العروة الوثقى جريدة عربية تنتشر في العالم الإسلامي، تفهمه حقوقه وواجباته، وتلهب وطنيته. كما كان جمال الدين الأفغاني يدلي فيها بأفكاره ومعانيه بينما كان الشيخ محمد عبده مكلفا بصياغة الأفكار وتحريرها[4].

ورغم قصر عمر هذه المجلة، إلا أنها أثرت في قرائها بفضل المواضيع التي تطرقت لها، حيث فتحت عيون العرب على خطر الاستعمار وخاصة الجزائريين منهم، والذين حرصوا

---

[1] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، نفسه، ص ص 55 – 56.

[*] جمال الدين الأفغاني (1838 – 1897)، ولد بأفغانستان، كان خطيبا بارعا، دعا إلى الوحدة الإسلامية، له كتاب "إبطال مذهب الذهريين وبيان مفاسدهم".

[**] محمد عبده (1849 – 1905) ولد بمصر، دعا إلى الإصلاح، اتصل بجمال الدين الأفغاني، حرر جريدة "الوقائع المصرية"، اعتبر من أكبر المصلحين.

[***] محمد رشيد رضا (1865 – 1935) ولد بلبنان (القلمون)، صاحب مجلة المنار الصادرة بالقاهرة، درس على الشيخ محمد عبده، نشر تفسير القرآن على منهج محمد عبده.

[2] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي...، ص ص 54 – 55.

[3] أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...، ص 63.

[4] أمين أحمد، موسوعة أحمد أمين الإسلامية، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنة، ص 81.

على قراءتها وتبادلها[1]. ومن المواضيع التي تناولتها الجامعة الإسلامية المسألة السودانية، المصرية، الهندية[2]...

هذا إلى جانب مجلة المنار التي كان يصدرها محمد رشيد رضا بالقاهرة منذ 1898، والتي كانت تنشر آراء الشيخ محمد عبده وتدعو بدعوته، وتبث دروسه في التفسير، كان لها صدى كبيرٌ بين أوساط الجزائريين[3]. وقد طلب الجزائريون من الشيخ محمد عبده عند زيارته للجزائر سنة 1903 أن يوصي صاحب المنار (محمد رشيد رضا) بعدم التدخل في السياسة وعدم التعرض لفرنسا بسوء حتى لا تمنع دخولها إلى الجزائر. كما كانت هناك جرائد مثل "المؤيد" التي أسسها الشيخ علي يوسف بالقاهرة سنة 1889، وكانت تعرف رواجا بالمغرب العربي. وجريدة "اللواء" التي أسسها مصطفى كمال بالقاهرة سنة 1980، وعرفت باهتمامها بالكتابة عن أقطار المغرب العربي والجزائر[4].

ومن جهة أخرى، فقد تمكنت عدة شخصيات رغم الحواجز من التوجه إلى المشرق العربي للدراسة بجامعات الأزهر والقاهرة، وأخذت عن علمائها، ثم عادت مشبعة بالأفكار المتنوعة لتنشرها بين الجزائريين المتعطشين للغة العربية والعلوم الصحيحة. ومنهم البشير الإبراهيمي، المولود بن الصديق الحافظي، الطيب العقبي[5].

هذا إلى جانب إسهام عدد من رواد النهضة الإسلامية بمجهوداتهم الفردية عن طريق التدريس في المساجد والمدارس وتأليف الكتب[6]. ومن بين هؤلاء الشيخ عبد القادر المجاوي الذي ولد بتلمسان سنة 1848، وتوفي بقسنطينة سنة 1914[7][*]. اشتغل بالتدريس، فتخرج على على يديه عدد هام من العلماء الجزائريين أمثال حمدان لونيس. كما ساهم الشيخ في النهضة الجزائرية بكتبه التي بلغ عددها ثلاثة عشر كتابا[8]، ومحاضراته، ونشاطه في الصحافة. أما

---

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسرا...، ص 104.
[2] أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث...، ص 94.
[3] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة...، ص 28.
[4] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسرا...، ص ص 104 – 105.
[5] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، ج 1...، ص ص 55 – 56.
[6] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسرا، نفسه، ص 106.
[7] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية، ج 2...، ص 115، هامش رقم 33.
[*] يذكر تركي رابح أنه توفي سنة 1913.
[8] تركي رابح، المرجع نفسه، ص 106.

مؤلفاته فقد كانت موجهة ضد البدع والخرافات، والضلالات والآفات الاجتماعية، كما نادى بالإصلاح الاجتماعي والتعليم واليقظة[1].

كما كان للشيخ أبي القاسم الحفناوي (1852 – 1946)[2] دور أيضا حيث يعتبر من مشاهير مشاهير الجزائريين الذين ساهموا في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي لبلادهم. فقد ألف سنة 1907 موسوعة باسم "تعريف الخلف برجال السلف". كما نشر بالإسكندرية كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"[3].

وقد لعب الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866 – 1933) هو الآخر دورا في ظهور النهضة، فقد كان أحد الدعاة البارزين للجامعة الإسلامية في الجزائر[4]. اشتغل بالتعليم بالمدرسة الثعالبية الرسمية بالعاصمة. من بين مواقفه معارضته للتجنيد الإجباري[5]، وامتناعه وامتناعه عن إصدار فتوى تجيز محاربة الجزائريين للدولة العثمانية، حيث قال: "لا يجوز محاربة العثمانيين فهم دولتنا".

ونذكر أيضا محمد بن أبي شنب (1869 – 1929) الذي كان أستاذا للأدب العربي، والحضارة الإسلامية في كلية آداب جامعة الجزائر، وعضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق. ألف عدة كتب، وألقى عدة أبحاث في المؤتمرات الدولية للمستشرقين[6].

ومنهم الشيخ المولود بن الموهوب الذي تولى الإفتاء بقسنطينة سنة 1908، وكان أستاذا للفلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي في المدرسة الجزائرية الفرنسية بقسنطينة. ساهم في تنوير الكثير من الجزائريين بفضل المحاضرات التي كان يلقيها في نادي صالح باي. كما أثر في معاصريه بفضل مكانته الدينية وتعليمه الإسلامي والأوروبي. وأهم خطوة قام بها هي إعلانه الحرب ضد الجهل والكسل. وكان يرى أن سبب انحطاط الجزائر هو إهمال الآداب وإهمال دراسة الإسلام وتاريخه، وانتشارالفقر والجهل. كما ركز على ضرورة اهتمام فرنسا بإصلاح الوضع في الجزائر عن طريق مضاعفة عملها الحضاري بها بنشر التعليم الفرنسي والعربي، المساواة بين الجزائريين والكولون. كما دعى الجزائريين إلى دراسة العلوم

---

[1] سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 156.
[2] تركي رابح، المرجع نفسه، ص 107.
[3] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2...، ص 143.
[4] تركي رابح، المرجع نفسه، ص 108.
[5] سعد الله أبو القاسم...، ص 156.
[6] تركي رابح، المرجع نفسه، ص 109.

المتقدمة كالزراعة والطبيعة والكيمياء... وكان يرى أن الحضارة تعني العمل والعلم والتقدم والتسامح والتضامن[1].

ومنهم الشيخ مصطفى بن الخوجة (1865 – 1915) الذي كان له دور في يقظة الشعب الجزائري، فقد كان من أتباع الشيخ محمد عبده. أولى اهتماما كبيرا للمرأة ونهضتها، وألف كتاب "الاكتراث في حقوق الإناث". إلى جانب نشر وتحقيق مجموعة من كتب التراث العربي. واشتغل في جريدة "المبشر" الرسمية كمحرر (1886 – 1901)، ثم اشتغل مدرسا في مسجد سفير بالجزائر العاصمة، وكان يدرس التفسير، التوحيد، الفقه والأدب الفرنسي[2].

ومن بين العوامل الأخرى التي لعبت دورا في يقظة المجتمع الجزائري، الصحافة العربية الوطنية بالجزائر. فقد عرفت الجزائر فن الصحافة منذ دخول الفرنسيين إلى الجزائر، الذين بدأوا بمحاولة الغزو الفكري إلى جانب الغزو الاستعماري الاستيطاني. غير أن الملاحظ أن الجزائريين لم يعيروا هذا المجال أي اهتمام في بادئ الأمر لأنه كان يكتب بلغة لا يفهمونها، ولأن هذه الصحافة كانت تهتم بشؤون الغزاة من إدارة وجيش ومعمرين. كما أنها كانت سلاحا يخدم مصالح الفرنسيين[3]. وكانت أول جريدة صدرت باللغتين العربية والفرنسية بالجزائر سنة 1847 هي جريدة "المبشر"[4]. كما كان الصيام أول صحفي جزائري يظهر اسمه على أعمدة الصحافة[5]. أما أول صحيفة عربية وطنية جزائرية فهي جريدة "الحق" وهي أسبوعية أنشأها مجموعة من المصلحين سنة 1894 في عنابة[6]. هذا إلى جانب جرائد أخرى مثل ملحق الأخبار، المغرب، كوكب إفريقيا. وهي إما حكومية أو خاضعة لإشراف الحكومة[7].

كل هذه العوامل ساهمت في المحافظة على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومهدت الطريق للشيخ عبد الحميد بن باديس وحركته الإصلاحية. فلقد لعب كل من ابن الموهوب وعبد القادر المجاوي دورا هاما في الحركة الوطنية الجزائرية. كما ساهم ابن الموهوب في

---

[1] سعد الله أبو القاسم...، ص ص 157 - 162.
[2] تركي رابح، المرجع نفسه، ص 108.
[3] سيف الإسلام الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 2، ج 5، الجزائر 1984، ص 11.
[4] تركي رابح، المرجع نفسه أعلاه، ص 111.
[5] سيف الإسلام الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر...، ص 17.
[6] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة...، ص 7.
[7] تركي رابح، المرجع نفسه، ص 111.

حركة الجامعة الإسلامية، إذ نادى بالتضامن الإسلامي والوحدة، والعودة إلى منابع الإسلام الصافية[1].

2 – تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتأثر زدور إبراهيم القاسم المهاجي بها:

كانت تلك الكوكبة من العلماء والمصلحين ممهدة الطريق ليظهر جيل جديد من الشبان الذين توجهوا إلى تونس والمغرب والشرق الأدنى لمواصلة تعليمهم وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي والطيب العقبي. وكان هؤلاء زعماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي سيتم تأسيسها سنة 1931. وكان للجامعة العربية تأثير كبير في ميلادها، حيث ذكر الإبراهيمي أن جمعية العلماء مدينة بالكثير لمحمد رشيد رضا ومجلة المنار. وقد اعترف بذلك أن للجمعية جذورا عميقة في الحركة الإصلاحية بالشرق الأدنى[2].

وفي صباح يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349هـ/05 ماي 1931 تم تأسيس جمعية العلماء بمدينة الجزائر في المحل الثقافي الإسلامي "نادي الترقي"[3] بساحة العود سابقا[*]. تولى رئاستها منذ البداية الشيخ عبد الحميد بن باديس، من 1931 إلى سنة وفاته 1940، ليخلفه البشير الإبراهيمي من 1940 إلى 1956 أين قامت السلطات الفرنسية بحلها[4]. وقد تكون المجلس الإداري للجمعية في 5 جويلية 1931 من الشخصيات التالية :

- الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيسا.
- البشير الإبراهيمي : نائبه.
- محمد الأمين العمودي كاتبا عاما.
- الطيب العقبي نائبه.
- مبارك الميلي أمينا عاما للمال.
- إبراهيم بيوض نائبه.

بينما عيّن كل من المولود الحافظي، مولاي بن الشريف، الطيب المهاجي، سعيد الياجوري، حسن الطرابلسي عبد القادر القاسمي، محمد الفضيل الورتلاني أعضاء

---

[1] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع نفسه، ص ص 163 - 164.
[2] المرجع نفسه، ص ص 408 - 410.
[3] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي...، ج I، ص 185.
[*] ساحة العود بالجزائر العاصمة هي ساحة الشهداء حاليا.
[4] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية...، ص 201.

مستشارين[1]. وهكذا فقد كان الطيب المهاجي رحمه الله من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين. وبعد حدوث الانقسام داخل الجمعية، وظهور جمعية علماء السنة الجزائرية، ظل الطيب المهاجي عضوا في مجلس الإدارة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2].

وأما عن أهداف ومبادئ الجمعية، فكانت كما لخصها الإمام عبد الحميد بن باديس هي: العروبة والإسلام والعلم والفضيلة، "فهي جمعية إسلامية جزائرية في مدارها وأوضاعها، علمية في مبدئها وغايتها"، تهدف إلى تعليم الدين، واللغة العربية، وبعث الثقافة العربية الإسلامية في البلاد والحفاظ على مقومات الشخصية القومية للجزائر[3]. كما اهتمت بتقوية العقيدة ومحاربة البدع، ودعت للرجوع بالدين إلى أصله السلفي وتحرير الفكر من الجمود الذي كان يخيم على عقول المسلمين، وتطهير الدين من الخرافات والبدع التي أدخلت إليه وخاصة الطرقية في الجزائر ككل – وفي القطاع الوهراني بشكل خاص – حيث تمكنت الجمعية من محاربة هذه الأخيرة عن طريق نشر العلم والدعوة للإصلاح السلفي في النصف الأول من الثلاثينات، وفي نصفه الثاني. وقد حققت الجمعية عدة نجاحات خاصة بعد تأسيس فرعها وانتشار نشاطها عبر مدن ونواحي المنطقة[4].

ففي الوقت الذي كان فيه علماء الجزائر عرضة للاضطهاد والإهمال من قبل السلطات الفرنسية، ظهرت الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى، وأخذ المثقفون في العالم الإسلامي يتطلعون إلى أهدافها ومبادئها، ومنهم الجزائريون الذين انجذبوا إلى هذا الاتجاه، وحاولوا تطبيقه على مجتمعهم الذي كان يسوده الانحطاط ، وأصبح هذا الإصلاح أمرا ضروريا لتطور الجزائر ونهضتها[5].

استندت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإنجاح نهضتها في الناحية الغربية على مجموعة من الشخصيات ومنها محمد سعيد الزاهري[*] الذي كلف بتمثيل الحركة في مدينة وهران، التي استقر بها إلى جانب الشيخ "الزموشي" الذي عين بمدينة معسكر وسرعان ما

---

[1] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي...، ج 1، ص 190.
[2] المرجع نفسه، ص 245.
[3] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية...، ص ص 202 - 203.
[4] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني، (1900 – 1940)، ج 1...، ص 330.
[5] أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...، ص 54.
[*] كان عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1932 – 1936).

أصبح محل مراقبة السلطات بسبب نشاطه وتنقلاته. و"الشيخ ابن حلوش ولد بلقاسم" الذي كان قد انتخب عضوا إداريا في الجمعية، وعين بمدينة سيدي بلعباس. ولا نفوت بالذكر شخصيات أخرى قامت على كل منها النهضة الدينية مثل محمد إبراهيم زدور الميلود المهاجي الذي سبق ذكره، القنطري وغيرهم[1].

ركزت جمعية العلماء جهودها على المستويين الاجتماعي والثقافي، حيث أكدت على نشر التعليم العربي الحر والنوادي الثقافية والمجلات الأدبية، وحاربت الأمراض الاجتماعية. أما على المستوى السياسي، فقد كانوا يؤيدون فكرة كيان "أمة" جزائرية منفصلة عن فرنسا. كم دعوا إلى القومية العربية والجامعة الإسلامية، وعارضوا تجنيس وإدماج الجزائر بفرنسا[2]. فالعلماء كما ذكر كاتب فرنسي لهم هدفان هامان، أحدهما فوري والثاني طويل المدى. يتمثل الأول في تجميع كل القوى المثقفة تحت راية الإصلاح الاجتماعي، والثاني في فصل الجزائر عن فرنسا تحت علم الوطنية[3].

ولقد تقاسم أعضاء الجمعية الرئيسيون العلم فيما بينهم، ففي حين تكفل عبد الحميد بن باديس بنشر التعليم وتكوين الجمعيات المحلية، وجمع الأموال اللازمة للإنفاق في قسنطينة، قام البشير الإبراهيمي بنفس المهمة في القطاع الوهراني وكان مقره بمدينة تلمسان. بينما تولى الطيب العقبي مهمة الإشراف على نشاط الجمعية التعليمي والتهذيبي، والتربوي في عمالة الوسط مع التركيز على التنسيق بين نشاطاتهم[4].

وفعلا فقد تمكنت الجمعية من تحقيق جهود جبارة، فقد انتشر الإصلاح مثلا في كل من مستغانم، وهران، غليزان، المحمدية، تيارت، بني صاف، مغنية، ندرومة، بفضل تأسيس شعب الجمعية ومدارسها التعليمية إلى جانب مناطق أخرى مثل سعيدة، سبدو، السوقر، عمي موسى وغيرها. والملاحظة نفسها بالنسبة لقطاع الشرق والوسط، مما أثار مخاوف السلطات الفرنسية، فعمدت إلى منع رجالها من الوعظ والإرشاد في المساجد التي تقع تحت إشرافها. كما بدأت بإعاقة نشاطهم التعليمي كما هو الحال بالنسبة لمرسوم (ميشال) الذي نص على

[1] مهديد إبراهيم، المرجع نفسه، ص 333.
[2] سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 419.
[3] سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 420.
[4] تركي رابح، التعليم القومي...، ص ص 206 – 207.

غلق العديد من المدارس في تلمسان، سيق، سيدي بلعباس وغيرها، ثم تلاه قرار (رينيي)* في 30 مارس 1935[1]. كان هذا الاتجاه بأفكاره وأهدافه هو المدرسة الأولى لزدور إبراهيم القاسم الذي وجد عددا من أفراد عائلته يتبعونه، بهدف الإصلاح وتحسين وضع المجتمع والعودة بالإسلام إلى أصوله الصحيحة. ولعل هذا ما نجده في كتاباته بجريدة المنار التي سنتطرق إليها لاحقا.

3/ ميول وانتساب زدور القاسم للاتجاه الثوري الاستقلالي:

نعود هنا إلى موضوع الدراسة وهو شخصية زدور القاسم، الذي كان قد تربى وسط عائلة تشبعت بأفكار ومبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث كان والده الشيخ الطيب المهاجي مستشار الهيئة الإدارية لسنة 1931، وأعيد انتخابه سنة 1932[2]. وكان عدد من أفراد هذه العائلة يمارسون نشاطاتهم في إطارها، ولابد أن يكون زدور القاسم بحكم تأثره بشخصية والده، قد تشبع بأفكار جمعية العلماء المسلمين وأيدها في حركتها الإصلاحية.

* ظهور حزب الشعب وتأثره به :

وفي الوقت نفسه، فقد عرفت مرحلة نضجه وشبابه ظهور تيار جديد، وهو نجم شمال إفريقيا الذي تأسس في مارس 1926[3]. وهو يعتبر أول حركة سياسية جزائرية منظمة تنظيما حزبيا عصريا بجميع مؤهلاته[4]. كانت رئاسته الشرفية للأمير خالد، والفعلية للحاج علي عبد القادر* ليتولى بعده مصالي الحاج** القيادة سنة 1927[5]. وكان النجم قد بدأ على شكل جمعية تضم أعضاء من الجزائر والمغرب وتونس، تهدف إلى تدريب مسلمي شمال إفريقيا على الحياة في فرنسا والتنديد بجميع المظالم أمام الرأي العام[6]. ومع أن النجم لم يكن جزائريا في بدايته، إلا أن وجود مصالي الحاج على رأسه جعله يهتم أكثر بمصالح الجزائر، وهو ما

---

* **قرار ريني** : صدر في 5 أفريل 1935، نسبة إلى وزير الداخلية الفرنسي REGNIER ROLLIN، ركز القرار على معاقبة كل من يحرض الأهالي الجزائريين أو أهالي المستعمرات...على إثارة الشغب والمظاهرات ضد فرنسا في أي مكان.

[1] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني، ج 1...، ص 337.

[2] العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، نفسه، ج 1...، ص 119.

[3] MAHSAS Ahmed, Le mouvement révolutionnaire en Algérie…, p 51.

[4] العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، المرجع نفسه، ص 119.

* الحاج علي عبد القادر (1883 – 1957) ولد بسيدي سعادة (قرب غليزان)، لعب دورا هاما في تأسيس النجم في بداياته (1926 – 1928).

** مصالي الحاج (1898 – 1974)، رئيس نجم شمال إفريقيا، أسس حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وهو من مواليد تلمسان من أسرة ميسورة الحال مهنته الصيدلة.

[5] MAHSAS Ahmed, opcit, p 52.

[6] قداش محفوظ، قنانش محمد، نجم الشمال الإفريقي (1926 – 1937)، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص 40 – 41.

ظهر جليا في مؤتمر بروكسل الذي انعقد بين 10 و14 فبراير 1927، وفيه قدم أعضاء النجم عدة مطالب منها :

1- الاستقلال الكامل للجزائر.
2- جلاء الجيش الفرنسي وإنشاء جيش وطني.
3- مصادرة الأملاك الزراعية الموجودة بين أيدي الكولون والشركات.
4- إنشاء المدارس العربية[1].

غير أن السلطات الاستعمارية سرعان ما بدأت ترى في النجم خطرا عليها، لتقوم بحله سنة 1929 بحجة أن برنامجه يمس بأمن الدولة الفرنسية[2]. لكن ذلك لم يثن أعضاءه عن مواصلة نشاطهم، حيث أعادوا تأسيسه باسم جديد وهو "نجم شمال إفريقيا المجيد"[3] ليواصل نشاطه. وكان في كل مرة يلجأ إلى تغيير اسمه ليظهر من جديد كعمل تكتيكي يخوله القانون الفرنسي[4].

وقد عمل "مصالي الحاج" على توسيع قاعدة النجم، حيث اتصل "بمعروف بومدين ولد الحسين" وكلفه بتأسيس فرع للنجم بتلمسان، حيث شهد هذا الحزب انتشارا وتطورا في هذه المدينة فيما بين 1933 – 1935. ومنها أسست فروع أخرى في عين تموشنت ومستغانم وغيرها، إلى جانب إقامة عدة أندية مثل جمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي لمدينة مستغانم. وقد كانت محاولات النجم في الغرب الجزائري تهدف إلى تجسيد جانبه العقائدي ونشاطه السياسي، وذلك بغرس الفكر الاستقلالي والتحرري[5].

واصل النجم نشاطاته، ليتم حل حركة النجم الأخير يوم 26 جانفي 1937، ويقوم مصالي الحاج يوم 11 مارس 1937 بنناتير بباريس بتأسيس "حزب الشعب الجزائري" على مبادئ وأهداف النجم نفسها، غير أن الحزب الجديد كان أكثر تنظيما وأوسع انتشارا خاصة داخل الجزائر[6]. وكان أنصار الحزب في فترة انتقالية قصيرة قد لجأوا إلى استئناف نشاطهم تحت

---

[1] الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري...، ص 157.

[2] MAHSAS Ahmed, opcit, p 75.

[3] Opcit, p 98.

[4] العقون عبد الرحمان بن إبراهيم...، ص 119.

[5] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني، ج 2...، ص ص 429 - 433.

[6] مهديد إبراهيم، نجم الشمال الإفريقي، المرجع نفسه، ص 98.

غطاء "جمعية أحباب الأمة"[1]، و"جريدة الأمة" التي زاد عدد قرائها والمشتركين فيها، وسرعان ما ظهر لها انغراس في القطاع الوهراني، حيث يشير محافظ الشرطة في تلمسان أن أعضاء فرع النجم قد لجأوا إلى تغيير اسم جمعيتهم وأن الاشتراكات بدأت تدفع باسم "أحباب الأمة". والأهم من هذا هو استمرار نشاط الفرع القديم بعقد اجتماعات نصف شهرية لدراسة الإجراءات والأساليب الواجب اتخاذها لمواصلة نشر أفكار مصالي في العمالة الغربية. كما ستفاجأ الإدارة الاستعمارية باكتشاف فرع تابع لحزب الشعب الجزائري يضم أكثر من 300 منخرط بتيارت[2].

وقد كان لزيارة مصالي الحاج إلى وهران في نهاية جويلية 1937 دور في تشكيل فرع الحزب في مدينة وهران برئاسة "تركي عبد القادر". وقد عمد الحزب إلى أسلوب آخر للتعريف بآرائه وأهدافه، وهو كتابة الشعارات على الجدران، وضع الملصقات، توزيع المنشورات في الشوارع والاجتماعات العامة، إلقاء الخطب الوطنية في المهرجانات إلى جانب بيع النشيد الوطني للحزب في مدن ومراكز الغرب، وتسجيله على أسطوانات وضع عليها اسم أغنية مستعارة[3].

وخلال هذه الزيارة عُقِد بوهران بالحي العربي (المدينة الجديدة حاليا) اجتماع سياسي كبير نضّمه مسؤولو فرع النجم مع وفد مصالي الحاج الذي كان يضم مفدي زكريا، ولحول حسين، محمد مسطول وغيرهم. حضر هذا الاجتماع حوالي 500 شخص إلى جانب عناصر من الحزب الشيوعي[4].

ونعود هنا إلى القول أن زدور القاسم كان قد عايش هذه الفترة وأصبح من مناضلي حزب الشعب الجزائري[5]، ومن المتشبعين بأفكاره ومبادئه. وإذا علمنا أنه كان متأثرا بأفكار والده في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فيمكننا القول أنه كان مخضرما، متشبعا بالأفكار الإصلاحية التي أخذها عن والده، وبالأفكار الاستقلالية الثورية من مبادئ النجم ثم

---

[1] Kaddache Mahfoud, Histoire du Nationalisme Algérien, Question national et politique Algérienne (1919-1951), Tome I, p 487

[2] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني، ج II، نفسه، ص ص 475 - 477.

[3] مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني، ج II، نفسه، ص ص 478 - 481.

[4] المرجع نفسه، ص 481.

[5] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/06/08.

حزب الشعب الجزائري، ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. وظهر هذا الانتماء من خلال نشاطاته بتونس والقاهرة وحتى مقالاته التي كانت تعبر عن انتمائه وأفكاره.

ولابد من الإشارة هنا إلى أهمية التقارب الذي ظهر في هذه الفترة بين النجم وجمعية العلماء وبشكل رسمي في القطاع الوهراني. فقد استدعي مصالي الحاج من قبل نادي السعادة في فرع تلمسان رغم أن أعضاء هذا النادي كانوا يؤيدون سياسة المؤتمر الإسلامي التي عارضها النجم[1]. إلى جانب تكثيف هذا الأخير لاجتماعاته ولقاءاته بالإصلاحيين على المستوى القاعدي في النوادي وعلى مستوى مسؤولي الفروع في تلمسان مع البشير الإبراهيمي، وكذلك في بلعباس ومستغانم[2].

نستنتج من هذا أن النجم ثم حزب الشعب قد سعى إلى كسب العلماء وحرص على ربط علاقة طيبة بعهم. فقد كانوا يمثلون الجانب الثقافي والروحي للوطنية الجزائرية[3]، وكان لهم سلاح الدين واللغة، فهي كانت هيئة إصلاحية لها القدرة على التوعية الدينية والحفاظ على الشخصية والهوية الوطنية، بينما كان النجم يركز على السياسة في نشاطاته. هذا ونظرا لأهمية هذا التقارب، فقد حاول "شكيب أرسلان" عند زيارته لباريس دفع هذه المحاولة. كما أن "الحبيب بورقيبة" كان من مؤيدي التقارب بين حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث كان يقول: "لتحقيق نهضتها، فإن الجزائر تحتاج إلى كلا التيارين (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب)، أحدهما من أجل المحافظة على الإرث التاريخي، اللغة العربية والدين الإسلامي، والثاني من أجل تنظيم المقاومة[4]". ورغم كل هذه المحاولات، إلا أن عملية التقارب ظلت ضعيفة رغم أن حزب الشعب الجزائري بقي يظهر تعاطفه للعلماء حتى أواخر 1939[5].

ومع هذا فإن زدور القاسم كان يدرك أهمية الاتحاد بين التيارات السياسية، ليس فقط بين الجمعية وحزب الشعب، بل وحتى باقي الاتجاهات الأخرى، وهو ما لمسناه في مقاله الذي نشرته جريدة المنار حول قضية الاتحاد. أما عن ازدواجية تأثره بكل من النجم (حزب

---

[1] مهديد إبراهيم، المرجع نفسه، ص 485.
[2] المرجع نفسه، ص 437.
[3] Kaddache Mahfoud, opcit, p 553
[4] Ibid, p 553
[5] زوزو عبد الحميد، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 – 1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص137.

الشعب) وجمعية العلماء، فنستشفه أيضا من الأفكار التي كان يبثها في مقالاته مثل أهمية الثورة ضد المستعمر الغاشم، جلاء القوات الاستعمارية، أهمية العروبة والإسلام، معارضة التجنيس وغيرها من الأفكار الأخرى.

الفصل الثاني

بداية نشاط زدور إبراهيم القاسم المهاجي السياسي

المبحث 1 : أحداث ماي 1945 الدامية

المبحث 2 : مشاركة زدور إبراهيم القاسم المهاجي في أحداث ماي 1945

المبحث 1 : **أحداث ماي 1945 الدامية**

1/تنظيم مظاهرات ماي 1945 بالجزائر:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، جاء الاحتفال بعيد العمال في الفاتح من ماي 1945، فخرج الجزائريون للقيام بمظاهرات سلمية كبقية شعوب العالم. كان الهدف من المظاهرات التنديد بالسياسة الاستعمارية والتعبير عن آمال الجزائريين[1]. وقد أصدرت "حركة أحباب البيان والحرية" أمرا بالمشاركة مع الفرنسيين في تظاهراتهم مع رفع لافتات تحمل قرارات ميثاق الأطلسي. وقد اغتنم حزب الشعب الجزائري، الذي كان ينشط في السر، الفرصة للمشاركة في المظاهرات، وذلك بتنظيم مسيرات في أكثر المدن والقرى، منفصلة عن المسيرات التي ينظمها الفرنسيون[2]. كما أعطى الأوامر بالتظاهر في مواكب متميزة عن مواكب النقابيين، وبتحضير لافتات بشعارات وطنية محضة : تحرير مصالي وتحرير المعتقلين السياسيين، برلمان جزائري، الاستقلال. وقد كان حزب الشعب يريد أن يبرهن للحلفاء أن للجزائر متحدثين باسم الشعب الجزائري غير السلطات الفرنسية[3]. كما أعدت لافتات أخرى كتب عليها "من حرية الشعوب"، "تحيا الجزائر الحرة والمستقلة"، تسقط الامبريالية"[4].

وعن تنظيم هذه المظاهرات، والإعداد لها فيذكر بعض الكتاب أن اجتماعا سريا جمع كل من "مصالي الحاج"، "فرحات عباس" و"البشير الإبراهيمي" في قصر الشلالة نهاية أبريل 1945، تم فيه الاتفاق على برنامج محدود تتم فيه مهاجمة الإدارة الفرنسية والاستعمار. بينما يرى كاتب آخر أنهم اتفقوا على القيام بمظاهرة عامة يوم 01 ماي 1945[5].

أما عن أسباب هذه الأحداث فهي متعددة ومنها تدهور أوضاع الجزائريين أثناء الحرب العالمية الثانية، بسبب التجنيد واستغلال الثروات. إلى جانب الإجراءات الردعية التي

---

[1] Mahsas Ahmed, opcit, p 196.

[2] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، ج 2...، ص 318.

[3] صاري الجيلالي، قداش محفوظ، المقاومة السياسية 1900 – 1954، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص79.

[4] Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme Algérien…, T II, p 703

[5] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، الطبعة 4، 1992، بيروت، ص 233.

تعرضت لها الأحزاب الوطنية، حيث أقدمت الإدارة الفرنسية على اتخاذ مجموعة من التدابير مثل قرار 26 أوت 1939 القاضي بمنع جرائد حزب الشعب والحزب الشيوعي. ثم حل حزب الشعب الجزائري يوم 1 أكتوبر 1939، وكذا اعتقال مناضليه[1]. هذا إلى جانب تخاذل فرنسا في تنفيذ وعودها للجزائريين، وتغاضيها عن الحركة المنظمة التي قام بها الوطنيون[2].

ورغم وجود جدل حول الجهة التي دعت إلى هذه المظاهرات، إلا أن المتفق عليه هو أن حزب الشعب الجزائري هو المنظم الرئيسي[3]، حيث إن كل مظاهرات 1 ماي 1945 و8 ماي 1945 حملت الشعارات نفسها، وتميزت بالتواجد الفعلي لمسئولي حزب الشعب الجزائري المحليين[4]. ورغم كونه منحلا رسميا، إلا أن مناصريه انضموا خلال الحرب العالمية الثانية إلى أحباب البيان والحرية لضمان تجمع مناصريه. وحافظ الحزب على تنظيمه السري[5] حتى حتى أن الدكتور "أبا القاسم سعد الله" يذكر أن أصول أحداث ماي 1945 تعود إلى إنشاء أحباب البيان والحرية في مارس 1944 وما تَلا ذلك من نشاط ودعاية ويقظة وطنية[6]، خاصة خاصة أن العمل المشترك في نطاق أحباب البيان والحرية لم يجعل حدا لنشاط أي حزب، وبالتالي لم يجعل حدا لأعمال حزب الشعب الجزائري في دائرته السرية بل زادته نشاطا وتدعيما[7].

ومع أن المظاهرات بدأت سلمية، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى أحداث دامية شارك في قمعها كل من قوات الجيش، الجندرمة، الشرطة والمستوطنون الأوروبيون المسلحون بأسلحة نارية[8]. وانتشرت هذه المظاهرات في العديد من المدن بداية بـ"سطيف"، "قالمة"، "خراطة" ثم امتدت إلى مدن أخرى مثل تيزي وزو، جيجل، البرواقية، بوسعادة، مستغانم، تلمسان، سيدي بلعباس، العلمة، خنشلة، باتنة، بسكرة، وهران، سعيدة، قسنطينة، شرشال وتيارت[9].

---

[1] رخيلة عامر، 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 31.
[2] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3...، الطبعة 4، نفسه، ص 242.
[3] رخيلة عامر، المرجع نفسه، ص ص 60 – 65.
[4] المرجع نفسه، ص 65.
[5] Mahsas Ahmed, opcit, p 197.
[6] سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 227.
[7] العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، المرجع نفسه، ج 2، ص 316.
[8] رخيلة عامر، المرجع نفسه، ص 70.
[9] Ained Tabet Redouane, 8 Mai 45 en Algérie, OPU, Alger, 1987, pp 220 – 271.

كان هدف حزب الشعب الجزائري التأكيد للحلفاء مدى تعلق الشعب الجزائري بـ"مبادئ ولسن"*، وخاصة مبدأ "حق الشعوب في تقرير مصيرها". وكان الأمر بالنسبة لحزب الشعب يتعلق بتظاهرة سياسية سلمية[1]، والهدف منها الضغط على الفرنسيين بإظهار قوة الحركة الوطنية ووعي الشعب الجزائري بمطالبه[2].

وقد صادف يوم 8 ماي 1945 في سطيف سوق الاثنين، وقعت فيه أحداث عنف بدأت بسطيف ثم انتقلت إلى مدن أخرى. وقد اشترك في المظاهرات هذه حوالي سبعة أو ثمانية آلاف شخص. وقد توجهوا إلى وسط المدينة، لتطلق رصاصة مفاجئة أصابت طفلا كان يحمل العلم الجزائري، وسرعان ما تفرقت الجموع وبدأت الاشتباكات لتنتشر في كل المناطق[3]. وقد وصف الدكتور صلاح العقاد هذه المظاهرات قائلا : "...طورد المسلمون في المدن والقرى والمداشر...، وعمت المذابح...، وكانت المصفحات الفرنسية تسير صفا فتدمر القرى على رأس من فيها من رجال ونساء وأطفال،... وهنالك قرى أخرى دمرت بالطائرات تدميرا فلم يبق منها شيء..."[4].

وقد اختلفت تقديرات عدد الضحايا. فبينما صرحت الحكومة الفرنسية بـ 1500 قتيل من الجزائريين، صرح الجزائريون بحوالي 4500 ضحية[5]. هذا بينما بدأت عملية الاعتقالات، حيث بلغ عدد المعتقلين حوالي 4560 من بينهم 3696 من عمالة قسنطينة، 505 من عمالة وهران، 359 من عمالة الجزائر. في حين حكم على 99 شخص بالإعدام الذي نفذ في 22 منهم. و4 حكم عليهم بالأعمال الشاقة المؤبدة، و329 بالأعمال الشاقة لمدة محدودة. هذا في حين أن العدد الحقيقي للمحكوم عليه بالإعدام بلغ 151، نفذ الحكم في 28 منهم، فيما بلغ العدد الحقيقي للاعتقالات 1476[6].

وقد عانى المعتقلون من أنواع التعذيب، كما تعددت الاعتقالات، فوجد مثلا الاعتقال المؤقت حيث خضع مئات الآلاف من الجزائريين بصفة معتقل مؤقت، بحجة الحجز الإداري

* هي مجموعة من المبادئ جاء بها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "ولسن"، عددها 14 مبدأ، أهمها حق الشعوب في تقرير مصيرها.
1 قداش محفوظ، صاري الجيلالي، المقاومة السياسية،...، ص 79.
2 سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ...، ص 233.
3 المرجع نفسه، ص 351.
4 العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، المرجع نفسه، ج 2، ص 351.
5 Kaddache Mahfoud, opcit, T II, p 718.
6 Ained Tabet Redouane, opcit, p 78.

لاستتباب الأمن[1]. بينما مورست أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات، وهذا ما عبر عنه العديد من المناضلين في شهاداتهم[2].

2) انعكاسات أحداث ماي 1945 الدامية على الحركة الوطنية وتأثيراتها على المناضلين الوطنيين:

لقد كان لأحداث ماي 1945 انعكاسات هامة في تاريخ الحركة الوطنية، حيث تعتبر منعطفا حاسما لها. فقد أظهرت للشعب الجزائري الوجه الحقيقي للاستعمار الذي صمم وبالقوة على منع أية محاولة لإعادة السيادة الوطنية، وتحقيق الاستقلال. وكان على الجزائر أن تبقى فرنسية ومصيرها مرتبط بمصير الشعب الفرنسي[3].

وإلى جانب الأعمال القمعية التي ذكرت، فقد قامت السلطات الفرنسية بتاريخ 14 ماي 1945 بحل حركة أحباب البيان والحرية[4]. في حين تم اعتقال كل من فرحات عباس والشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[5]، وعشرات الآلاف من رجالها رجالها وأنصارها وأتباع الحركات الوطنية الأخرى، ولم يطلق سراحهم إلا بصدور العفو العام يوم 16 مارس 1946[6].

غير أنه بعد مرور خمسة أشهر فقط على أحداث ماي 1945، جاءت انتخابات المجلس التأسيسي الأول يوم 21 أكتوبر 1945، في الوقت الذي كان فيه كل من فرحات عباس، مصالي الحاج والبشير الإبراهيمي رهن الاعتقال. كما تم توزيع منشور يدعو الناخبين الجزائريين للامتناع عن المشاركة[7]. وفعلا فقد لقي هذا المنشور استجابة كبيرة[*]. غير أن السلطات الفرنسية حاولت امتصاص الغضب الشعبي وتهدئة الوضع بإصدار قرار العفو العام في 16 مارس 1946 أين تم إطلاق سراح قادة كل من "حركة أحباب البيان والحرية"، و"حزب الشعب الجزائري" المنحل، و"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين". وبمجرد

---

[1] رخيلة عامر، 08 ماي 1945، المرجع أعلاه، ص 84.

[2] Ained Tabet Redouane, opcit, p 79.

[3] قداش محفوظ، صاري الجيلالي، المقاومة السياسية، ...، ص 82.

[4] Mahsas Ahmed, opcit, p 217.

[5] رخيلة عامر، المرجع نفسه، ص 85.

[6] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية، ...، ج 3، ص ص 239 – 240.

[7] Mahsas Ahmed, opcit, p 213.

[*] كانت المشاركة في المجلس التأسيسي الأول ضئيلة جدا، إذ لم تتجاوز 70.500 منخب من أصل 1.350.000 مسجل. في حين شاركت اتحادية المنتخبين المسلمين وحصلت على سبعة مقاعد من أصل 13 مقعدا للقسم الثاني. انظر رخيلة عامر، نفسه، ص 88.

خروجه من السجن أسس فرحات عباس "حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري". بينما أسس مصالي الحاج "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية".

ولعل أهم ما يميز هذه الفترة هو ظهور القانون الخاص بالجزائر، وهو ما يعرف بـ"دستور 1947"**، الذي تمت المصادقة عليه من طرف البرلمان في 20 سبتمبر من السنة نفسها. وشرع في تطبيقه ابتداءً من أبريل 1948[1]. كما تم تشكيل المنظمة الخاصة بقيادة "محمد بلوزداد"***. غير أن السلطات الفرنسية تمكنت في أبريل 1950 من اكتشافها ليتم إلقاء القبض على معظم أعضائها****. وظهرت بعد ذلك أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1953 والتي انقسم الحزب على إثرها إلى ثلاث اتجاهات : المركزيين، المصاليين، وأنصار المنظمة الخاصة ليكون هؤلاء المعدين لثورة نوفمبر 1954 بعد تشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس 1954. ويليها اجتماع 22 في جويلية 1954 ثم لجنة الخمسة التي ضمت "محمد العربي بن مهيدي"، "مصطفى بن بوالعيد"، ديدوش مراد"، رابح بيطاط" و"محمد بوضياف". ثم أصبحت لجنة الستة بعد تعيين "كريم بلقاسم" منسقا لأعمال اللجنة التي بدأت بالتحضير الفعلي للثورة[2].

** دستور 1947، Statut d'Algérie، عرف بالقانون الأساسي للجزائر. ويشتمل على ثماني أبواب، وستين مادة. أقره وصادق عليه المجلس الوطني الفرنسي ورئيس الجمهورية الفرنسي فانسان أوريل V. Auriol وحكومة Paul Ramadier.

[1] رخيلة عامر، المرجع أعلاه، ص 89.

*** محمد بلوزداد (1924 – 1952)، عضو في حزب الشعب. استبدل نتيجة لمرضه وخلفه آيت أحمد سنة 1948. وبعد الأزمة البربرية خلفه أحمد بن بلة على رئاسة المنظمة الخاصة.

**** تم اكتشاف المنظمة الخاصة على إثر قيام الملقب برحيم بإعلام شرطة تبسة عن هذه المنظمة بعد خلاف بينه وبين مسؤوليه داخل حركة النتصار للحريات الديمقراطية بتبسة، الذي تم إقصاؤه منها.

[2] رخيلة عامر، المرجع نفسه، ص 158.

المبحث 2: مشاركة زدور القاسم في أحداث ماي1945 الدامية

1) أحداث ماي 45 بالغرب الجزائري:

واصل أنصار حزب الشعب الجزائري المحل نشاطاتهم في إطار "حركة أحباب البيان والحرية" التي تأسست في مارس 1944[1]. وكان زدور القاسم أحد هؤلاء، وكان سنة 1945 قد بلغ 22 ربيعا، وهمّ إلى تعلم اللغة الألمانية ليزيد من رصيده العلمي ولاستغلال قدراته[2]. كان زدور القاسم في هذه المرحلة شديد الاهتمام بالتطورات السياسية، ومتتبعا للأخبار الدولية من خلال إطلاعه الواسع على الصحف الفرنسية الصادرة آنذاك، كما هو الحال بالنسبة لـ Oran Républicain وL'Echo d'Oran، خاصة وأنه كان قد أتقن اللغة الفرنسية[3].

وعند بداية أحداث ماي 1945 بالشرق الجزائري، كانت خلايا حزب الشعب بالقطاع الوهراني تنتظر وصول التعليمات. كما أن سرعة تطور الأحداث في القطاع القسنطيني جعلت قيادة حزب الشعب الجزائري تطلب من مناضلي بقية المناطق بأن يكثفوا من أعمالهم ليؤيدوا هذا القطاع[4]. وفعلا بدأت المشاجرات مع بعض الفرق العسكرية، بينما تم الاعتداء في تيارت على مقبرة قديمة للأوروبيين في 15 ماي 1945[5].

وقد شهدت سعيدة، هي الأخرى، التحركات نفسها، حيث ذكر الحاج فيلالي مبارك أحد المشاركين في عملية الهجوم على بلدية سعيدة أنهم كانوا مستعدين وفي انتظار وصول التعليمات، التي وصلتهم فعلا بعد مجازر سطيف، قالمة وخراطة، وذلك بعد اجتماع عقد بوهران، أين تمكن السيد بلقصير أحد مناضلي حزب الشعب القدامى والذي كان مسؤولا في حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بسعيدة فيما

بين (1938 – 1954)[6]*، من إيصال الأوامر عبر القطار إلى سعيدة، حيث قدمها إلى امرأة كانت ترتدي الحايك، تؤدي مهمة الاتصال. وفعلا بدأت التحركات بسعيدة، إذ تم تنظيم

---

[1] سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ج 3، ص 227.
[2] Maâchou Abdelkader Abdeljelil, « Zedour Kacem » une lutte et ses racines, In. Le Quotidien d'Oran, 01/11/2000.
[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.
[4] قداش محفوظ وصاري الجيلالي، المقاومة السياسية، المرجع نفسه، ص 80.
[5] Kaddache Mahfoud, opcit, p 89.
[6] Stora Benjamin, Dictionnaire Biographique de militants nationalistes Algériens, 1926-1954, Préface de Harbi Mohamed, Ed. l'Hamarttan, 1985, p 228.

أربع هجومات، منها إحراق مكتب البلدية بها الكائن وسط المدينة. وكذلك قاعة الاجتماعات بالطابق الأول، بينما قام آخرون بقطع 17 خطا هاتفيا لمنع الاتصالات عنها[1]. وفي الوقت نفسه حاول فريق آخر إتلاف طريق السكة الحديدية لكنهم لم يتمكنوا من ذلك. بينما قام آخرون بإحراق ذخيرة الخشب الخاصة بالإدارة. تميزت هذه العمليات بحسن التنظيم كتلك التي ظهرت بكامل القطر الجزائري ليلة 01 نوفمبر 1954.

هذا ما جعل السلطات الفرنسية المحلية تكرس كل طاقاتها وجهودها للبحث عن مصدر هذه العمليات، وسيتطلب ذلك شهرا كاملا لإيقاف المتورطين. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لولا حدوث تسرب للمعلومات بسعيدة لما تمكنت القوات الفرنسية من القبض على المتسببين بهذه الحوادث. أما عن حادثة خروج المعلومات، فتعود إلى أن اجتماعات خلايا الحزب التي كانت تعقد، كان يتم فيها وضع محضر الاجتماع، تسجل فيه أسماء الحاضرين وتاريخ الاجتماع، يكون المحضر في نسختين، توجه الأولى إلى العاصمة بينما يتم الاحتفاظ بالثاني كأرشيف في علبة بها العلم الجزائري الذي كانت تعقد الاجتماعات بوجوده. كانت العلبة مخبأة عند "طالب" وهو معلم بمدرسة قرآنية**، عضو في الحزب. غير أن الذي حدث هو أن هذا الأخير، وعند توجهه أحد الأيام إلى "السوق السوداء" ببشار لشراء بعض حاجياته، قامت منظفة البيت بالعبث بالعلبة، ففتشتها. ولإشباع فضولها بسبب عدم تمكنها من فهم محتوى هذه الأخيرة، أخذتها إلى جارتها الإسبانية لتستغل هذه الأخيرة الفرصة، وتتوجه مباشرة إلى قسم الشرطة للإبلاغ، ليتم الكشف عن كل الأعضاء المشاركين في عملية سعيدة. وتم إلقاء القبض عليهم يوم 16 جوان، وكان عددهم حوالي 75 عضوا[2]، تعرضوا للتعذيب بقسم الشرطة بسعيدة، ليتم نقلهم إلى وهران، والحكم عليهم ابتداءً من 16 نوفمبر 1945. وقد تم الحكم على كل من "قاضي حنفي"، "خلاف عمروش"، "لحسن ميموني"، "عطا الله بن حرمة"، "بلقصير عبد القادر"*، "إبراهيم أحمد" بالإعدام، بينما حكم على كل من "عثماني حمادوش"، "قاسمي محمد"، "مبارك موفق" بالسجن المؤبد[3].

---

* بلقصير عبد القادر (1900-1967) من مواليد مشرية، كان خياطا التحق بحزب الشعب قبل الحرب العالمية الثانية، بعد حوادث ماي 1945 حكم عليه بالإعدام. سطورا بنجامين، نفسه، ص 228.

[1] Ained Tabet Redouane, opcit, pp 90-91.

** الرجل كان اسمه "عبد الله" وكان أول من ألقي عليه القبض بعد اكتشاف الخلايا بسعيدة.

[2] Ibid.

[3] Opcit, p 92.

2) إلقاء القبض الاستعماري على زدور القاسم بعد أحداث ماي 45 :

أما عن زدور القاسم، فقد كان في هذه الفترة مهتما بتتبع تطور الأحداث من خلال متابعته للجرائد الصادرة حيث كان قد حصل على رصيد ثقافي يؤهله للخوض في غمار السياسة، علما أنه كان أحد المناضلين في حزب الشعب الجزائري[1]، الذي كان لا يزال في إطاره السري. وقد نفى زدور محمد شقيق زدور القاسم الأكبر مشاركة هذا الأخير في هذه المظاهرات التي سنحاول إعطاء لمحة عنها من خلال الشهادة التي أدلى بها سويح الهواري بتاريخ 23 أكتوبر 1986 والتي ذكر فيها ما يلي حول أحداث 1 ماي 1945 بوهران : "بالنسبة لأول ماي احتفالا بعيد العمال، وبتوجيهات من الحزب، بتنظيم تجمعين الأول بحي الحمري "ساحة الصحراء" (المدينة الجديدة حاليا) وذلك بإدارة وتنشيط معمر عبد الله أحد مناضلي الحزب...، بينما كان التجمع الثاني بمقر "حركة أحباب البيان والحرية" وخارجه بالمدينة الجديدة".

ويواصل قائلا أنه كان بمنصب أمين عام لحركة أحباب البيان والحرية بينما كان معاشو عبد القادر مسؤولا عن الخزينة. ذلك أن تعليمات الحزب ركزت على أن يكون مسيرو هذه التجمعات ذوي مناصب هامة، بينما كان حمو بوتليليس مسؤولا عن التنسيق بين التجمعين. وقد بلغ عدد المشاركين في هذه المظاهرة حوالي عشرة آلاف شخص، وكان على رأسها "الحاج صالح عبد القادر" الملقب بالحشايشي، و"صحراوي عبد الهادي" المعروف بدادي. وقد رفع المتظاهرون حوالي 12 لافتة كتب عليها "أطلقوا سراح المعتقلين السياسيين"، "الجزائر حرة"، الدستور". صنعت هذه اللافتات من القماش الأبيض. بدأت المظاهرة فيما بين الحادية عشر والنصف صباحا ومنتصف النهار، وقد نشطتها زغاريد النساء، ووصلت بعد عبورها لعدة أحياء إلى وسط المدينة، أين تمكنت قوات الشرطة من إيقافها، وقتل أحد المتظاهرين. فيما جرح حوالي 15 شخصا تم نقلهم لمعالجتهم من طرف الدكتور "جليل حسين" وبعض المناضلين الذين يمارسون مهمة التمريض. كما ألقي القبض على المدعوين دادي والحشايشي. بينما تمكن سويح الهواري من الفرار رفقة معاشو عبد القادر إلى العاصمة. ولكن سرعان ما تم التعرف عليه وإلقاء القبض عليه، ونقل إلى سجن وهران

---

[1] Maâchou Abdelkader Abdeljelil, opcit.

المدني إلى أن ظهرت العمليات بسعيدة. ثم حول إلى السجن العسكري Château Neuf[1] الذي تعرض فيه لمختلف أنواع التعذيب، وحكم عليه بعدها بالسجن لمدة عام ونصف بسبب نشره لمنشور باللغة العربية، يعلم فيه بتأسيس الجامعة العربية، والحكم الآخر لمدة ثلاث سنوات بتهمة المساس بالأمن الداخلي والخارجي للدولة. كما تم إصدار مجموعة من الأحكام بالإعدام أو السجن المؤبد على المتسببين في هجومات سعيدة[2].

ويواصل سويح الهواري شهادته، حيث ذكر أنه التقى في السجن بإخوان آخرين نقلوا من تلمسان، سيدي بلعباس، سعيدة، معسكر، غليزان، تيارت، بشار، عين الصفراء، البيض، عين تموشنت، أرزيو، السانية، كريشتل، مسرغين وغيرها. وما يهمنا أكثر من هذه الشهادة هو أنه ذكر لقاءه في القاعة نفسها بكل من زدور إبراهيم القاسم، بن عربة، قادري عبد القادر، بن شراب حسين، دلال بومدين، عباس أحمد كبير محمد وآخرين. وهكذا فإن هذه المظاهرة قد ضمت مناضلين من حزب الشعب وعبرت أحياء وهران من حي المدينة الجديدة التي كان زدور القاسم يسكنها. أما عن إلقاء القبض عليه مباشرة بعد بداية الأحداث في سعيدة، فيعود إلى حادثة تسرب المعلومات والتي أدت إلى إلقاء القبض على معظم منظمي هجومات سعيدة. وقد ذكر اسم "زدور القاسم" في الوثائق التي كانت مخبأة عند معلم المدرسة "الطالب"[3].

أما عن النشاطات في السجن، فيذكر إبراهيم أحمد* أحد منظمي هجومات سعيدة، عن حياته في السجن قائلا أنهم تمكنوا في بعض الأحيان من عقد الاجتماعات، وخياطة العلم الجزائري بواسطة الأغطية المخصصة لهم. بينما ذكر لنا الحاج محمد أن زدور القاسم، وبحكم حفظه للقرآن، وتعلمه على والده علوم القرآن والفقه، كان يؤم المصلين في صلاة التراويح. هذا إلى جانب تمكنه في كثير من الأحيان من رفع معنويات رفاقه، فكان يخفف عنهم آلام السجن بتجويده للقرآن الكريم[4]*.

---

[1] Ained Tabet Redouane, opcit, Annexe xxxv, pp 264-265.
[2] Opcit, p 264

[3] شهادة زدور محمد بمنزله يوم 2001/05/10.
* كان إبراهيم أحمد سنة 1945 يدرس بالسنة الثالثة إكمالي، ويعمل ببلدية سعيدة، وتمكن من أن يسرب آلة كتابة وبعض الوثائق الخاصة بالبلدية. حكم عليه بالإعدام يوم 1945/11/16.
* الحاج مبارك بوريغ هو أحد المشاركين في هجومات سعيدة، وقد حكم عليه بالإعدام على إثر إلقاء القبض عليه.
[4] شهادة الحاج مبارك بوريغ، مقتبسة من يوم دراسي بعنوان زدور إبراهيم بلقاسم الشهيد بلا قبر، الذكرى 45 لاستشهاد الطالب زدور إبراهيم بلقاسم؛ إعداد مصلحة الحفظ والتوثيق والأرشيف، متحف المجاهد بوهران، ماي 1999.

وهكذا فقد ألقي القبض على زدور القاسم كونه مناضلا في حزب الشعب، وبسبب العثور على اسمه مكتوبا في الوثائق التي اكتشفت بسعيدة، علما أن أغلب المعتقلين كانوا من أعضاء حزب الشعب الجزائري رغم كونه كان محلا من الناحية الرسمية، ومناضلوه كانوا ينشطون سرا، تم إلقاء القبض عليهم دون تهمة واضحة[1].

أمضى زدور القاسم مدة تسعة أشهر بالسجن ليتم إصدار الحكم عليه ومن معه يوم 29 يناير 1946 بالمحكمة العسكرية لوهران. وقد أدين عشرة أشخاص بينما تم إطلاق سراح أحد عشر شخصا. كانت المحكمة العسكرية برئاسة العقيد فرقون Vergonne، وتم نشر الخبر عن المحاكمة في جريدة Oran Républicain بتاريخ 31 يناير 1946. وذكر اجتماع المحكمة حول الواحد والعشرين عضوا في حزب الشعب الجزائري، والمتهمين بالمساس بأمن الدولة، مرافعة كل من المحامي LaFaille، Susanne Koehl، Konqui، Suzy Astruc، Pauc Brison، Berguerand. وقد تم إصدار الأحكام التالية :

1 – الحكم على فيلالي مبارك (الملقب بمنصور) بالإعدام ومصادرة الأملاك. وكان الحكم غيابيا لأن هذا الأخير كان فارا.

2- الحكم على عياد أحمد وبن عمر محمد الملقب بـ (عبد الله) بثلاث سنوات سجنا ومصادرة أملاكهما[2].

3 – الحكم على دلاس بومدين وسويح الهواري بالسجن لمدة 30 شهرا، ومصادرة الأملاك.

4 – الحكم على زباري إبراهيم ولد محمد بالسجن لمدة سنة، وصحراوي محمد بالسجن لمدة تسعة أشهر.

5 – الحكم على شملول بن عيسى، العياشي عبد المومن وجردي ديغالة بالسجن لمدة ثمانية أشهر.

6 – أما كل من معمر عبد الله، صلاحي أرزقي، بوشنتوف عبد القادر، بن عربة عبد القادر، بن شراب حسين، زدور القاسم، مسعودي أحمد، ديدة بوعمر، حمر العين عبد القادر،

---

[1] Ained Tabet Redouane, opcit, p 79.
[2] Oran Républicain, n° 3168, Mercredi 30/01/1946.

فقد تمت تبرئتهم[1]. والملحق رقم 16 يمثل إعلام بالخروج Avis de sortie صادر عن السجن العسكري بوهران بتاريخ 30 يناير 1946[2].

فنتيجة لحذر زدور القاسم، وسرية نشاطاته، ورغم إلقاء القبض عليه فإن السلطات الفرنسية لم تجد أدلة لإدانته، ومع ذلك فقد كان من بين الذين تم إلقاء القبض عليهم بتهمة تهديد أمن الدولة[3]. ذلك أن السلطات الاستعمارية وبعد نهاية هذه الأحداث، شرعت في محاولة لمعالجة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وبدأت بمراجعة ملفات المعتقلين، وسرحت من لم تجد ضدهم أي تهمة، بعدما أوقفوا مؤقتا "للأمن"، وترسل إلى السجون والمنافي من تدعي أنهم مجرمون[4].

وبعد إطلاق سراح زدور القاسم، وإصدار قرار العفو العام يوم 16 مارس 1946، نتيجة لتواصل المراقبة الفرنسية لتحركاته، فضل الهجرة إلى تونس لمواصلة تعليمه بها[5]، وللابتعاد عن الخطر الذي بات يحيط به بعدما أصيب بخيبة أمل نتيجة لأحداث ماي 1945. واقتنع كباقي أنصار ومناضلي حزب الشعب الجزائري بضرورة تغيير سبل النضال وتدعيمها بالعمل العسكري. لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في حياة زدور القاسم، ولأول مرة خارج حدود بلاده، نحو تونس وجامعها الكبير.

لقد ألغت مجازر ماي 1945 لدى عدد كبير من الجزائريين إمكانية الحصول على الاستقلال والحرية والأهداف الوطنية عن طريق النضال السياسي، وفتحت الطريق أمام العناصر الثورية لتحقيق أهدافها بأسلوبها.

---

[1] Ibid.

[2] الأرشيف العائلي، الملحق رقم 16.

[3] Stora Benjamin, Dictionnaire Biographique, ..., p 223.

[4] بن عقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، ج 2، ...، ص 363.

[5] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/10.

الفصل الثالث

هجرة زدور إبراهيم القاسم المهاجي للدراسة ودوره السياسي

المبحث 1 : هجرته إلى تونس ونشاطه بها (1946 – 1949)

المبحث 2 : هجرة زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى القاهرة للدراسة ونشاطه السياسي بها (1949 -1954)

المبحث 1 : **هجرته إلى تونس ونشاطه بها (1946 – 1949)**

1/ الأوضاع السياسية بتونس وأهمية جامع الزيتونة 1945 – 1949 :

بنهاية الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء، تقهقر العالم الأوروبي القديم، وانتشرت مبادئ وأفكار جديدة منها حق الشعوب في تقرير مصيرها، واحترام حقوق الإنسان. هذه الأفكار نشرت آفاقا جديدة بين أوساط الشعوب ومناضليها. وقد كانت تونس باندلاع الحرب العالمية الثانية تضم العديد من التشكيلات السياسية والقوى التي لا يمكن تحديدها[1].

فقد كان الدستور القديم الذي تأسس سنة 1928[2] يضم تحت لوائه أصوات البرجوازية التقليدية. علما أن هذا الحزب كان بقيادة عبد العزيز الثعالبي[*]، وضعفت قوته أمام التيارات الجديدة، وحل نهائيا سنة 1944[3]. وكان "الحزب الشيوعي" الذي تأسس سنة 1919 يستقطب الطبقات الكادحة فرنسية كانت أو تونسية. إلى جانب الشبيبة الزيتونية التي كانت تضم طلبة الجامع الأعظم. وحزب الدستور الجديد الذي كان يضم خاصة "المثقفين المتوسطي البيئة غالبا والبعيدين عن الأرستقراطية والبرجوازية... والكثيرون من أعضائه كانوا قد ناضلوا في فرنسا داخل الأحزاب اليسارية... وهم يتمسكون ويؤيدون السيادة التونسية المظهر الشرعي للأمة التونسية[4].

وكان بعض الأعضاء المؤسسون لهذا الحزب قد انضموا من قبل إلى الحزب[5] ليضم إليه الحركة العالمية، حيث أصبح يمثل حركة شعبية شاملة يمتد نشاطه ليشمل الكادحين، وأبناء الطبقة العاملة في القرى. كان الحزب يعتمد على سياسة القوة للحصول على الهدف المنشود، بينما كان زعماء حزب الدستور القديم يعتمدون سياسة التدرج في تحقيق المطالب. وسرعان ما بدأت عمليات القمع الاستعمارية، إذ تعرض الحزب للحل وسجن بعض زعمائه سنة 1934 ليضطر نتيجة لظهور مقاومة السكان في تونس إلى إطلاق سراحهم.

---

[1] الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، سراس للنشر، تونس 1985، ص 129.
[2] أمين سمير، المغرب العربي الحديث، ترجمة كميل ق. داغر، دار الحداثة، الطبعة 1، 1980، ص 139.
[*] من بين النقاط التي طالب بها عبد العزيز الثعالبي تغيير نظام الحماية ومنح التونسيين حريتهم.
[3] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985، ص 374.
[4] زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1997، ص 75.
[5] بوقريوة لمياء، العلاقات الجزائرية التونسية، 1954 – 1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، 2005-2006، ص 41.

ظلت الأوضاع على هذه الحال، وبنهاية الحرب العالمية الثانية، توجه "الحبيب بورقيبة"* سنة 1945 إلى مصر، وطاف عددا من البلاد العربية لشرح القضية التونسية، ليتولى الحزب بعده "صالح بن يوسف" الذي كان سكرتيرا عاما للحزب[1]. وفي هذه الفترة، كانت فرنسا تعمل على استخدام الشدة مع التونسيين حيث كانت تحاول منحهم بعض الإصلاحات فقط مقابل حصولها على الاعتراف بسيادة مزدوجة على تونس (فرنسية تونسية). كما قامت سنة 1945 بزيادة عدد الأعضاء التونسيين في المجلس الاستشاري ليصبحوا بذلك متساوين مع عدد الفرنسيين. وقامت بتشكيل لجنة عليا تتكون من سبعة أعضاء عن كل قسم لوضع الميزانية. وقررت زيادة عدد الوزراء التونسيين في مجلس الوزراء. غير أن كل هذه الإصلاحات كانت داخلية ولا تمس مشكلة تونس السياسية واستقلالها، وكانت تهدف إلى تحويل السيادة التونسية غير التامة إلى سيادة تونسية فرنسية[2].هذا ونظم حزب الدستور الجديد مؤتمرا وطنيا عاما للمطالبة بالاستقلال التام والانضمام إلى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة. شارك فيه الدستور القديم، ومندوب من الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي أسسه فرحات حشاد يوم 20 يناير 1946. وقد بلغ عدد منخرطيه سنة 1950 حوالي 100 ألف[3]. صدرت قرارات هذا المؤتمر في شكل ميثاق وطني أعلن سقوط الحماية، وكان هذا أول مطلب في تاريخ الحماية في تونس ينبذ نظام الحماية، ويؤكد صفة تونس العربية وضرورة انضمامها إلى جامعة الدول العربية بعد حصولها على الاستقلال[4]. غير أن السلطات الفرنسية سرعان ما باغتت المجتمعين واعتقلتهم، مما أدى إلى ظهور اضطرابات شعبية بتونس فرضت على السلطات الفرنسية تغيير أسلوبها واتباع نوع من اللين. فغيرت المقيم العام الفرنسي، وشكلت وزارة حيادية برئاسة "مصطفى الكعاك"، ثم وزارة "شنيق" الذي قدم مجموعة مطالب إلى الحكومة الفرنسية، رفضتها هذه الأخيرة. غير أن انعقاد اجتماع هيئة الأمم المتحدة سنة 1952، وإدراج القضية التونسية في اجتماعاتها ومقاطعة فرنسا لهذا الاجتماع أدى إلى انتشار غضب شعبي كبير اضطر فرنسا إلى إصدار وعد

* **الحبيب بورقيبة** : ولد في السنوات الأولى من القرن 20م بالمنستير في وسط متواضع. دخل المعهد الصادقي سنة 1913. رحل إلى باريس سنة 1924 أين درس القانون والعلوم السياسية. عاد إل تونس سنة 1927 ليواصل النضال، سنة 1945 توجه خفية إلى مصر بعد تأسيس الجامعة العربية.

[1] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، ص ص 479 – 480.

[2] يحي جلال، العالم العربي الحديث، دار المعارف، 1966، ص 504.

[3] الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، دار المعارف، 1966، ص 504.

[4] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، ص 506.

صريح للباي بالاستقلال من ماندس فرانس عرف باسم "تصريح قرطاجة"[1]، ذلك أن عودة "بورقيبة" بعد غياب طويل (1945 – 1949)[2] كان قد حدد إستراتيجية تونس نحو الحكم الذاتي الداخلي ثم الاستقلال. ووافقت فرنسا تحت الضغط على التفاوض، وكان على حكومة "شنيق" أن تعد التطور نحو الحكم الذاتي الداخلي بمشاركة حزب الدستور[3].

غير أن وتيرة المفاوضات سرعان ما توقفت بسبب رفض فرنسا في ديسمبر 1951 مطلب انتخاب برلمان تونسي، وقامت بمنع انعقاد مؤتمر الحزب، وتم إلقاء القبض على "الحبيب بورقيبة" و"محمد شنيق". وخلال سنة 1954 شكل الفلاحون مجموعات مسلحة ثائرة عرفت باسم الفلاقة[4]، كان معظمهم من الشبان الريفيين المعوزين[5]. وهكذا فقد كان وصول (ماندس فرانس) أفقا جديدا للقضية حيث سارع إلى إطلاق سراح بورقيبة، وتم توقيع الاتفاقات الفرنسية التونسية سنة 1955 التي كانت تهيئ للحكم الذاتي الداخلي[6]. غير ان الشعب لم يقبل يقبل بهذه الاتفاقية التي واجهها بعدة اضطرابات، لتضطر فرنسا في الأخير إلى الاعتراف بالاستقلال الكامل للبلاد مع احتفاظها بقاعدة بنزرت البحرية في 30 مارس 1956، وتم إلغاء الملكية وأعلن عن قيام الجمهورية في 15 جوان 1957، لتبدأ عملية تصفية القواعد العسكرية، وآخرها كانت قاعدة بنزرت البحرية التي غادرتها القوات الفرنسية في أكتوبر 1963[7].

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن توجه "الحبيب بورقيبة" إلى القاهرة واحتكاكه بالوطنيين هناك أدى إلى ظهور تحول كبير في اتجاه حزب الدستور الجديد. فقد أصبحت صفة العروبة واضحة، وأصبح هو نفسه يميل بشكل كبير لفكرة التضامن العربي وبموافقة كاملة على العمل في إطار العروبة[8].

وقد تميزت الفترة التي تواجد فيها زدور إبراهيم القاسم المهاجي بتونس بغياب الحبيب بورقيبة الذي كان بمصر، وبتكثيف نشاط الأحزاب السياسية ولو بالطرق التقليدية، من

---

[1] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، نفسه، ص 132.
[2] المرجع نفسه، ص 132.
[3] أمين سمير، المغرب العربي الحديث، نفسه، ص 140.
[4] المرجع نفسه، ص 141.
[5] الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، ...، ص 135.
[6] أمين سمير، المرجع نفسه، ص 141.
[7] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، ص 481.
[8] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، ص 507.

مقالات صحفية ولوائح واجتماعات وإضرابات ومظاهرات عامة. ومن جهة أخرى فقد وحدت التشكيلات السياسية جهودها بين فبراير وماي 1945 ثم صيف 1946 بقصد تقديم برنامج موحد إضافة إلى النشاط البارز الذي قام به الاتحاد العام التونسي للشغل، وخاصة من خلال تعاونها مع الحزب الدستوري الجديد حيث ارتفع عدد منخرطي هذا الاتحاد من عشرين ألف سنة 1946 إلى حوالي مائة ألف سنة 1950[1]. كل هذه الظروف جعلت زدور إبراهيم القاسم المهاجي يتأثر بالأوضاع التي يعيشها ويتشبع أكثر فأكثر بأهمية النضال والمثابرة لمواجهة الاستعمار. وهذا التأثر سنلمسه من خلال مقالاته التي كتبها في جريدة "المنار" أثناء مزاولته لدراسته بالقاهرة.

بعد إطلاق سراحه، توجه زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة الذي هو من أقدم المؤسسات التعليمية العربية الإسلامية. وقد واصل دوره التعليمي منذ حوالي ثلاثة عشر قرنا[2].وقد تمتع هذا الجامع حتى أوائل القرن 19م باستقلالية مطلقة لتنظيم تعليمه وضبط برامج دراساته. غير أن الاهتمام بشؤون التعليم فيه لم يظهر إلا منذ 1842 حيث تم تنظيم الدروس فيه. وفي سنة 1876* تم إعطاء دفع جديد للتعليم الديني والقانوني والأدبي الملقى بالجامعة.

وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881، سعت السلطات الاستعمارية جاهدة إلى تحويل الجامعة الزيتونية إلى مؤسسة عصرية من مؤسسات التعليم العالي، وإدماجها في أجهزة التعليم الرسمي. غير أن هذه المساعي قد فشلت من جهة بسبب معارضة كبار مشايخها، ومن جهة أخرى بسبب مناهضة المعمرين لسياسة الإصلاح الهادفة إلى تحسين أوضاع الأهالي[3].

وقد تميزت إصلاحات الوزير خير الدين في إصدار قانون يتكون من 67 فصلا يسعى إلى تجديد الثقافة العربية الإسلامية وجعلها مواكبة للعلوم العصرية والعلوم الحديثة. غير أن هذا الإصلاح جعل المواد العصرية اختيارية مما أدى إلى عدم الاكتراث بها. وقد تميز قانون

[1] الشريف محمد الهادي، ...، ص 131.
[2] الزيدي علي، تاريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية (1951-1965)، تقديم الأستاذ عبد الجليل التميمي، منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات، العدد 16، تونس 1986، ص 9.
* بعد سنة واحدة من تأسيس المدرسة الصادقية على يد الوزير خير الدين بدأت عملية الإصلاح الفعلي بجامع الزيتونة.
[3] العياشي مختار، البيئة الزيتونية (1910-1945)، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية، تعريب حمادي الساحلي، دار التركي للنشر، تونس 190، ص ص 23 – 24.

1912 بتقسيمه لمواد الدراسة بالجامع إلى إجبارية واختيارية، إلى جانب إدخال بعض المواد العصرية مثل التاريخ، الجغرافيا، الحساب، الهيئة، المساحة... غير أن هذا الإجراء لم يطبق فعلا[1].

وفي سنة 1933 ظهر قانون جديد للإصلاح، أضاف إلى برنامج التعليم الزيتوني في المرحلة الابتدائية والمتوسطة مواد إجبارية تمثلت في العلوم الرياضية والعصرية (الحساب، الجبر، المساحة، مبادئ الكيمياء، الطبيعة، مبادئ حفظ الصحة، خصائص الأشياء، التاريخ والجغرافيا)، هذا مع تخصيص أكثر الوقت للعلوم الشرعية. وقد تواصل تدريس هذه العلوم حتى سنة 1939[*]، وظل الأمر كذلك إلى غاية ظهور الشعبة العصرية الزيتونية[**] سنة 1951[2].

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن طرق التدريس بهذه الجامعة ظلت قديمة وتقليدية، تهدف أساسا إلى تخريج علماء الشريعة الإسلامية، إلى جانب مشاكل أخرى كان يعاني منها مثل قضية التفاوت في السن بين تلاميذ كل قسم بسبب عدم اشتراط السن في الانضمام إليه. إلى جانب عدم اعتراف الجامعات الأخرى، ما عدا الأزهر، بالشهادات الزيتونية[3].

وقد انتقد الشيخ عبد الحميد بن باديس أساليب التربية ومناهجها في جامع الزيتونة، وذلك بسبب عنايتها بـ"الفروع وإهمال الأصول". إلى جانب الاهتمام الزائد بتحصيل علوم الوسائل من نحو وصرف وإهمال علوم المقاصد من فقه وحديث[*]. وذكر أن مناهج التعليم في الزيتونة وطرق التدريس بها لا يؤدي إلى تحقيق الهدف من التربية الإسلامي. ويذكر مثلا أنه حصل على شهادة العالمية من الزيتونة (1908-1912) دون أن يدرس آية واحدة في تفسير القرآن[4]. هذا وقد اقترح الشيخ عبد الحميد بن باديس محاولة إصلاحية لمناهج التعليم بجامع الزيتونة كي تتفق مع أهداف التربية الإسلامية الحقيقية. وشمل هذا الاقتراح سائر مراحل

---

[1] الزيدي علي، ...، ص 45.
[*] كان التلاميذ الزيتونيون خلال الأربعينيات يدرسون هذه العلوم بمعهد الخلدونية في عهد شيخه محمد الطاهر بن عاشور، وكان نجاح التلاميذ وحصولهم على شهادة التحصيل متوقف على النجاح في المواد العصرية الزيتونية (1951-1965)، الزيدي، ص 46.
[**] الشعبة الزيتونية هي آخر تجربة إصلاحية في تاريخ التعليم الزيتوني، ظهرت مع مطلع السنة الدراسية (1951-1952)، وانتهت في السنة الدراسية (1964-1965) بموجب مشروع إصلاح التعليم التونسي سنة 1958 والقائم على توحيد التعليم بتونس.
[2] الزيدي علي، المرجع نفسه، ص 46.
[3] المرجع نفسه، ص 47.
[*] قسم علماء التربية الإسلامية العلوم إلى قسمين : علوم المقاصد وهي التي تقصد لذاتها كالشرعيات والفلسفة، وعلوم الوسائل التي تعتبر علوم آلية ليست مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة كالنحو بالنسبة للشرعيات والمنطق بالنسبة للفلسفة.
[4] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص ص 309-310.

التعليم، وبعث به إلى لجنة إصلاح التعليم التي شكلها باي تونس سنة 1931، ثم نشره في مجلة الشهاب بعنوان "إصلاح التعليم بجامع الزيتونة، عمره الله"[1].

2/ أوضاع جمعية الطلبة الجزائريين بتونس:

لعب جامع الزيتونة دورا هاما في الحياة الفكرية للجزائريين، إلى جانب مؤازرتهم ورفع معنوياتهم. ذلك أن الطلبة المتمدرسين بهذا الجامع قد اهتموا بتأسيس الجمعيات وتفعيلها والانخراط في الأندية والعمل في إطارها[2].

غير أن ما ميز أوضاع التعليم بالزيتونة سواء بالنسبة للجزائريين أو غيرهم، كان سوء الظروف وصعوبة الحياة وقسوتها بشكل عام. وهذا رغم أن السلطات كانت قد وفرت مدرسة خاصة لإقامة الطلبة الجزائريين وهي مدرسة سيدي العجمي. بينما تمتع طلبة بني ميزاب بظروف أحسن لكونهم على المذهب الإباضي الذي ينتسب إليه بعض أبناء جزيرة جربة[3].

أما عن الحالة المادية للطلبة الزيتونيين، فقد كانت جد سيئة. كما أن معظم مساكنهم[**] كانت تفتقر إلى الماء الصالح للشرب، والكهرباء، لذلك استعمل الطلبة المصابيح البترولية. كما زودت كل مدرسة، تعاني من قلة المياه الصالحة للشرب، ببئر غير نظيفة. كما كانت هذه السكنات قديمة وجدرانها مبقعة، أبوابها متخلخلة، مراحيضها غير نظيفة. وتميزت الغرف بضيقها إذ لم تكن مساحتها تتجاوز أربعة أمتار مربعة، إلى جانب انتشار الرطوبة بها. وبما أنه كان يحق للطلبة المتحصلين على غرفة إحدى المدارس إيواء أحد زملائه، فقد بلغ عدد أفراد الغرفة أحيانا ثلاثة إلى أربعة أشخاص، ينامون أحيانا على الأرض وعلى مصاطب خشبية ملتصقة بالجدران ومليئة بالبق. وقد بلغ عدد المقيمين في تلك المدارس حوالي 1000 طالب سنة 1930 و1500 سنة 1945. كما تقاسم الطلبة أيضا أدوات الطبخ لأنهم كانوا يحضرون طعامهم بأنفسهم[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص 333.

[2] الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار العربية للكتاب، 1983، ص 97.

[3] العياشي مختار، المرجع أعلاه، ص 110.

[**] بلغ عدد مدارس سكنى الطلبة سنة 1945 حوالي 34.

[4] المرجع نفسه، ص ص 114 – 115.

ورغم هذا فقد كانت محاولات تحسين أوضاع الطلبة، وهو ما ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، حيث عبر الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الأعظم في خطاب ألقاه بمناسبة اختتام السنة الدراسية في جوان 1945 عن المساعي الحثيثة لإصلاح مدارس سكن الطلبة[1] وتحسين وضعيتهم (مثل تنظيم مطابخ لتقديم الوجبات)[2].

أما عدد الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة فقد بلغ 200 طالب في أوائل الثلاثينيات ليصل إلى 250 سنة 1938. بينما بلغ عددهم منذ 1952 حوالي 1500 طالب[3]، علما أنهم كانوا مرتكزين في الفروع القريبة من الحدود التونسية. وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى تخوف السلطات الفرنسية من هذا التزايد للطلبة الجزائريين بتونس، وهذا ما ظهر من خلال المراسلات المتبادلة بين الإقامة العامة بتونس والسلطة الفرنسية بالجزائر والتي تشير إلى ضرورة ترحيل بعض الطلبة الجزائريين في حالة قيام أي اضطراب، ولعل هذا ما يفسر ارتفاع عدد الطلبة الجزائريين المفصولين من الجامع والذي بلغ 91 بالمقارنة مع المغرب (7 طلبة)[4].

كان هذا عن أوضاع الطلبة الجزائريين بتونس والصعوبات التي واجهتهم في سبيل العلم والمعرفة، وبسب إدراكهم لضرورة التعليم كوسيلة من وسائل مواجهة المستعمر. فرغم كل هذه الظروف، ساهم جامع الزيتونة بتقديم أفواج هائلة من العلماء والمفكرين والأدباء الذين ركزوا جهودهم على العمل من أجل بعث الجزائر وخدمة التراث العربي الإسلامي والمصالح الوطنية. ومن أبرز هؤلاء الشعراء محمد العيد آل خليفة، مفدي زكريا، سعيد الزاهري، الأخضر السائحي. وفي مجال القصة كل من عبد الله ركيبي، الجنيدي خليفة، أبو العيد دودو وغيرهم[5].

لعب الطلبة الجزائريون، الذين زاولوا دراستهم بتونس دورا هاما من خلال النشاطات الطلابية، وتأسيس الجمعيات إلى جانب المشاركة في الأندية الأدبية التونسية. وكان الهدف من هذه الأنشطة هو محاولة إقامة نوع من التقارب بين الطلبة من حيث وجهات النظر، إلى جانب تحسين أوضاعهم المادية والمعنوية، فهم مغتربون، بعيدون عن أوطانهم، وفرضت

---

[1] مختار العياشي، المرجع أعلاه، ص 117.
[2] الزيدي علي، المرجع أعلاه، ص 53.
[3] الجابري محمد الصالح، المرجع نفسه، ص 149.
[4] العياشي مختار، المرجع أعلاه، ص ص 91 – 100.
[5] الجابري محمد الصالح، المرجع أعلاه، ص 149.

عليهم هذه الوضعية في ظل القمع الاستعماري وعدم توفر مراكز تشفي نهمهم العلمي وشغفهم للمعرفة. هذا إلى جانب ضرورة تكوين شخصيات سياسية ووطنية توكل لها مهمة الدفاع عن وطنها.

وقد كانت هناك عدة عوامل فرضت أهمية تجمع الطلبة الجزائريين بتونس في شكل جمعيات ثقافية أو سياسية أو غيرها. ولعل أهمها:

- تزايد عدد الطلبة الجزائريين بتونس في عقد الثلاثينيات، الأمر الذي تطلب اتحادهم لتكثيف الجهود ومواجهة الصعوبات.
- تشكيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتكثيف جهودها نحو الإصلاح والتعليم.
- ظهور جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين[1] بفرنسا* وعقدها لعدة مؤتمرات (1931-1932-1933) طرحت فيها عدة قضايا مثل مشاكل طلبة شمال إفريقيا في ظل الاستعمار الفرنسي. وكان دور هذه الجمعية يتمثل في إقامة وتوطيد علاقات المودة والتضامن بين طلبة المغرب العربي سواء منهم التابعين للكليات الفرنسية أو لجامع الزيتونة أو جامع القرويين[2].

وهكذا بدأت تتبادر إلى أذهان الطلبة الجزائريين فكرة تأسيس جمعية تهتم بأوضاعهم الخاصة، وتجمع شملهم في ظل الظروف القاسية التي كانوا يعيشونها. غير أن هذه الخطوة كانت بحاجة إلى مبادرة شخصية ذات صيت ومكانة، لتأتي مبادرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم الطلبة المنتسبين لها في جمعيات خاصة تكون تحت رعايتها بواسطة ممثليها[3]. لتأتي زيارة الشيخ البشير الإبراهيمي إلى تونس في بداية الثلاثينيات، ومشاركته في الاجتماع الذي أقيم بأحد جوامع تونس العاصمة، أين ألقى كلمة ركز فيها على الوضعية المزرية التي يعيشها الطلبة والعمال الجزائريون بتونس مشيرا إلى أهمية تكتلهم وتوحيد صفوفهم، في سبيل التعريف بقضيتهم ومعاناة شعبهم. كان البشير الإبراهيمي (رحمه الله) يدرك أهمية وقوة الشباب وخاصة المتعلمين منهم، فهم أداة الأمة لتحقيق أهدافها[4]. لذلك فقد

[1] مختار العياشي، المرجع أعلاه، ص 98.
* تأسست جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في نوفمبر 1927.
[2] العياشي مختار، المرجع أعلاه، ص 139.
[3] أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ...، ص 348.
[4] الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين، ...، ص ص 98-99.

كان لابد من استغلال هذا العدد من الطلبة الذي كان مؤهلا للتزايد. وفعلا، فمنذ 1934** قام الشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتأسيس الهيئة الإدارية لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس[1]، وذلك بعد عقد الطلبة الجزائريين بتونس اجتماعا تم فيه انتخاب هيئة للجمعية[2].

كان مقرها بنادي الشبيبة المدرسية التابع لجمعية قدامى المدرسة الصادقية[3]. وقد عين على رأس الجمعية الشيخ المهدي البجائي[4]، في حين أسندت رئاستها الشرفية للشيخ مختار بن محمد أحد[5] كبار علماء الزيتونة والمعروف بصلاته الوطيدة بالطلبة الجزائريين والحركة الإصلاحية الجزائرية. وبعد أشهر قلائل عين الشيخ عبد المجيد حيرش خلفا للشيخ البجائي لباقي أشهر* سنة 1934. وقد حاول هذا الأخير التعريف بالجمعية وأهدافها[6]. لقد كانت الغاية الغاية من تأسيس هذه الجمعية حسبما جاء في الفصل الثالث من قانونها الأساسي، هي تكوين العلاقات الودية الطيبة بين كل الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة والتآلف بينهم وإغاثة المحتاجين منهم بقدر الإمكان[7].

في سنة 1935 تم انتخاب الشاذلي مكي* رئيسا للجمعية من خلال المؤتمر الموسع الذي أقيمت فيه انتخابات عامة شارك فيها الطلبة الجزائريون. وتعتبر مدة رئاسة الشاذلي مكي التي دامت أربع سنوات أطول وأهم مرحلة في هذه الجمعية بفضل تكثيف نشاطاتها من لقاءات ومناقشات كانت تهدف إلى التعريف بالقضية الجزائرية بين الأوساط الطلابية الأخرى. كما ركز الشاذلي مكي خلال هذه المرحلة التي تواجد فيها بتونس، ومن خلال منصبه على تكوين الطلبة من الناحيتين الأدبية والخطابية. وسرعان ما بدأ بالاهتمام بالجانب السياسي في تكوين الطلبة. هذا وقد كان للزيارات الثلاث التي قام الشيخ عبد الحميد بن

** يذكر العياشي مختار أن الجمعية تأسست سنة 1931، وقد يكون يقصد المرحلة التحضيرية.

[1] أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ...، ص 349.

[2] الجابري محمد الصالح، المرجع نفسه، ص 102.

[3] العياشي مختار، البيئة الزيتونية (1915-1945)، ...، ص 137.

[4] أبو الصفصاف، المرجع نفسه، ص 349.

[5] العياشي مختار، المرجع نفسه، ص 137.

* توالت على الهيئة الإدارية بهذه الجمعية عدة شخصيات منها الشيخ بورنان الدريدي، وهو شاب أديب كان الرئيس الأول للمكتب الإداري لهذه الجمعية، إلى جانب الأديب الشيخ المهدي أبو عبد الله صفي ببجاية والشيخ عبد المجيد حيرش. أبو الصفصاف، ص 349.

[6] الجابري محمد الصالح، نفسه، ص 107.

[7] أبو الصفصاف، المرجع نفسه، ص 349.

* **الشاذلي مكي** من مواليد تبسة، انضم إلى حزب الشعب الجزائري منذ 1938، ثم عضو إداري في فدرالية قسنطينة لحزب الشعب ثم أحباب البيان والحرية (1944-1945). كان ممثلا لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بلجنة تحرير مكتب المغرب العربي بالقاهرة. انظر STORA، نفسه، ص 133.

باديس إلى هذه الجمعية فيما بين 1936-1937 أثر كبير في زيادة حماس الطلبة من خلال إلقائه المحاضرات كما هو الحال بالنسبة للمحاضرة التي ألقاها بقصر الجمعيات الفرنسية بتونس والتي كان لها تأثير كبير على الطلبة[1].

ومن جهة أخرى، فقد كانت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين متعاطفة مع الحزب الدستوري الحر[**] بشقيه القديم والجديد، وتساهم مساهمة نشيطة في الحياة السياسية والاجتماعية بتونس، إلى جانب إعانة الطلبة الجزائريين وتأطيرهم[2] ولو بالشيء القليل. ذلك أن هذه الجمعية ظلت تعمل في الإطار الثقافي والتربوي طوال مرحلتها الأولى (1934-1939)، غير أنها لم تستطع تقديم دعم فعال في المجال المالي رغم وجود "الجمعية الودادية" التي تألفت من الجزائريين المقيمين بتونس لمساعدة الطالب الجزائري وإعانته. ويعود ذلك إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى توقف الجمعيتين عن النشاط كما هو الحال بالنسبة للجمعيات الأخرى[3].

هنا لابد من الإشارة إلى أولى إصدارات الجمعية وهي "الثمرة الأولى" التي صدرت بتونس سنة 1937 عن "مطبعة الشباب شارع الجزائري باب منارة رقم 12". وكان هدف هذا الإصدار التعريف بنواة الفكر الجزائري الشاب. وقد تضمنت الثمرة الأولى مجموعة من المداخلات لكبار أعلام الإصلاح والأدب في الجزائر وتونس، إلى جانب المقالات الأدبية والفكرية التي يتم إلقاؤها في الأمسيات الشعرية والأدبية[4]. وقد استغل الطلبة الجزائريون بتونس مناسبة تكوين الجمعية في مطلع 1933-1934 لإقامة مجموعة من الاحتفالات، حيث ألقى محمد الحفناوي بن الأخضر السوقي قصيدة شعرية نشرت بجريدة "الصراط" الجزائرية في العدد 1 يناير 1934 بعنوان "احتفال الطلبة الزيتونيين الجزائريين"[5]. كما استغلت مناسبة مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لإقامة احتفالات أخرى. وقد اعتذر كل من مفدي زكريا ومبارك الميلي عن حضور هذه المناسبة، وبعثا رسالتي اعتذار. في حين شارك أعضاء الهيئة الإدارية للجمعية بعدة كتابات، منهم العربي الصائفي، أحمد بن البشير

---

[1] الجابري محمد الصالح، المرجع نفسه، ص ص 105-107.

[**] في يوم 1937/11/20 نضم العمال التونسيون إضرابا بدفع من الحزب الدستوري متضامنا مع الجزائريين والأفارقة الشماليين كلهم. ووجه ابن باديس رسالة شكر إلى زعماء الحزب الدستوري على هذه المبادرة، والأهداف القومية الموحدة. انظر أبو الصفصاف، نفسه، ص 351.

[2] العياشي مختار، المرجع نفسه، ص 137.

[3] أبو الصفصاف، المرجع نفسه، ص 350. نوفمبر

[4] الجابري محمد الصالح، المرجع نفسه، ص ص 108-109.

[5] المرجع نفسه، ص 110، الهامش رقم 1.

اليحياوي، الأخضر السائحي، أحمد حماني الميلي، عثمان الصائغي، مصطفى الجيجلي، محمد الشبوكي، العربي التبسي وغيرهم[1].

ومن خلال كل هذا نستنتج أن جمعية الطلبة الجزائريين بتونس استطاعت، بقيادة الشاذلي مكي وكاتبها العام أحمد بن أبي زيد الأغواطي، أن تقوم بدور فعال من حيث التعريف بالجمعية وإظهار قوتها وربط صلاتها بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد عبرت الجمعية في أول بيان لها، نشر على جريدة البصائر بتاريخ 1936 في عددها 44، عن أهدافها المتمثلة في "الارتباط العضوي بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين" وأهدافها. كما حاولت ربط الصلة بحركة العمال الجزائريين وبـ"الجمعية الودادية الجزائرية الإسلامية" التي كانت برئاسة قلش الزين والتي كانت تضم الجزائريين العاملين بتونس، وذلك لإعطاء بعد سياسي لها، وإظهار التماسك والتضامن بين أعضاء الجالية الجزائرية المهاجرة[2].

غير أن اندلاع الحرب العالمية الثانية وهجرة الشاذلي مكي إلى القاهرة، جعل نشاطها يتناقص ليستأنف من جديد بعد نهاية هذه الحرب. ورغم قلتها بالمقارنة مع المرحلة السابقة، إلا أن هذه المرحلة ستعرف فترة من الخصوبة حيث ستعود الجمعية إلى الظهور ابتداءً من 1946[3]، وعقد اجتماع حضره الطلبة الجزائريون لإحياء الجمعية، فانتخبوا الهيئة الإدارية تحت إشراف مشيخة الجامع الأعظم ضمت خمس شخصيات أمثال أحمد مسعودي، إبراهيم مزهودي، طاهر علالي، علي شريط، عبد الرحمن شيبان، طاهر طاهري[4]. إلى جانب أحمد بوروح الذي عين رئيسا لها، بينما عين الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الأعظم رئيسا شرفيا لها. وسرعان ما تم استبداله بالشيخ عبد الرحمن شيبان الذي تمكن من الحصول على مدرسة لإسكان الطلبة الجزائريين "بنهج الوصفان"، إلى جانب مقر لهيئتهم بنهج عبد الوهاب. كما تم إحياء الذكرى السادسة لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس[5].

وفي نوفمبر 1947، تم تجديد هيئة الجمعية، وكان كل أعضائها ينتمون إلى حزب الشعب[6]. ولابد أن يكون زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد انضم إلى هذه الجمعية في هذه

---

[1] الجابري، نفسه، ص 117، الهامش رقم 3.
[2] المرجع نفسه، ص 122.
[3] نجار عمار، مصالي الحاج، الزعيم المفترى عليه، دار الحكمة، الجزائر 2000، ص 215.
[4] أبو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ...، ص 350.
[5] الجابري محمد الصالح، المرجع نفسه، ص ص 123-124.
[6] نجار عمار، نفسه، ص 215.

المرحلة، خاصة أن صديقه ورفيقه نايت بلقاسم كان عضوا فيها. وقد عين محمد مرازقة رئيسا لها، وعمار نجار* كاتبا عاما.

وهنا دخلت الجمعية في طورها الثاني بفضل عودة نشاطاتها، وتزايد عدد الطلبة الجزائريين بالزيتونة. ورغم الظروف الصعبة التي سبق ذكرها، فقد توسعت خاصة في المجال الثقافي، فقد تم إحداث ثلاث لجان رئيسية لهذا الغرض وهي :

- اللجنة الأولى: أدبية، تشرف على تنمية قدرات الطلبة، وتدريبهم على تحرير الموضوعات وكتابة المقالات الأدبية ثم تصحيحها.
- اللجنة الثانية: (لجنة الخطابة)، يتم فيها تنظيم اجتماعات كل ليلة جمعة يلقي فيها الطلبة كلمات ارتجالية لتمرينهم على الحديث باللغة الفصحى.
- اللجنة الثالثة: مكلفة بمراقبة الطلبة من حيث حركاتهم وأفكارهم. وتهدف إلى توجيههم التوجه السليم (الأخلاق الحميدة والآداب العلمية)[1].

وفي هذه المرحلة، تم إصدار "الثمرة الثانية" التي تضمنت قصائد شعرية، مقالات أدبية وسياسية لبعض الجزائريين والتونسيين. كما تميزت هذه المرحلة أيضا بإقامة مكتبة للطالب الجزائري بمركز الجمعية، ودعوة الحاج مصالي للمشاركة بمقدمة للثمرة الثانية، كان موضوعها "دور الشبيبة المثقفة في تكوين الحركة الوطنية بمغربنا". ودعا الشباب المثقف إلى الاستعداد لقيادة الجماهير والانتصار على الاستعمار[2].

هذا وقد تكلفت هذه الهيئة الإدارية باحتياجات الطلبة المعوزين، حيث عملت على مساعدتهم، إلى جانب حصولهم على الدعم من الجمعيات الخيرية الأخرى. كما كان لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين دور في نشر مبادئ حزب الشعب بين أوساط الطلبة، وذلك بسبب وجود قلة من الطلبة الجزائريين بتونس - بالمقارنة مع بقية الطلبة- والذين كانوا ينتمون إلى هيئات وأحزاب أخرى[3].

نجد من خلال هذا أن الجمعية أصبحت معروفة في الشرق والغرب خلال الثلاثينيات، وزادت شهرتها بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد هجرة البشير الإبراهيمي إلى المشرق

* **نجار عمار** صاحب كتاب الثمرة الثانية (1947-1948) مطبعة التليلي، نهج المفتي، عدد 19، توفي.

[1] أبو الصفصاف، المرجع نفسه، ص 351.

[2] الجابري محمد الصالح، المرجع نفسه، ص ص 125-132.

[3] النجار عمار، المرجع أعلاه، ص 216.

العربي سنة 1951 بهدف الحصول على المساعدة من الحكومات العربية، والحصول على الموافقة لقبول البعثات العلمية التي توفدها الجمعية من طلابها[1].

غير أنه وفيما بين سنتي 1948 – 1955، تضاءلت نشاطات الجمعية، حيث ظهر الخلاف بين أعضائها، من الموالين "للخط" الباديسي، والمتشبعين بآراء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ليتم الانفصال بين كتلة البعثة المؤيدة لمسار جمعية العلماء وبين الطلبة المناصرين لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية[2]. هذا ما أدى إلى تردي أوضاع الجمعية وتضاؤل نشاطاتها وغيابها عن الساحة لتصحو من جديد سنة 1951 بإقامة حفل بمناسبة تخرج مجموعة من الطلبة الذين تحصلوا على شهادتي الأهلية والتحصيل بتاريخ 31 أكتوبر 1951. كما عرفت نشاطا هاما سنة 1953 أين عقد اجتماع يوم 18 ديسمبر 1953 لتجديد مكتبها الإداري، والنظر في أحوال الطلبة الجزائريين. وواصلت الجمعية نشاطاتها فيما بين 1953-1955، غير أن الانقسام الداخلي شكل نقطة ضعف لها، رغم محاولة أعضائها النهوض بها وتلافي الشقاق. لتبقى أحوالها كذلك حتى سنة 1957 عندما قامت جبهة التحرير الوطني بتجميد نشاطاتها ونشاطات كل الجمعيات والفروع الطلابية[3].

وهكذا، فقد عملت هذه الجمعية طوال فترة وجودها على التعريف بالقضية الجزائرية وأوضاع الشعب الجزائري، إلى جانب نشاطها الثقافي والعلمي الذي استقطب معظم الطلبة الجزائريين بتونس.

3/ نشاط زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس (1946-1949):

بعد هذه اللمحة التي تم تقديمها حول أوضاع الطلبة الجزائريين بتونس، وتأسيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، يمكننا تصور الأوضاع والظروف التي عاشها زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس بجامع الزيتونة.

[1] بن عقون عبد الرحمن، الكفاح القومي والسياسي، ج 3، ...، ص 358.
[2] الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري...، ص ص 134-135.
[3] المرجع نفسه، ص ص 138-139.

فعلى إثر إطلاق سراحه في يناير 1946، فضل الهجرة إلى تونس دأبه في ذلك دأب والده الشيخ الطيب المهاجي، وكان ذلك بتشجيع من هذا الأخير بعدما وجد أنظار المستعمر موجهة ضد ابنه[1].

وفي هذا الصدد يذكر الطيب المهاجي (رحمه الله) في كتابه أنفس الذخائر: "...ثم سافر إلى حاضرة تونس، فتلقى بالكلية الزيتونية من أساتذة جلة ما وافق مشربه واصطفاه لنفسه من العلوم الراقية..."[2].

وبوصول زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى تونس كان عليه اجتياز امتحان يفرضه التعليم التونسي على غرار الجامع الأزهر بمصر، والقرويين بفاس، والأمويين بدمشق. وبالفعل فقد نجح هذا الأخير والتحق بالجامعة مباشرة في السنة الثالثة بفضل قدراته العلمية واتساع معارفه ليختصر على نفسه بذلك سنتين من الدراسة.

وببداية الدراسة، عانى زدور إبراهيم القاسم المهاجي شأنه شأن بقية الطلبة بجامع الزيتونة من صعوبة العيش بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. فكانت مساكنهم كما ذكرنا سيئة الحال من رطوبة وحشرات وقلة ماء وغذاء، ورغم حصوله من حين لآخر على المال من والده إلا أنه لم يكن كافيا لسد حاجياته اليومية[3].

أما عن التعليم بجامع الزيتونة بهذه المرحلة، وكما سبق ذكره، فقد أضاف قانون الإصلاح الذي صدر سنة 1933 إلى برنامج التعليم الزيتوني جملة من العلوم الرياضية والعصرية باعتبارها مواد إجبارية وهي: الحساب والجبر، الهندسة والمساحة، مبادئ الكيمياء، الطبيعة، فن التعليم ومبادئ حفظ الصحة، التاريخ والجغرافيا، وخصائص الأشياء، وجعل تدريسها مع بعض العلوم الأخرى وهي علم الفرائض، الخط، الرسم، الصرف، الهيئة، الميقات، الأدب، (الإنشاء، الخطابة والمنتخبات)، والتوثيق خارج الجوامع مع تخصيص أكبر وقت للعلوم الشرعية. وقد تواصل تعليم هذه المواد إلى غاية سنة 1939 وحتى بعدها خلال الأربعينيات، إذ كان يشترط حصول التلاميذ على شهادة التحصيل، نجاحهم في هذه المواد العصرية[4].

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/11.
[2] المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ...، ص 105.
[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/11.
[4] الزيدي علي، تاريخ النظام التربوي، ...، ص 46.

وبالفعل فقد تمكنت من الحصول على كشفين للنقط للثلاثيين الأول والثاني للسنة الدراسية 1947-1948 بعثت بهما الجامعة لعائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي على العنوان التالي[1]:

Taïb Zaïdoune El Mehadji, N° 61 Rue Tagram Département d'Oran, Algérie.

أما المواد التي كان زدور إبراهيم القاسم المهاجي يدرسها حسب كشف النقط فهي الحديث، الفقه، الأخلاق، النحو، الصرف، البلاغة، الفرائض، المنطق، تاريخ الأدب، المشيخات، الإنشاء، التاريخ، الحساب، الجغرافيا، الهندسة، خصائص الأشياء.

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد واصل نشاطه في إطار حزب الشعب الجزائري الذي أصبح باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. وهنا نورد شهادة مولود قاسم نايت بلقاسم التي وردت في مقال نشرته جريدة المساء بتاريخ 13 ديسمبر 1990 حيث ذكر أنه أمضى مع زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس ثلاث سنوات من 1946 إلى 1949، تقاسما معا ظروف السكن والنضال والدراسة. ويواصل المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم قائلا أنه كان رفقة القاسم وإخوان آخرون أعزاء، هم المرحومون قاسم رزيق (من المخادمة-طولقة) ومحمد عيساوي (من وادي الزناتي) ومبارك ماضي المعروف آنذاك باسم التركي شباطة وكان أصله من بريكة ومولود بالمحمدية ببلكور، في المكتب التنفيذي لاتحادية الطلبة المناضلين في حزب الشعب الجزائري بتونس[2]. ذلك أنه في النظام الأساسي الذي أقرته الجمعية العامة لنجم شمال إفريقيا الشمالية المنعقدة في 20 جوان 1926، وتبين المادة "13" من هذا النظام أن الأعضاء المنتسبين للجمعية يجتمعون في قسمات "Sections" محلية في كافة المدن سواء في فرنسا أو في الجزائر أو في تونس[3]، باعتبار قسمة في كل مدينة. أما في المدن الكبرى مثل باريس وليون ومرسيليا والجزائر وتونس فيكون هناك قسمة في كل دائرة، أو ضاحية. وعندما يتم تنظيم القسمات تبدأ عملية توزيع المهام، فتختار كل قسمة هيئة مكتب يتألف من ثلاثة أعضاء على الأقل وخمسة أعضاء على الأكثر، يطلق على هذه الهيئة اسم "اللجنة التنفيذية المحلية". وتتكون من كاتب

---

[1] أرشيف عائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي، انظر الملحق رقم 7و8، ص ص 151-152-153-154.

[2] نايت بلقاسم مولود قاسم "الشهيد بلقاسم زدور إبراهيم (قاسم زيدون) لم يكن شيوعيا"، في جريدة المساء بتاريخ 1990/12/03. الملحق رقم 09، ص 155.

[3] الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، ...، ص 142.

وكاتب مساعد وأمين صندوق وعضوين على الأكثر، ويعاد انتخاب هيئة المكتب مرة كل عام أو عندما تدعو الضرورة (المادة 14 من النظام الأساسي)[1].

وكان على رأس هذا المكتب بتونس عبد الحميد مهري* الذي رغم فقر عائلته فقد تمكن من الالتحاق بجامع الزيتونة لدراسة الأدب العربي، وهناك كثف من نشاطاته في إطار حزب الشعب وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية. ونظم بتونس الهجرة الجزائرية، وأقام عدة علاقات مع أعضاء حزب الدستور الجديد التونسي[2]. كما كانت تربطه علاقة وطيدة بزدور إبراهيم القاسم المهاجي الذي كان في الكثير من الأحيان يستقبله في بيته للغذاء أو العشاء[3]. كما كان عبد الحميد مهري مسؤولا عن مجموع اتحادية الجزائريين لحزب الشعب الجزائري في تونس من طلبة وتجار أمثال المرحوم مصطفى القاسمي من سطيف، ومحمد دحماني من خنقة سيدي ناجي، ومزارعين ملاك أمثال مسعود المقراني وعبد الرحمن مضوي[4]. وكانت هذه الاتحادية تضم أعضاء حزب الشعب من عمال جزائريين وطلبة منخرطين في الحزب ويزاولون دراستهم في تونس.

ويواصل مولود قاسم نايت بلقاسم حديثه في مقاله حول نشاطهم بتونس، إذ يقول أنه طيلة تلك السنين كان يأتينا من قيادة الحزب في الجزائر العاصمة إخوة مسؤولون في القمة أمثال أحمد بودة، محمد خيضر والأمين بلهادي، ويركز صاحب المقال أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان من الأعضاء القياديين لاتحادية الطلبة لحزب الشعب الجزائري في تونس. وقد أرفق بالمقال ثلاث صور التقطت لهم بتونس. الأولى في بلفيدار حيث يظهر زدور إبراهيم القاسم المهاجي في أقصى اليسار بالطربوش، وإلى جانبه الشهيد قاسم رزيق وصاحب المقال نايت بلقاسم وهو يحمل جريدة المغرب العربي التي كان محمد العربي دماغ العتروس رئيس تحريرها في تلك الفترة. ويظهر في الصورة أيضا محمد عثمان عيساوي ومحمد بن الأكحل[5].

---

[1] الخطيب أحمد، المرجع نفسه، ص 142.

* **مهري عبد الحميد** ولد 1926/04/03 بالخروب (قسنطينة) من عائلة فقيرة، درس الأدب العربي، التحق بحزب الشعب، ونشط في إطاره وهو بتونس. وبعد الاستقلال تقلد عدة مناصب عليا. انظر سطورا، نفسه، ص 293.

[2] Stora Benjamin, opcit, p 293.

[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/11.

[4] نايت بلقاسم مولمود قاسم ، المصدر نفسه، في المساء 1990/12/03.

[5] نايت بلقاسم مولمود قاسم ، المصدر نفسه، في المساء 1990/12/03.

هكذا ومن خلال هذا المقال نرى أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد واصل نشاطه بتونس في إطار هذه الاتحادية، خاصة وأنه كان يتمتع بعلاقات حسنة مع أعضائها، وكانت له سمعة طيبة بتونس حسبما كتبه الدكتور يحي بوعزيز، حيث ذكر أنه بالتحاقه بالزيتونة بتونس خلال خريف 1949 – وهي السنة التي غادر فيها زدور إبراهيم القاسم المهاجي تونس متوجها إلى القاهرة – وجد سمعة وحديثا بذكر عن قواسم ثلاث، قاسم رزيق، قاسم زيدون – وهو الاسم الذي عرف به زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس وحتى القاهرة – ومولود قاسم نايت بلقاسم، وكلهم أعضاء مناضلون في إطار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الواجهة القانونية لحزب الشعب الجزائري المحل، وهم كلهم طلبة في جامع الزيتونة العامر. ويواصل قائلا : "أما قاسم رزيق فقد تولى رئاسة جمعية الطلبة الجزائريين التي تنتمي سياسيا إلى حزب الشعب الجزائري. وباندلاع الثورة عاد إلى الجزائر[1] أين استشهد. وأما قاسم زيدون، فاسمه الحقيقي قاسم زدور إبراهيم ابن الشيخ المصلح والمربي الطيب المهاجي.."[2]. كما ذكر لنا الحاج محمد شقيق زدور إبراهيم القاسم المهاجي أنه كانت تربط هذا الأخير علاقة وطيدة بعبد الحميد مهري الذي كثف نشاطاته بتونس في إطار حزب الشعب الجزائري وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والذي عاد إلى الجزائر سنة 1951 لينضم إلى اللجنة الإسلامية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وليقوم بتسيير صحافتها العربية. وبعد مؤتمر أبريل 1953 أصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب[3]. حيث ذكر الحاج زدور محمد أن عبد الحميد مهري الذي كان يأتي إلى وهران لجمع الاشتراكات من التجار والأصدقاء، كان في الكثير من الأحيان يحضر إلى منزل عائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي للغذاء والراحة[4].

ولعل أهم نشاط قام به زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس، هو إصداره لمنشور سري عرف باسم الدليل سنة 1947 أثناء مزاولته للدراسة بجامعها[5]. غير أن المعلومات حول هذا المنشور شبه منعدمة. هذا إلى جانب نشاطه في إطار جمعية الطلبة الجزائريين بتونس،

---

[1] بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء I، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص 268. ذكر نفس المقال في الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم 27-28-29 مارس 2005، الجزء I، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2006، ص ص 94-95.

[2] المرجع نفسه، ص 268.

[3] Stora Benjamin, opcit, p 293.

[4] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2002/05/10.

[5] Echo (L') d’Alger, 19 Février 1955.

خاصة وأن أهم رفاقه بتونس كانوا أعضاء نشيطين بها، كما هو الحال بالنسبة لعبد الحميد مهري. فعلى إثر انتخابات تجديد مكتبها السنوي سنة 1946 والذي فازت فيه كتلة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على كتلة جمعية العلماء المسلمين رغم المجهود الذي بذلته في سبيل الفوز، حيث عين محمد مرازقة رئيسا، عمار النجار كاتبا عاما بينما عين عبد الحميد مهري مسؤول الاتصال مع الحزب[1]. كما أن مولود قاسم نايت بلقاسم كان قد شارك في الثمرة الثانية، وهو في السنة الأولى من التعليم الثانوي الزيتوني بقصة عبر فيها عن وجهة نظر الطلبة اتجاه الاستعمار، وعن آمال كل الجزائريين في التحرير الكامل وطرد الاستعمار . وبذكر الجابري محمد الصالح أن العشر سنوات بين صدور الثمرة الأولى وصدور الثمرة الثانية كانت كفيلة بأن تعكس كل التطورات التي مرت بها الجزائر، وتبلور النضج السياسي والفكري الذي أصبح عليه الطالب الذي لم يعد يفكر إلا في تحرير وطنه[2].

وبعد مضي السنوات الثلاث بتونس، حصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي على شهادة التحصيل التي تعادل الباكالوريا بالتعليم المعاصر، والتي ستؤهله لمزاولة نشاطه بالقاهرة منذ ربيع 1949 لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل نشاطه وحياته التعليمية والنضالية.

[1] بن العقون عبد الرحمن إبراهيم، المرجع أعلاه، ج 3، ص 359.
[2] الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري، ...، ص 132.

المبحث 2 : **هجرة زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى القاهرة ونشاطه السياسي بها (1954-1949)**

1/الأوضاع السياسية بمصر فيما بين 1949 و1954 وأثرها على زدور إبراهيم القاسم المهاجي :

لدراسة هذه المرحلة من حياة زدور إبراهيم القاسم المهاجي، لابد من تقديم لمحة وجيزة عن أوضاع مصر، لمعرفة الظروف التي أثرت عليه وعلى زيادة بلورة وعيه القومي والسياسي.

وصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى القاهرة سنة 1949 في وقت كانت فيه أصداء حرب فلسطين تطغى على الساحة، حيث كانت هذه الحرب عاملا هاما في خروج المصريين من العزلة الفكرية التي عاشوها، خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية[1]. ذلك أنه خلال سنوات الحرب، زادت الهوة بين الأغنياء والفقراء، فقد ارتفع عدد أصحاب الملايين في مصر فيما بين (1940 – 1944) من 50 إلى 400 شخص، وازدادت الودائع في البنوك خلال السنوات الثلاث الأولى من تلك الفترة من 45 إلى 120 مليون جنيه. إلى جانب التضخم المالي وغلاء الأسعار، وانتشار البطالة، وظهور الأزمة الغذائية[2]، مما أثر على المجتمع بشكل عام وجعل همه قوت يومه.

وقبل التطرق إلى أوضاع مصر في هذه المرحلة، نتطرق إلى ثورة 1919 التي كانت تهدف إلى المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا وجلاء قواتها المحتلة. وهي تعتبر أول ثورة شعبية في البلاد العربية ضد الاستعمار الذي بدأ يثبت أقدامه في أرجائها منذ الحرب العالمية الأولى. وكانت بداية لثورات متتالية في سوريا والعراق وفلسطين على الإنجليز. ونتيجة لهذه الثورة أجبرت الحكومة البريطانية على الإذعان لإرادة الشعب، لكنها سرعان ما قامت بالإعلان عن مشروع "ملنر" الذي عمل على منح إنجلترا حقوق جديدة في مصر وعمل على

---

[1] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، ص 514.
[2] عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت 1980، ص 519.

تنظيم الحماية[1] بدلا من رفعها[*]. ونتيجة لرفض سعد زغلول، زعيم حزب "الوفد"، لهذا المشروع، تم نفيه مع مجموعة كبيرة من كبار معاونيه. في حين أعلن في فبراير 1922 أن الحماية على مصر قد انتهت، وأن البلاد أصبحت مستقلة ذات سيادة مع أربع تحفظات هي:

أ) تأمين مواصلات الإمبراطورية في مصر.

ب) الدفاع عن مصر ضد أي هجوم أجنبي.

ج) حماية الأقليات ومصالح الأجانب.

د) قضية السودان.

وتألفت بعدها وزارة عبد الخالق ثروت، أعلن السلطان فؤاد نفسه ملكا على مصر، لتتحول بذلك هذه الأخيرة إلى ملكية يوم 15 مارس 1923. وفي يوم 30 أفريل، شكلت وزارة "ثروت" لجنة من ثلاثين عضوا لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخاب.

غير أن هذه اللجنة لم تمثل الاتجاهات الشعبية، ولم يشترك فيها لا "الوفد" ولا "الحزب الوطني"، بل كانت تمثل أساسا كبار العلمانيين[2]. وهكذا صدر دستور 19 أبريل 1923 الذي كان ممثلا للطبقة البرجوازية أكثر منه دستور شعبي. إلا أن الملك لم يرض عنه، وتمكن سنة 1924 من إدراج عدة تعديلات عليه.

رغم ذلك فقد توجت عودة "سعد زغلول" بنجاح كبير في انتخابات 1924 وأصبح بذلك رئيسا للحكومة. لكنه اضطر إلى الاستقالة بسبب اغتيال "ألبير لي ستاك" سردار الجيش المصري وحاكم السودان في 18 نوفمبر 1924 واستبدل سنة 1925 بـ"مصطفى النحاس". وقد تميزت هذه الفترة بظهور صراع حزبي كبير للوصول إلى السلطة، وكان "الملك فؤاد" يغذي هذا الصراع[3] لأنه كان يعتقد أن بقاء العرش مرهون ببقائه.

وفي أول يناير 1930 ألف مصطفى النحاس وزارته الثانية ليستقيل يوم 17 جوان 1930 بسبب مواجهته لعدة عراقيل من الملك[4]. وكلف "إسماعيل صدقي" بتشكيل حكومة جديدة

---

[1] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985، ص 374.

[*] قامت الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة ولسن بالاعتراف بالحماية البريطانية على مصر، مما أدى إلى ظهور سخط شعبي كبير بسبب انتشار الوعي الوطني، فجاء الإعلان عن مشروع "ملنر".

[2] عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب،...، ص 505.

[3] المرجع نفسه، ص 506.

[4] قدورة زاهية، المرجع نفسه، ص 376.

دامت ثلاث سنوات تميزت بالاستبداد، وانتهت باستقالته سنة 1933 ليخلفه عبد الفتاح يحي وكيل حزب الشعب على رأس وزارة جديدة.

هكذا ونتيجة لتزايد سلطة القصر، وتدخله في السياسة عمل الإنجليز على إعادة التوازن بينه وبين الحكومة، فشكلت حكومة محمد توفيق نسيم أواخر 1934. وسرعان ما استقالت هذه الأخيرة لتشكل وزارة أخرى برئاسة "علي ماهر". وعرفت هذه المرحلة ظهور عدة اضطرابات حاول فيها الطلبة توحيد صفوف الأحزاب في جبهة وطنية واحدة تكونت من الوفد، الأحرار الدستوريين وحزب الشعب والاتحاد والحزب الوطني*، وبعض المستقلين[1]. وانتهت هذه المحاولة بعد عدة مفاوضات إلى ظهور اتفاق سنة 1936 الذي تمت فيه تسوية المسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا. وعاد النحاس إلى مصر وشكل وزارة جديدة حصل بعدها الوفد في الانتخابات النيابية على فوز ساحق[2].

وتعتبر معاهدة 1936 نقطة تحول حاسمة في تاريخ مصر المعاصر، رغم أن المصريين قد توهموا أنهم حصلوا على الاستقلال، إلا أن الوضع لم يكن كذلك. فبوصول الملك "فاروق" إلى العرش وهو في 16 من عمره، وبعد سنتين من ذلك، بدأ بمعاداة حزب الوفد، وعمل على تحطيم الدستور وتجاهل حقوق الشعب. وبإدراك هذا الحزب أن معاهدة 1936 لم تكن سوى حماية مقنعة[3]، دب الخلاف في وسطه ليزيد الأمر سوءا.

أما عن معاهدة 1936 فمن مضامينها:

1/- انتهاء احتلال مصر عسكريا بواسطة القوات البريطانية مع إبقاء 10 آلاف جندي بمنطقة القناة.

2/- انضمام مصر إلى عصبة الأمم المتحدة بتأييد الحكومة البريطانية.

3/- يتعهد كل طرف من الطرفين المتعاقدين بأن لا يتخذ في علاقاته مع البلاد الأجنبية موقفا يتعارض مع التحالف، وأن لا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة[4].

4/- بقاء الضباط الإنجليز في الجيش المصري.

* تنفي قدورة زاهية مشاركة الحزب الوطني في هذا الوفد، لأنه لم يكن يعترف بالاحتلال البريطاني، نفس المرجع، ص 377.
1 عمر عبد العزيز عمر، نفس المرجع، ص ص 509-510.
2 قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ص 377.
3 عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص 507.
4 عمر عبد العزيز عمر، المرجع أعلاه، ص 510.

وفعلا، فسرعان ما انقسم الوفد على نفسه سنة 1937، مما أحدث ضعفا كبيرا داخله ليجد الملك فاروق الفرصة لإقالته يوم 30 ديسمبر 1938. وتعاقبت بعد ذلك عدة حكومات[1]. وباندلاع الحرب العالمية الثانية، وبتحرج موقف الإنجليز بمصر سنة 1942 نظرا لتقدم الألمان، ووصولهم إلى العلمين[*]، وتزايد دعاية المحور داخل مصر، فرضوا (الإنجليز) على الملك "فاروق" تعيين وزارة وفدية لأنهم شعروا بميل بعض المسيطرين على الحكم إلى جانب دول المحور. وعندما رفض، قدمت له بريطانيا إنذارا[**] يوم 4 فبراير 1942[2]، ليضطر بعدها الأهالي إلى الخضوع، فشكل "مصطفى النحاس" وزارته في فبراير 1942. وما تجدر الإشارة إليه، هو أن بريطانيا قد استفادت من اتفاقية 1936 بحيث خولت لها استغلال إمكانيات مصر المادية، وحققت من ورائها الكثير.

في هذه الظروف، شعرت مصر أن بريطانيا مسؤولة عن تدهور الأوضاع داخلها، وبمسؤوليتها في إنشاء دولة إسرائيل، ثم قيام حرب فلسطين سنة 1948، التي كشفت فيها قضية الأسلحة الفاسدة، ليبدأ بذلك الارتباط بين القضية المصرية والقضايا العربية في ازدياد[3]، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فقد اعتبر الإنذار الذي وجهه الإنجليز إلى الملك "فاروق" إهانة عظمى له وللوفد وللشعب المصري بأكمله[4]. وباستثناء الفترة التي فرض فيها الإنجليز "مصطفى النحاس" على الملك (1942-1944)، فقد كان هذا الأخير يقيل الوزارات والوزراء ويعبث بالدستور كما يشاء، ويحكم البلاد حكما مباشرا. وشعر الوفد بعد تسلمه السلطة سنة 1950 أنه فقد الكثير من رصيده الوطني عند الشعب بسبب الخلافات في صفوفه، وتسابق بعض زعمائه لإرضاء القصر، وتمرد بعضهم، وانتقاد البعض الآخر لسياسة الحزب[5].

لقد كان هذا دليلا على عدم الاستقرار بين القيادة، وعلى غليان القاعدة التي تحاول هذه الأخيرة السيطرة عليها. وتواصل الوضع المضطرب، وتم إقصاء عدد كبير من الموظفين

---

[1] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، ص ص 377-378.

[*] وقعت معركة العلمين سنة 1942.

[**] يعود موقف بريطانيا إلى تخوفها من ازدياد الدعاية لصالح المحور ولوصول معلومات إليها مفادها أن الطلبة يشجعون على القيام بمظاهرات لصالح رومل.

[2] عبد العزيز رفاعي، الديمقراطية والأحزاب السياسية في مصر الحديثة والمعاصرة، (1875-1952)، دراسة تاريخية سياسية تحليلية، دار الشروق، الطبعة I، أكتوبر 1977، ص 227.

[3] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، ص 538.

[4] عمر عبد العزيز عمر، المرجع أعلاه، ص 518.

[5] المرجع نفسه، ص 538.

الكبار من مناصبهم، واستغلال النفوذ، وعقد الصفقات لغير الصالح العام. حتى أن بعض المصريين أصبحوا يلقبون رئيس حزب الوفد بـ "رئيس الدكتاتورية البرلمانية"[1].

في ظل هذه الظروف، وبفقدان الحزب لمكانته أدركت حكومة الوفد أن الطريقة الوحيدة لاستعادة هيبتها ونفوذ حزبها هو إلغاء معاهدة 1936، حيث أدركت هذه الحكومة عدم جدوى المفاوضات التي كانت قائمة مع بريطانيا، لأن هذه الأخيرة كانت تشترط إشراك مصر في حلف دفاعي مشترك يضم مصر وبريطانيا ودول أخرى، مقابل الجلاء عن أراضيها[2]. وهكذا فلم تجد حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس التي تولت الحكم على إثر الانتخابات سنة 1950 سوى إلغاء معاهدة 1936 لإرضاء الشعب الساخط وكسبه إلى جانبها. فاجتمع البرلمان يوم 18 أكتوبر 1951، وأعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات السياسية بين مصر وبريطانيا، وأعلنت في الوقت نفسه عن إلغاء معاهدة 26 أوت 1936 واتفاقيتي 19 يناير و10 جوان 1899 الخاصة بإدارة السودان[3]. هذا علما أن معاهدة 1936 كانت تنص على عدة بنود منها انتهاء احتلال مصر عسكريا وانضمامها إلى عصبة الأمم بتأييد بريطانيا[*]. لقد كانت هذه المعاهدة أكثر تحقيقا لمصالح بريطانيا رغم اعتقاد المصريين بقيادة حزب الوفد أنهم قد حصلوا على الاستقلال، وانصرفوا وصرفتهم الأحزاب إلى النضال المتعلق بتقلبات الحكم. فكان هذا بداية الانهيار السياسي الذي جعل قيام ثورة جويلية 1952 حتمية تاريخية[4]. غير أن الحقيقة أن بريطانيا حققت الكثير من وراء هذه المعاهدة، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية حيث سهلت عليها الحصول على مساعدات مصرية مكنتها من محاصرة الألمان ثم الانتصار عليهم[5].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن هذا الإلغاء لم يؤثر في القوى الموجودة في الميدان إلا من ناحية رفع معنويات المصريين وشعورهم بأن الحكومة وافقت على تحقيق مطلبهم. كما كان بداية للكفاح ضد بريطانيا في منطقة القناة، فبدأ العمال المصريون بالانسحاب من المعسكرات

---

[1] يحي جلال، المرجع نفسه، ص 538.
[2] عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب ...، ص 521.
[3] رفاعي عبد العزيز، الديمقراطية والأحزاب، ...، ص 230.
[*] سيتم التوسع حول هذه النقطة عند التطرق إلى مقالات زدور إبراهيم القاسم المهاجي.
[4] عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص 512.
[5] قدورة زاهية، المرجع أعلاه، ص 378.

البريطانية. وبدأت المعارك خاصة بعد تشكل كتائب الفدائيين التي كثفت نشاطها في منطقة القناة مما اضطر القوات البريطانية إلى عزل هذه المنطقة وإخضاعها لحكمهم[1].

وهكذا، فقد كان إلغاء المعاهدة عملا ثوريا فرضته رغبة المصريين، وكان حدثا بالغ الأهمية في النضال الوطني للشعب المصري[2]، واعتبر فاتحة لمعركة القناة التي شارك فيها الشعب بكل طاقاته. في هذه الظروف، هددت بريطانيا بمنع وصول البترول إلى القاهرة، غير أن ذلك لم يؤثر في تواصل المواجهات. وزاد الأمر سوءا بوقوع حريق القاهرة يوم 26 يناير 1952، ورفض قوات النظام مواجهة المظاهرات، بل وانضمامهم إليها مما بيّن الهوة الواسعة بين الملك وكل من الوزراء والجيش[3].

لقد عاصر زدور إبراهيم القاسم المهاجي الذي كان قد التحق بالقاهرة سنة 1949 كل هذه الأحداث، بل ربما يكون قد شارك في أحد هذه المظاهرات، خاصة أن بعضها كانت قد توجهت إلى جامعة "فؤاد الأول" ثم واصلت طريقها. وفي الليلة نفسها التي أحرقت فيها القاهرة أعلنت الأحكام العرفية، وأقيلت وزارة الوفد في اليوم التالي، ليشكل "علي ماهر" وزارة جديدة. وهكذا، فقد حكم مصر بعد حريق القاهرة وزارات غير مستقرة عرفت باسم "وزارات الموظفين" لأنه لم يكن لها أي برنامج وكان همها الوحيد هو استمرار وضعية الحكم في مصر كما هي ولأطول مدة ممكنة[4][*]. وأدى هذا الوضع المتدهور وهذه التطورات الخطيرة إلى قرار الطليعة الوطنية للجيش المصري بتولي زمام الكفاح الوطني، بعد أن عجزت عنه القيادات التقليدية[5]. لتصبح بذلك ثورة جويلية 1952 حتمية نتيجة لتكاثف مجموعة من الأسباب وهي:

- من الناحية السياسية كان هناك تجاوز كبير للدستور، وسعي القصر للانفراد بالسلطة بالتدخل في الحكم لكسر شوكة حزب الأغلبية. وقد تميزت الأيام التي سبقت الثورة بسرعة تبدل الوزارات. كما أن هذه الحكومات فشلت في جلاء القوات البريطانية عن مصر وضمان وحدة وادي النيل.

[1] يحي جلال، العالم العربي الحديث... ص 541.
[2] رفاعي عبد العزيز، الديمقراطية والأحزاب، ...، ص 233.
[3] يحي جلال، المرجع نفسه، ص 541.
[*] هذه الوزارات هي وزارة مصطفى النحاس، علي ماهر، الهلالي، حسين سري، ثم الهلالي من جديد.
[4] يحي جلال، المرجع نفسه، ص 542.
[5] عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص 522.

- ومن الناحية العسكرية، فمنذ عقد معاهدة 1936 بدأ الاهتمام بتخريج أكبر عدد من الضباط، غير أن هؤلاء وجدوا أنفسهم خاضعين في كل عملياتهم لبعثة عسكرية بريطانية، تتولى أمور إعدادهم وتكوينهم وتدريبهم، الأمر الذي لم يرض العناصر الوطنية الشابة خاصة[1]. هذا علما أنه على إثر الاستعداد للحرب العالمية الثانية بدأت الحكومة المصرية في زيادة عدد أفراد الجيش مما سمح للطلبة الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة بالانضمام إلى الكلية الحربية لتتكون بذلك نواة من أبناء الطبقة الشعبية في الجيش المصري[2]. وكان عدد من هؤلاء قد شارك في حرب فلسطين، وأدركوا هناك مدى الفساد الذي وصلت إليه أحوال البلاد والعرب بشكل عام، وخاصة فيما يتعلق بقضية الأسلحة الفاسدة التي قدمت لهم لاستخدامها في الحرب[3]. وبدأوا يرون ضرورة تغيير الوضع الداخلي لبلادهم.
- أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان الوضع الاقتصادي بمصر أيضا سببا في قيام ثورة جويلية 1952 وذلك بسبب :

– التضخم.

– ارتفاع الأسعار.

– قلة السلع وانخفاض مستوى المعيشة.

– عجز الميزانية المصرية الذي بلغ سنة 1946 حوالي 14 مليون جنيه ليرتفع سنة 1948 إلى 30 مليون جنيه. وبقي العجز متواصلا إلى غاية 1951.

– الجهل والفقر، وتزايد عدد السكان. أضف إلى ذلك ازدياد الفوارق بين الطبقات الاجتماعية. إلى جانب قلة الاهتمام بتوفير المرافق العامة للشعب من مدارس، وخدمات اجتماعية ومستشفيات، حتى أن المتظاهرين كانوا يجولون الشوارع هاتفين "الغذاء والكساء يا ملك النساء"[4].

---

[1] يحي جلال، المرجع نفسه، 548.
[2] عمر عبد العزيز عمر، نفسه، ص 522.
[3] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، ص 378.
[4] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، ص ص 552-553.

كل هذه الظروف هيأت الوضع لقيام الثورة، ففي جويلية 1952 اجتمع الضباط الأحرار* وقرروا بدء عمليتهم، ووضعوا خطتهم القائمة على الاستيلاء على الجهاز الحربي للحكومة ثم احتلال القاهرة ومنها كل القطر[1].

هكذا وبخطوات تدريجية تمكن رجال الثورة من تحقيق هدفهم بتنحية الملك، حيث تم يوم الأربعاء 23 جويلية 1952 وعلى الساعة السابعة والنصف إعلان انتفاضة الجيش المصري على الطغيان والفساد على لسان القائد العام للقوات المسلحة[2]. ليبدأ بذلك التاريخ العربي بمرحلة جديدة لها منجزاتها القومية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ومن إنجازات هذه الثورة: إلغاء دستور 1923 الذي ينص على الحكم الملكي، وتشكيل لجنة مهمتها وضع دستور جديد[3]، إصدار قانون الإصلاح الزراعي في سبتمبر 1952 للقضاء على الإقطاع بنواحيه الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية[4]. كما قرر مجلس قيادة الثورة سنة 1953 أن يكون نظام حكم مصر جمهوريا، ويتقرر ذلك عن طريق الاستفتاء العام[5]، ليتم إلغاء الحكم الملكي وإنهاء حكم أسرة "محمد علي" مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة. وفعلا ففي 16 يناير 1956 أعلن دستور الجمهورية المصرية الذي قدس الكرامة والعدالة والمساواة، ونص على أن "مصر دولة عربية جمهورية ديمقراطية"، السيادة فيها للأمة، دينها الإسلام، ولغتها العربية، والتضامن أساس المجتمع فيها[6].

كما تم تصنيع البلاد بصورة مبنية على التخطيط، وبناء السد العالي الذي يعتبر من أكبر سدود العالم. ولعل أهم حدث هو تأميم قناة السويس ونقل الاقتصاد من سيطرة الأجانب إلى أيدي الشعب[7].

لقد تمكنت الثورة من تحقيق أهدافها في سيرها نحو التحرير، كما كان لهذه الثورة أثر بالغ في تاريخ العالم العربي، خاصة أنها عملت على تحرير السودان بعد تمكنها من عقد اتفاقية يوم 12 فبراير 1953 والتي تم فيها الاتفاق على منح السودانيين حق تقرير المصير، مع

---

* تنظيم سري ظهر في أوائل الأربعينيات، وأعيد تنظيمه سنة 1949. وقد أسس الضباط هيأتهم سنة 1949، وانتخبوا جمال عبد الناصر رئيسا لها سنة (1950-1951-1952)، علما أن الهيئة التأسيسية لهذا التنظيم هي التي تحولت إلى مجلس قيادة الثورة.

[1] المرجع نفسه، ص 554.

[2] عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ العرب، ...، ص 523.

[3] يحي جلال، المرجع نفسه، ص 564.

[4] عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص 525.

[5] يحي جلال، المرجع نفسه، ص 564.

[6] عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص 526.

[7] قدورة زاهية، المرجع نفسه، ص 378.

إنهاء الحكم الثنائي المصري البريطاني عليه، إلى جانب الاحتفاظ بوحدة السودان. وفي أول يناير 1956 أعلنت الجمعية التأسيسية استقلال السودان[1].

أما فيما يتعلق بالجلاء عن الأراضي المصرية، فقد تم الاتفاق عليه بعد نجاح المفاوضات المصرية البريطانية يوم 19 أكتوبر 1954، وتم فيه إعفاء مصر من الارتباط بأجهزة الدفاع البريطاني عن الشرق الأوسط[2].

هكذا، ورغم الصعوبات التي واجهتها هذه الثورة، إلا أن إنجازاتها كانت عظيمة، خاصة وأن جمال عبد الناصر كان يهدف إلى توحيد العالم العربي وتنمية الوعي القومي للأمة. وعمل على توحيد كلمة العرب، لتصبح بذلك مصر سندا قويا لأمة العربية. وفعلا سرعان ما تعلق بها العرب[3] بفضل مساندتها لحركات التحرر، ومساعدتها للعناصر الثورية كما هو الحال بالنسبة للمناضلين ضد الوجود الاستعماري في المغرب العربي[4].

لقد عاصر زدور إبراهيم القاسم المهاجي تطورات الأوضاع في مصر، منذ وصوله إليها، وتأثر بأحداثها، بثورتها وقادتها، خاصة وأنها قلبت الموازين وأدت إلى التخلص من القيود الاستعمارية وتحقيق الاستقلال بشكل أذهل العالم بأسره.

2/ هجرة زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى القاهرة عام 1949 ونشاطه بها :

بعد حصوله على شهادة الأهلية في جوان 1949 بتونس، توجه في سبتمبر من السنة نفسها إلى القاهرة ليلتحق بها، لما كان لها من صدى من حيث مستوى التعليم العالي. ولعل أهم الأسباب التي جعلت "الشيخ الطيب المهاجي" يوجه ولده إلى السفر نحو المشرق قصد الدراسة هو سعيه لرفع مستواه التعليمي وحمايته مما قد يلحق به من أذى نتيجة نشاطه السياسي في إطار حزب الشعب الجزائري، خاصة وأنه قد وصلت إلى والده معلومات من بعض أتباعه مفادها أن السلطات الفرنسية بدأت تنتبه إلى نشاط ابنه زدور إبراهيم القاسم المهاجي، والتي كان سببها ملاحظات أساتذته التي كانت تنعته بالفطنة والذكاء وحدة الرأي.

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، المرجع أعلاه، ص 527.
[2] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، ص 565.
[3] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، ص 379.
[4] يحي جلال، المرجع نفسه، ص 569.

ومن ثم كانت أجهزة الأمن السري تستغل هذه المعلومات في تتبع خطوات العناصر الجزائرية اللامعة التي يمكن أن تكون خطرا على الوجود الفرنسي بالجزائر.

إضافة إلى ما كان يقوم به زدور إبراهيم القاسم المهاجي من تجمعات سرية كانت تهدف إلى نشر وترسيخ أفكار الحرية والروح الوطنية والقومية التي كان متشبعا بها. أما بالنسبة لهذا الأخير، فقد أصبحت القاهرة مرحلة لابد منها في مساره التعليمي ونشاطه السياسي، خاصة أن عددا من رفاقه في الدراسة والنضال في تونس كانوا قد توجهوا إلى القاهرة للنشاط في إطار مكتب المغرب العربي.

وبهذا كان سفر زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى مصر للدراسة خطوة حتمية نتيجة لارتباطه العميق بالمشرق العربي وانتسابه للأمة العربية. وقد حققت له هذه الرحلة آمالا كبيرة بفضل اتصاله واحتكاكه بأهل العلم والثقافة والسياسة، وللتعريف بالقضية الجزائرية ومعاناة الجزائريين.

اِلتحق زدور إبراهيم القاسم المهاجي في سبتمبر 1949 بجامعة "فؤاد الأول" التي أصبحت بعد ثورة جويلية 1952 تحمل اسم "جامعة القاهرة"، حيث سجل بكلية دار العلوم للحصول على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها. ولقد كانت حياة الطلبة أثناء الدراسة صعبة جدا بسبب قلة المال. وقد ذكر لنا الدكتور يحي بوعزيز بعض المعلومات عن أحوال الطلبة الجزائريين بالقاهرة أثناء فترة دراسته بها وقبيل ذلك بقليل. علما أن زدور إبراهيم القاسم ويحي بوعزيز لم يدرسا في الفترة نفسها، حيث التحق هذا الأخير بالجامعة بعد زدور إبراهيم القاسم المهاجي. وذكر لنا أن أغلب الطلبة الجزائريين في القاهرة فيما بين 1949-1956 كانوا يسكنون في رواق الأزهر بما يسمى "رواق المغاربة"، وهو مجمع سكني خصص للطلبة الذين جاءوا إلى مصر للدراسة. ويذكر أن الطلبة كانوا يحصلون من مؤسسة بمصر كان اسمها "نادي الطلبة الشرقيين" على بعض الإعانات، وكان هذا النادي تحت إشراف مصري. كما أن وزارة التربية والتعليم كانت تصرف عن طرق النادي 2.5 جنيه شهريا لكل طالب وذلك بمشاركة الجامعة العربية. ويذكر أيضا أن جبهة التحرير الوطني كانت تقدم منحة إلى الطلاب الجزائريين قيمتها 2.5 جنيه[1]. وقد أبدى "أحمد توفيق المدني" في مذكراته

[1] شهادة الدكتور بوعزيز يحي بمنزله بتاريخ 2001/08/25.

الملاحظة نفسها حول أوضاع الطلبة الجزائريين بالقاهرة، رغم أن المرحلة التي تطرق لها خارج إطار هذا العمل، غير أن وصفه لأوضاع الطلبة لم يكن يختلف عن وصف الدكتور يحي بوعزيز، إذ ذكر أن الطلبة الجزائريين المستقرين بالقاهرة كانوا في حالة ضيق شديد، يتقاسمون البأساء والضراء في قوتهم اليومي وملابسهم ومأواهم. ويواصل قائلا أنهم كانوا يتقاضون من الحكومة المصرية خمسة جنيهات كل شهر، ويحصلون من مكتب جمعية العلماء، التي كان أمينا عاما لها في هذه الفترة، على جنيهين ونصف لكل طالب (2.5 جنيه)[1].

وذكر أنه تدخل لتحسين أوضاع الطلبة هناك، إذ تمكن، بعد نقاش طويل مع "محمد خيضر" الذي كان قد التحق بالقاهرة يوم 5 جوان1951 وأصبح ممثلا لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالقاهرة[2]، من الاتفاق على أن يحصل الطالب الجزائري على 15 جنيها شهريا، حيث يدفع ممثلي جبهة التحرير الوطني عشرة جنيهات لكل طالب، وتدفع جمعية العلماء الخمسة الباقية، والشيء نفسه بالنسبة لباقي الطلبة إذ حصلوا من الرئيس المصري جمال عبد الناصر على مبلغ مالي قدره 350 جنيها ليتم توزيعها على الطلبة. أما بالنسبة للكتب المدرسية ونتيجة لعجز الطلبة عن شرائها بسبب سوء أحوالهم المادية، فقد تمكن أيضا من الحصول على مساعدة مالية لهم وزعت على الطلبة مقابل وصول خاصة بكل طالب، هذا إلى جانب إعفاء الطلبة من رسوم الامتحانات بقرار من جمال عبد الناصر[3].

وقد عانى زدور إبراهيم القاسم المهاجي من الأوضاع السيئة نفسها، وهو ما عبر عنه في القصيدة التي بعث بها مع رسالة إلى الشيخ الفاضل الحاج المختار بتاريخ 25 سبتمبر 1949، إذ يقول في البيت الخامس منها[4]:

"في موئل فنى ذرى الأحلام من حزني   ما أضيق العيش لولا فرحة الحلم"

وكانت ظروف الطلبة الجزائريين بمصر صعبة جدا، فقد ذكر زدور إبراهيم القاسم المهاجي أنه عانى الجوع والحاجة في السنة الأولى له فيها، حيث ذكر لنا الحاج محمد زدور أن القاسم قد أخبره وهو يدرس بالقاهرة أن الغرفة التي يعيش بها هو ورفاقه تعج بالحشرات

[1] المدني أحمد توفيق، حياة الكفاح، مذكرات، الجزء 3، مع ركب الثورة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 177.
[2] Stora Benjamin, opcit, pp 287-288.
[3] المدني أحمد توفيق، نفسه، ج 3، ص ص 177-178.
[4] قصيدة لزدور إبراهيم القاسم المهاجي، من أرشيف العائلة، بتاريخ 1949/09/25.

وخاصة البق. فاقترح عليه شقيقه محمد أن يشتري الدواء الخاص لمقاومتها والقضاء عليها، فأجابه القاسم متهكما "بأنه لا يجد المال ليطعم نفسه، فكيف له أن يطعم البق؟"[1].

كان من أهم رفاق زدور إبراهيم القاسم المهاجي بالقاهرة رفيقه في الدراسة بتونس مولود قاسم نايت بلقاسم، الذي ذكر بأنه التحق بالقاهرة على إثر الأخوين التركي وزيدون (زدور إبراهيم القاسم المهاجي)، وأنهم اتصلوا بالمرحوم الشاذلي مكي ممثل حزب الشعب الجزائري في القاهرة في فبراير 1950. وذكر أيضا أنه التحق بكلية الآداب بينما التحق زدور إبراهيم القاسم المهاجي بكلية دار العلوم من الجامعة نفسها (فؤاد الأول).

ويواصل الحديث عن الفترة التي درس فيها رفقة زدور إبراهيم القاسم المهاجي حيث يقول: "وسكنا معا كلنا الثلاثة (زدور إبراهيم القاسم المهاجي، التركي، مولود قاسم)، مع إخوان آخرين، في مدرسة "أم الغلام". ثم انتقلنا - قاسم وإياي- إلى 40 شارع الجامع الإسماعيلي، وسكنا معا في غرفة واحدة من جديد. وكان معنا أيضا الأخ عبد السلام بن يحي الأستاذ حاليا للغة الإنجليزية بجامعة عنابة (وهو صهر الأخ صالح بوبندير صوت العرب)[2].

هكذا ومن خلال هذه الشهادة، نستنتج أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد سكن في مدرسة أم الغلام بالقاهرة، ثم انتقل إلى 40 شارع الجامع الإسماعيلي، وكان أهم رفاقه مولود قاسم أحد أهم أضواء الفكر والثقافة بالجزائر.

وكان من قوانين الجامعة أنه عندما يتقدم طالب للدراسة بجامعة فؤاد الأول (دار العلوم) يعرض عليه اختيار لغتين للدراسة، ففضل زدور إبراهيم القاسم المهاجي اختيار اللغة الإنجليزية لأنه كان يتقنها، وكان الهدف من ذلك هو كسب الوقت لممارسة نشاطاته النضالية. كما اختار الفارسية كلغة أجنبية ثانية يدرسها. وفي الوقت نفسها سجل نفسه بمعهد القنصلية البريطانية بالقاهرة لتعميق معارفه اللغوية الإنجليزية خلال السنة الدراسية 1952-1953[3]، حيث كتب على بطاقته الخاصة بتعلم اللغة الإنجليزية العنوان: 30 شارع الجامع

---

[1] لقاء مع الحاج زدور محمد بتاريخ 2001/05/10 بمنزله.
[2] نايت بلقاسم مولود قاسم ، الشهيد بلقاسم زدور إبراهيم ... في المساء 1990/12/03.
[3] أرشيف العائلة، بطاقة القارئ لزدور إبراهيم القاسم المهاجي.

الإسماعيلي، الدواوين. كان يدرس في القسم C I 4، وسجل تحت رقم M 459. وقد كان ذلك في 14 يناير 1953، والبطاقة تحمل صورته وتوقيعه*.

ونستند هنا إلى الشهادة التي أدلى بها الدكتور عثمان سعدي رئيس "الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية"، والتي تقدم بها في الملتقى الوطني لتكريم مولود قاسم نايت بلقاسم. إذ ذكر أن هذا الأخير كان يتمتع بمنحة دراسية مجزية من الحكومة المصرية، يعود الفضل في حصوله عليها إلى الشاذلي مكي. وقد يكون زدور إبراهيم القاسم المهاجي هو الآخر قد تمتع بمنحة مماثلة بحكم حاجته للمال وعدم تمكن أسرته من دعمه، وعلاقته بالشاذلي مكي. ويواصل قائلا أن مولود قاسم كان يقيم بدار الشرقيين التي يقيم بها الطلبة المسلمون من سائر أنحاء العالم الإسلامي، وتديرها وتنفق عليها وزارة التربية المصرية، وبها مطعم ومكتبة ومرافق عامة. هذا علما أن مولود قاسم قد التحق بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) سنة 1950، بينما التحق عثمان سعدي بها سنة 1952. وكان زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد سبقهما في ذلك أي سنة 1950[1]. هذا من شهادة عثمان سعدي، أما الدكتور الصم منور فقد نفى كلية حصول الطلبة الجزائريين الذين كان هو أحدهم سنة 1950 على أية منحة[2]. كما لم يذكر لنا محمد زدور شقيق زدور إبراهيم القاسم المهاجي أي شيء عن هذه المنحة.

وفيما يخص المواد التي كان يدرسها بالقاهرة فهي متعددة، منها ما درسه وهو في السنة الأولى من نحو وصرف وعروض، تاريخ، إلى جانب الفقه، والدراسات السامية والشرقية، اللغة الإنجليزية، أعمال السنة، أدب ونصوص، تاريخ الأدب والفلسفة[3]. بينما درس في السنة الثانية مواد منها: النحو والصرف، العروض، الأدب والنصوص، الدراسات السامية أو الشرقية، اللغة الأوروبية، الخط العربي، التاريخ.

وكانت أفضل العلامات التي حصل عليها في النحو والصرف والعروض بدرجة ممتاز، التاريخ (ممتاز)، الدراسات السامية والشرقية (ممتاز)، أعمال السنة (جيد جدا)، الأدب والنصوص (ممتاز)، اللغة الأوروبية (ممتاز)، الخط العربي (جيد)[4]. ويعود ذلك إلى

* سجل على بطاقة القارئ الخاصة بزدور إبراهيم القاسم المهاجي العنوان تحت رقم 40 شارع الجامع الإسماعيلي. بينما ذكر مولود قاسم في مقاله بجريدة المساء أن العنوان كان 30 شارع الجامع الإسماعيلي.

[1] سعدي عثمان، مولود قاسم نايت بلقاسم عاشق اللغة العربية، الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم أيام 16-17-18 صفر 1426هـ/27-28-29 مارس 2005م، ج I، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2006، ص 23.

[2] شهادة الدكتور الصم منور، في مركز البحوث في الإعلام الوثائقي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (CRIDSSH) يوم 2006/08/12.

[3] أرشيف العائلة، صورة لكشف النقط خاصة بـ "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" للدور الأول سنة 1950.

[4] أرشيف العائلة، صورة لكشف النقط للدور الثاني من سنة 1951.

المستوى التعليمي الجيد الذي تمكن والده الشيخ الطيب المهاجي من تلقينه إياه منذ طفولته وحتى بلوغه، إذ كان الوالد يصر على حضور ابنه لتلك الدروس، الأمر الذي خول له وهو في تونس الالتحاق بجامعها مباشرة في السنة الثالثة وبالتالي ربح سنتين، ثم سهل عليه أيضا الدراسة بمصر وممارسة نشاطاته السياسية في آن واحد. أضف إلى ذلك إتقانه للغات الأجنبية: الفرنسية والإنجليزية. ومع ذلك ركز على زيادة معارفه اللغوية بتسجيل نفسه في مركز لتعليم اللغة الإنجليزية (مركز القنصلية الإنجليزي بالقاهرة)[1].

دامت دراسة زدور إبراهيم القاسم المهاجي بالقاهرة بكلية العلوم "جامعة فؤاد الأول" أربع سنوات، تحصل في نهايتها على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها. وحصلنا من عائلة زدور على وثيقة تمثل طلبا تقدم به زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى عميد كلية دار العلوم بتاريخ 16 نوفمبر 1953 يطلب فيه إمداده بشهادة تثبت حصوله على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها في سبتمبر 1953 بدرجة مقبول. وفعلا كان له ذلك، إذ حصل على شهادته في اليوم التالي 17 نوفمبر 1953[2].

هذا علما أنه كان من المفروض أن يحصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي على شهادته في شهر جوان، لكنه ولظروف نشاطه السياسي ومهامه في القاهرة، رسب في الامتحان، واضطر إلى الاستدراك في سبتمبر. وبدلا من أن يبقى في القاهرة للإعداد لهذا الامتحان النهائي، اضطر إلى أن يأتي إلى الجزائر في العطلة الصيفية لأن عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية وجهه في مهمة إلى الجزائر وفرنسا ودفع له مصاريف الرحلة. ورغم عدم تمكنني من الحصول على حيثيات هذه المهمة، إلا أن أهميتها تبدو في ظرفها الزمني، والشخصية التي كلفته بها[3].

حصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي على شهادة الليسانس من كليته في السنة الدراسية 1952-1953، وكان من بين أساتذته وهو في السنة الرابعة: الدكتور "محمد حلمي أحمد"، الأستاذ "عمر الدسوقي"، الأستاذ "أحمد الشايب"، الشيخ "علي حسب الله"، الأستاذ "علي النجدي". ضمت دفعته حوالي 37 طالبا منهم أربعة طلبة من السودان، طالبين من المغرب، طالب واحد من لبنان، بينما كان "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" و"أبو بكر اللمتوني" من

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/10.
[2] أرشيف العائلة، شهادة حصول زدور إبراهيم القاسم المهاجي على الليسانس.
[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2007/07/30

الجزائر، والباقي طلبة من مصر. وقد تمكنت من الحصول على صورة تذكارية لطلبة هذه الدفعة من أرشيف العائلة[1].

وفي هذا الصدد نذكر ما كتبه الشيخ الطيب المهاجي في كتابه "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر"، حيث ذكر: "... وقد ورد منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم فخرج يؤم القاهرة برخصة حصل عليها من تونس بعد مشقة، والتحق بكلية العلوم من جامعة فؤاد الأول بعد امتحانات اختبرت بها مقدرته فاستغرقت إقامته بهذه الكلية، وما أدراك ما هذه الكلية، أربع سنوات نال فيها شهادة عالية. وقد شارك في علوم الكلية على اختلاف أنواعها، ثم تخصص في آداب اللغة. وكان بعد تمكنه من إتقان القواعد العربية يتقن خمس لغات أجنبية..."[2]. وإلى جانب النشاط الدراسي، فقد تابع زدور إبراهيم القاسم المهاجي نشاطه السياسي الذي كان قد بدأه في الجزائر في إطار انضمامه إلى "حزب الشعب الجزائري" الذي أصبح رسميا "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" ثم واصله بتونس، ليجد في القاهرة بعد ذلك المجال فسيحا لإبراز قدراته وتفجير طاقاته.

لقد كان للتجربة السياسية، التي اكتسبها بالجزائر بفضل الوعي السياسي الناتج عن الممارسات في إطار الحركة النضالية في ظل حزب الشعب[3] بالإضافة إلى الجو العائلي الذي زاد شحنه ضد الاستعمار وأساليبه القمعية، وكان لذلك أثر كبير في نشاطه وتوجهه. وبفضل استعداداته الفكرية والأدبية والسياسية، تم اختياره من طرف القيادة الجزائرية بالقاهرة ليكون عنصرا فعالا في نشاطاته. ولعل أهم دور قام به زدور إبراهيم القاسم المهاجي في مصر هو نشاطه في إطار مكتب المغرب العربي. لذلك وقبل التطرق إلى دوره في هذا المكتب لابد من التعريف بهذا المكتب وظروف نشأته وأهم أهدافه.

3/ نشاط زدور إبراهيم القاسم في الإطار الطلابي وفي إطار مكتب المغرب العربي :

كان حزب الشعب الجزائري يدرك أهمية التضامن المغربي، لذلك وعلى إثر أحداث ماي 1945 قام بعض المسؤولين من حزب الشعب الجزائري وعلى رأسهم "الشاذلي مكي"

---

[1] شهادة زدور محمد، صورة تذكارية لدفعة ليسانس (1952-1953).

[2] المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ...، ص 105.

[3] Aït Ahmed Hocine, Mémoires d'un combattant, l'esprit d'indépendance 1942-1952, Ed Bouchene, Paris, 1983, p227, الهامش رقم 3

بالاتصال بمسيري حزب الدستور التونسي. وفي سنة 1946، توجه وفد يضم الدكتور "الأمين دباغين" وفيلالي مبارك"* إلى المغرب أين تم توقيع اتفاق بين ممثلي الأحزاب الوطنية الثلاثة: حزب الدستور التونسي، الاستقلال المغربي وحزب الشعب الجزائري. ووافق ممثلو هذه الأحزاب على عدم الدخول في مفاوضات فردية مع فرنسا، وضرورة تحديد مستقبل الدول الثلاث[1]. وسيتم تفعيل هذه الخطوة في القاهرة.

تعود نشأة مكتب المغرب العربي بالقاهرة سن 1947 فيما بين 15 إلى 22 فبراير[2] تاريخ انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة. وكانت الفكرة لـ"عبد الرحمن عزام باشا" الأمين العام للجامعة العربية[3]. ويعتبر مكتب المغرب العربي بالقاهرة امتدادا أو إعادة تأسيس لمكتب المغرب العربي الأول الذي ظهر ببرلين ثم وضع فرع له بباريس وبعده جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية[4]. وقد تم تأسيس مكتب المغرب العربي ببرلين على يد مجموعة من المناضلين التونسيين المتواجدين بأوروبا، وجاء ذلك بعد تقصيهم لأحوال العمال المغاربة في فرنسا ثم عودتهم إلى برلين لتحديد نوع العمل الذي يمكن القيام به. وفعلا فبعد عودتهم وضعوا الأسس لنشاطهم على الشكل التالي:

أ- العمل في فرنسا يكون مركزه باريس، تسلم المسؤولية فيه للحبيب ثامر من تونس، يساعده الرشيد إدريس عن حزب الدستور التونسي الحر. إلى جانب الطيب سليم، حسين التريكي، الهادي سعيد ومن ينضم إليهم من الجزائريين والمغاربة.

ب- إصدار جريدة باللغة العربية والألمانية، مركزها برلين، تهتم بشؤون العمال والأسرى، تحمل اسم المغرب العربي[5].

وقد وفر الحاج "أمين الحسيني" مفتي فلسطين، والذي كان قد حل بمصر سنة 1946 هاربا من فرنسا ومن بوليس الحلفاء[6]، مقرا للمكتب حيث قدم مكتبه[1] في برلين*. وكانت أهداف هذا

---

* كلا منهما كان عضوا في حزب الشعب الجزائري، وقد تولى الأمين دباغين عدة مهام سياسية أثناء الثورة بعد ما كان قد اعتزل السياسة بعد خلاف داخل حزب الشعب.

[1] Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme, Tome II, ..., p 817.

[2] بن عبود أمحمد، جاك كاني، مؤتمر المغرب العربي سنة 1947 وبداية نشاط مكتب المغرب العربي في القاهرة؛ عملية ابن عبد الكريم، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 25-26، تونس جوان 1982، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، جويلية 1982، ص 7.

[3] بلقاسمي بوعلام، مكتب المغرب العربي خلال الحرب العالمية 2 من برلين إلى القاهرة (1942-1947)، مجلة عصور، العدد 02، ديسمبر 1423/2002هـ، مكتبة الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 33.

[4] بلقاسمي بوعلام، المرجع نفسه، ص 34.

[5] الرويسي يوسف، نشاط مكتب المغرب العربي ببرلين (من أواخر أكتوبر 1943 إلى ماي 1945) في م.ت.م، العدد 7-8، تونس يناير 1977، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، ص 22.

[6] بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، ج 3، ...، ص 59 .

هذا المكتب العمل على استقلال المغرب العربي ووحدته في نطاق الوحدة العربية وإنشاء محطة إذاعية مغاربية مستقلة، إلى جانب إصدار جريدة المغرب العربي[2].

وابتداءً من سنة 1947 أصبح المكتب يعرف رسميا باسم "مكتب المغرب العربي"، وأصبحت جريدة المغرب العربي لسان حاله حيث لعبت دورا بارزا من خلال متابعتها لشؤون العرب المغاربة[3]. إلى جانب تركيزها على الفكر القومي في المغرب[4] العربي[*].

لكن تطورات الحرب العالمية الثانية أعاقت مواصلة نشاط مكتب المغرب العربي ببرلين، ففضل أعضاؤه التوجه إلى مناطق أخرى أكثر أمنا. فتوجه الحبيب ثامر ورفاقه بين أوت 1944 وجوان 1946 إلى إسبانيا ومنها إلى القاهرة. بينما توجه الرويسي ومن معه في أبريل 1945 نحو الجنوب. لكنه وقع تحت الأسر بالنمسا ليعتقل لمدة سنة تقريبا. وبعد الإفراج عنه لجأ إلى سوريا[5] أين تم تأسيس مكتب المغرب العربي بدمشق. وقد لفت هذا المكتب انتباه الأوساط المغاربية إليه في القاهرة، وإلى أهمية الدور الذي تلعبه سوريا في نصرة قضايا المغرب العربي. وقام عدة مسئولين مغاربة بزيارات إلى سوريا مثل زيارة محمد بن عبود مندوب خليفة ملك مراكش لدى لجان الجامعة العربية، ثم زيارة علال الفاسي والشيخ البشير الإبراهيمي[6].

وفي الوقت الذي تطور فيه وتبلور نشاط مكتب المغرب العربي ببرلين وباريس ظهرت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية التي يعتبرها الدكتور سعد الله أبو القاسم مقدمة لتأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة، خاصة وأنها تأسست خلال الحرب العالمية الثانية على يد شيخ الأزهر محمد الخضر حسين، وكان أغلب أعضائها من الجزائريين. أما أهداف هذه الجبهة فكانت حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا[7].

---

[1] الرويسي يوسف، المرجع نفسه، ص 23.
[*] كان المقر عبارة عن فيلا ذات طابقين تقع في رقم 27 قوتي إشتراسي بجبهة كروملانكي ببرلين. أنظر الرويسي يوسف، في م.ت.م، عدد 7-8، ص 23.
[2] بلقاسمي بوعلام، المرجع نفسه، ص 34.
[3] الرويسي يوسف، المرجع نفسه، ص 25.
[4] بلقاسمي بوعلام، المرجع نفسه، ص 35.
[*] لم يصدر من هذه الجريدة سوى عددين، الأول في 1945/02/26، والثاني في 1945/03/14، قبل استسلام ألمانيا بحوالي شهر. أنظر الرويسي يوسف، نفسه، ص 25.
[5] بلقاسمي بوعلام، م.م.ع خلال ح.ع (1)، ...، ص 36.
[6] الرويسي يوسف، نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة الرابعة، دور مكتب المغرب العربي بدمشق في انعقاد مؤتمر المغرب بالقاهرة، في م.ت.م، عدد 15-16، 31 جويلية 1979، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، ص 103.
[7] بلقاسمي بوعلام، المرجع نفسه، ص ص 36-37.

ثم انضمت إليها رابطة الدفاع عن مراكش التي تأسست سنة 1943 على يد بعثات الطلبة المتخرجين من الجامعة المصرية، وكان أغلبهم ينتمي إلى حزب الاستقلال وزعيمه علال الفاسي*، ثم انضم إليها عدد من التونسيين. وقد مارست الجبهة نشاطها إلى غاية انعقاد مؤتمر المغرب العربي في فبراير 1947. وسرعان ما اتسع نشاط الجبهة التي أصبحت ملاذا للسياسيين والوطنيين المغاربة أمثال عبد الكريم الخطابي** والحبيب بورقيبة بفضل نشاطاتها المكثفة الهادفة إلى تسليط الضوء على واقع دول المغرب العربي في ظل السيطرة الاستعمارية من خلال مقالاتها في الجرائد المتنوعة والمحاضرات والندوات في مقرات الجمعيات المصرية كجمعية "الإخوان المسلمين" وجمعية "الشبان المسلمين".

غير أنه رغم الدور الكبير الذي لعبته هذه الجبهة إلا أنها لم تشارك في مؤتمر المغرب العربي المنعقد في فبراير 1947 لعدة أسباب منها توقف الفضيل الورتلاني عن نشاطه وسفره إلى اليمن، إلى جانب طبيعة علاقاتها بالإخوان المسلمين بمصر. وهكذا بدأ نشاط هذه الجبهة في الزوال ابتداءً من نهاية 1947[1].

أما مؤتمر المغرب العربي، فقد كان أهم قرار خرج به هو تأسيس مكتب المغرب العربي، تجمعت فيه كل الاتجاهات والحركات الوطنية، وتم وضع الأهداف والوسائل التي يجب العمل بها. وقد اتخذ المكتب من مقر الحزب الدستوري التونسي 10 شارع ضريح سعد زغلول مقرا له[2]. وفعلا فقد أكد الشاذلي مكي أن مكتب المغرب العربي تأسس بعد عدة مفاوضات مع ممثلي الأحزاب المغاربية (حزب الشعب الجزائري، الاستقلال المراكشي، الحزب الحر الدستوري التونسي، حزب الإصلاح المغربي) يوم 05 فبراير 1947، واتخذ من شارع ضريح سعد زغلول بالقاهرة مقرا له[3].

كان أول هدف سعى له المكتب لتحقيقه هو الكفاح ضد الاستعمار، ومحاولة توحيد أقطار المغرب العربي في النضال، إلى جانب التعاون مع أقطار المشرق العربي وأقطار مؤتمر

---

* علال الفاسي: أصله من فاس بالمغرب الأقصى، شارك في النشاط السياسي، هاجر إلى القاهرة وعمل في إطار مكتب المغرب العربي لمدة تسع سنوات (09).

** كان أهم عمل قام به مكتب المغرب العربي بالقاهرة هو ترتيب لجوء عبد الكريم الخطابي إلى مصر في 31 ماي 1947 عندما كان على متن سفينة يونانية تنقله مع أفراد أسرته دون حراسة من جزيرة لارينيون La Réunion إلى فرنسا. انظر الرويسي يوسف، في م.ت.م، عدد 15-16، ص 113.

1 بلقاسمي بوعلام، المرجع نفسه، ص ص 38-39.

2 إدريس رشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونى، 1981، ص ص 61-62.

3 بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، المرجع أعلاه، ص 58.

باندونغ*[1]. وكانت أولى مهام هذا المكتب التعريف بالأقطار المغربية وقضاياها. وقد أصدر لهذا الغرض نشرة إخبارية عرفت باسم "لجنة تحرير المغرب العربي" في 5 يناير 1948 برئاسة محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد نشر ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي في معظم الصحف المصرية يوم 6 يناير 1948[2]، وهو ينص على المبادئ التالية:

1- المغرب العربي بالإسلام كان، وللإسلام عاش وعلى الإسلام سيعيش في حياته المستقبلية.
2- المغرب العربي جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة، وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي ولازم.
3- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة (تونس، الجزائر، مراكش). ولا غاية يسعى لها قبل الاستقلال.
4- لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر.
5- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال.
6- للأحزاب الأعضاء في لجنة تحرير المكتب العربي أن تدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والإسبانية شريطة إطلاع اللجنة على مراحل سير هذه المخابرات.
7- حصول أحد الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح[3].

وابتداءً من 17 أبريل 1947، تناولت أهم الأحداث في دول المغرب العربي مثل زيارة ملك المغرب لطنجة وتأكيده بها عروبة بلاده، ومشاكله مع الإقامة العامة الفرنسية، وتزوير الانتخابات في الجزائر إلى جانب تتبع تطورات الحالة السياسية في كل شمال إفريقيا وأنباء الثورات المسلحة والتي أطاحت بالاستعمار. هذا إلى جانب إصدار جملة من الكتب مثل مركز "الأجانب بمراكش" للسيد محمد بن عبود، "هذه مراكش" للأستاذ عبد المجيد بن جلول، "هذه تونس" للدكتور الحبيب ثامر، "تونس الثائرة" للدكتور علي البهلوان، وكتاب

---

[1] إدريس رشيد، المرجع نفسه، ص 63.

* **مؤتمر باندونغ** عقد في أبريل 1955، حضره وفد المغرب العربي : حضره من الجزائر محمد يزيد وحسين آيت أحمد، من تونس علال الفاسي وعبد المجيد بن جلول، وعن المغرب الطيب سليم والطاهر عميرة. أنظر بوقريوة لمياء، العلاقات الجزائرية التونسية، نفسه، ص 97، هامش رقم 2.

[2] بن عبود أمحمد، جاك كاني، مؤتمر المغرب العربي سنة 1947، ...، ص 26.

[3] Kaddache Mahfoud, opcit, Tome II, p 818.

"الحركات الاستقلالية في المغرب العربي" لعلال الفاسي. هذا إلى جانب منشورات أخرى منها كراريس بالفرنسية والإنجليزية عن القضية الجزائرية وقضايا مغربية أخرى[1].

كما عمل المكتب على تنظيم ندوات صحفية ومحاضرات واجتماعات في عدة مناسبات. وسرعان ما اتسع نطاق نشاط مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير مكتب المغرب العربي تحت إشراف عبد الكريم الخطابي بعد أن كان شمل المغرب العربي مجتمعا حول الشيخ محمد لخضر بن الحسين التونسي الجزائري الأصل، وشيخ جامع الأزهر في منظمة الدفاع عن شمال إفريقيا التي كان الفضيل الورتلاني* رحمه الله أمينها العام[2].

أما الأحزاب المؤسسة للجنة تحرير المغرب العربي فهي:

1. الجزائر: حزب الشعب الجزائري: الشاذلي مكي، الصديق، سعدي.
2. تونس: - الحزب الدستوري التونسي الجديد : الحبيب بورقيبة، الحبيب ثامر.
   - الحزب الدستوري القديم : محي الدين القليبي.
3. المغرب:
   - حزب الاستقلال: علال الفاسي، أحمد بن مليح.
   - حزب الشورى والاستقلال: محمد العربي العلمي، الناصر الكتاني.
   - حزب الإصلاح الوطني: عبد الخالق الطريس، أمحمد أحمد بن عبود.
   - حزب الوحدة المغربية: محمد اليمني الناصري[3].

وهكذا فقد كان إنشاء مكتب المغرب العربي يعني توفير متنفس جديد وقبلة موحدة لمسيرة ونشاط الحركة الوطنية المغاربية. وبعد أن كان نشاطها مركزا بالمهجر، تغير بتوجيه الأنظار إلى بلد عربي حديث الاستقلال، يتميز بالخصوبة الفكرية، فقد اتخذته الجامعة العربية مقرا لها، وأصبحت مصر محط أنظار الوفود العربية من مختلف البلدان. وبذلك تعتبر سنة 1947 سنة ذات أهمية كبيرة في سير النضال الوطني في شمال إفريقيا بتأسيس مكتب المغرب العربي الذي سيوحد نضال الأقطار الثلاثة ويدعمه. وفي هذا الصدد نذكر بعض ما

---

[1] إدريس رشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي، ...، ص 8.

* **الفضيل الوتلاني**: أحد مسري ج.ع.م.ج، من مواليد سنة 1906 بدوار بني ورتلان بالبليدة المختلطة قرقور. أصبح سنة 1945 الأمين العام لجبهة الدفاع عن "إفريقيا الشمالية".

[2] بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، ... الجزء 3، ص 57.

[3] بن عبود أمحمد، جاك كاني، مؤتمر المغرب العربي سنة 1947، ...، ص ص 26-27.

ذكره الأستاذ عبد الكريم غلاب سكرتير مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة حيث قال[1]: "كانت فكرة مؤتمر المغرب العربي أمنية تختلج في صدور هذه الثلة من أبناء المغرب، وكانت الحالة الشاذة التي تعيش فيها كل من تونس والجزائر ومراكش تدفع بهذه الأمنية إلى الوجود، فلم تلبث أن أصبحت فكرة ثم أصبحت حقيقة واقعة. وقد كان الدافع لعقد هذا المؤتمر هو اتجاه السياسة الاستعمارية التي تتبعها كل من فرنسا وإسبانيا إزاء بلاد المغرب، الأمر الذي يضع على عاتق أبناء هذه البلاد في الشرق العربي مسؤولية كبرى تتلخص في تحديد الموقف وتوحيد الصفوف وتعزيز الكفاح لتقويض دعائم الاستعمار والعمل على أن تنال هذه البلاد حقها الطبيعي في الحرية والاستقلال".

كما أن مؤتمر المغرب العربي قد تركز في آخر موضوعاته على ضرورة تنسيق وتوحيد جهود المكاتب المغاربية في مصر حيث أصدر المؤتمر القرار التالي:

"تكون رابطة الدفاع عن مراكش والوفد المراكشي في لجان الجامعة العربية ومكتب حزب الشعب الجزائري، ومكتب الحزب الحر الدستوري التونسي مكتبا يسمى "مكتب المغرب العربي"[2]. لقد كان مكتب المغرب العربي أداة لإخراج القضية المغاربية من دائرتها وتوحيد صفوفها، وأصبحت قضية التعاون أمرا ضروريا لمواصلة الكفاح، خاصة وأن المكتب أخذ على عاتقه توسيع الدعاية للقضية المغاربية عن طريق إصدار نشرات الأخبار الدورية، وسلسلة من الرسائل لعرض قضايا وأحوال المغرب العربي وأهدافه، ومجموعة من التقارير التي تعد وتقدم في مختلف المناسبات إلى الحكومات والهيئات العربية وغيرها. هذا إلى جانب:

- تنظيم سلسلة محاضرات عن المغرب في عواصم البلاد العربية.
- تمتين الصلات بين المغرب العربي ومختلف الهيئات العربية[3].

وبذلك فقد كان دور مكتب المغرب العربي هاما في التعريف بالأقطار المغاربية، ويعتبر نقطة انطلاق هامة للحركة الوطنية لبلدان المغرب العربي في المشرق.

كان مكتب المغرب العربي يضم أعضاء من المغرب وتونس والجزائر، منهم الأعضاء الدائمون أمثال التونسي الحكيم "الحبيب ثامر" الذي كان مديرا للمكتب سنة 1947،

[1] الرويسي يوسف، نشاط م.م.ع. بدمشق، ...، ص 112.
[2] إدريس رشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة، ...، ص 101.
[3] المرجع نفسه، ص 103.

و"الشاذلي مكي" من الجزائر إلى جانب "أحمد بن عبود" الذي كان ممثلا للمغرب ومكلفا بربط العلاقات مع المسؤولين المصريين. ومنهم الأعضاء الزائرون الذين كانوا يتصلون بالمكتب أثناء وجودهم بالقاهرة ويشاركون في نشاطه ومنهم "علال الفاسي"[1]. وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الشخصيات القيادية في الأحزاب الوطنية المغاربية لم تكن من بين المشاركين في عملية التأسيس إذ كانوا غائبين عن القاهرة، وقد يكون ذلك عن قصد، هدفه الابتعاد عن الزعماء الذين كانوا يسعون إلى فرض شخصيتهم، الأمر الذي لم يكن يرضاه بعض الوطنيين الدائمين في مصر[2].

وقد كان زدور إبراهيم القاسم المهاجي من الأعضاء الزائرين لأنه بدأ الاتصال بالمكتب منذ التحاقه بالقاهرة للدراسة، وبنهاية دراسته وحصوله على شهادة الليسانس عاد إلى الجزائر. وفي هذا الصدد نذكر ما كتبه الطيب المهاجي في كتابه حول ابنه "...وقد أشار عليه بعض أساتذة الكلية بأن يتجنس بالجنسية المصرية ليتاح له التدريس بالقطر المصري فأبى إلا أن يبقى على جنسيته الجزائرية. ثم عرض عليه التدريس بالكويت فوقف ذلك على استشارتي فأبيت وحتمت عليه العودة إلى الوطن الذي هو في الوقت الحاضر أحوج ما يكون لأمثاله، فامتثل وعاد من فوره يحمل علما نافعا ومعارف واسعة..."[3].

بمجرد وصول زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى القاهرة، بدأ بالاحتكاك بالأوساط السياسية[4] وخاصة الشاذلي مكي الذي فضل التوجه إلى مصر لمواصلة نشاطه السياسي[5]، وهناك أصبح ممثلا لحزب الشعب الجزائري (رسميا حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) في لجنة تحرير المغرب العربي برئاسة عبد الكريم الخطابي. وقد كثف جهوده رفقة الفضيل الورتلاني على توجيه العالم العربي ضد الإمبريالية الفرنسية[6].

أمضى زدور إبراهيم القاسم المهاجي في القاهرة أربع سنوات (1950-1953) كان فيها على اتصال دائم بمكتب حزب الشعب الجزائري في القاهرة. وكما ذكر مولود قاسم نايت بلقاسم "...وطيلة هذه السنين الأربع (1950-1953) وقاسم وإياي على اتصال دائم بمكتب

---

1 بن عبود أمحمد، جاك كاني، مؤتمر م.ع في القاهرة، ...، ص 12

2 المرجع نفسه، ص 8.

3 المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ...، ص 105.

4 Mâachou Aek Abdeljlil, Opcit, Le Quotidien d'Oran 02/11/2000.

5 Echo (L') d 'Alger, 19/01/1955

6 Stora Benjamin, Dictionnaire.., opcit, p 133.

المغرب العربي الذي كان يرأسه المرحوم البطل المغوار محمد بن عبد الكريم الخطابي...في دار واحدة هي في الواقع شقة واسعة للمكاتب الثلاثة أولا في رقم 10 شارع ضريح سعد...، إلى أن انتقل المكتب المغاربي المشترك، كل حزب بقسطه، إلى شقة أوسع في 23 شارع عبد الخالق ثروت..."[1]. وقد تمكن خلال هذه السنوات من ربط علاقات واسعة مع شخصيات سياسية هامة، كما هو الحال بالنسبة للجنرال نجيب[*] رئيس مجلس الوزراء وقائد عام القوات المسلحة والذي كانت تربطه به علاقة وطيدة فقد أرسل مثلا في 4 أبريل 1953 ظرفا يحتوي على عشر دعوات يوجهها إلى من يرى دعوته من الطلبة لقضاء يوم 16 أبريل 1953 شم النسيم (عادة فارسية دخلت مصر وتعرف عندهم بنيروز) في ضيافة حضرة الرئيس[2].

هذا إلى جانب علاقته الجيدة مع "عبد الرحمن عزام باشا" أمين عام الجامعة العربية، والذي كلفه في صيف 1953 بمهمة إلى الجزائر وفرنسا ودفع له مصاريف الرحلة[3]. فكانت له علاقات حسنة بكل من علال الفاسي، ووزير الخارجية المصري محمد صلاح الدين الذي كتب زدور إبراهيم القاسم المهاجي مقالا يمدحه فيه لمواقفه التاريخية. إلى جانب انتهازه لزيارة "ظفر الله خان" وزير خارجية باكستان إلى مكتب المغرب العربي بالقاهرة، ليعرفه بالقضية الجزائرية[4]. وقد وجدنا صورة التقطت بمناسبة زيارة ظفر الله خان لمكتب المغرب العربي يظهر فيها كل من علال الفاسي، علي البهلوان، الرشيد إدريس، الشاذلي مكي، الطيب سليم إلى جانب زدور إبراهيم القاسم المهاجي وظفر الله خان[5]. إضافة إلى علاقاته الوطيدة بشخصيات أخرى كما هو الحال بالنسبة لصديقه المناضل علي الحمامي[6] الذي توفي على إثر إثر حادثة طائرة في باكستان يوم 12 ديسمبر 1949[7].

وفي هذا الصدد ذكر آيت أحمد في مذكراته "تميز (القاسم زدور) بثقافة مزدوجة فرنسية وعربية وبتكوين ممتاز حصل عليه من الجزائر في إطار الحركة النضالية في ظل حزب الشعب-حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وسنستفيد من معارفه الحسنة داخل الأوساط

---

[1] نايت بلقاسم مولود قاسم، الشهيد بلقاسم زدور إبراهيم، نفسه، الملحق رقم 9، ص 155.
[*] حصلنا من أرشيف العائلة على صورة للجنرال نجيب وعبد الرحمن عزام باشا التقطها زدور إبراهيم القاسم المهاجي نفسه. انظر ملاحق الصور.
[2] أرشيف العائلة.
[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/13.
[4] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2007/07/30.
[5] إدريس الرشيد، ذكريات عن م.م.ع، ...، ص 208.
[6] شهادة زدور محمد، بتاريخ 2006/06/13.
[7] بن عبود محمد، مؤتمر المغرب العربي، ...، ص 29، هامش 28.

السياسية المصرية"[1]. ذلك أن حسين آيت أحمد لم يلتحق بالقاهرة إلا سنة 1952، بينما كان محمد خيضر قد التحق بها يوم 5 جوان 1951[2]، أما بن بلة فقد وصل القاهرة يوم 16 مارس 1952[3]. بينما وصل هواري بومدين إليها ابتداءً من سنة 1951[4]، بقي بها أربع سنوات عاشها هو الآخر في فقر وحاجة بسبب الصعوبات المادية التي لاقاها، وسكن هو ورفاقه في غرفة صغيرة تابعة لمكتب تحرير المغرب العربي الذي كان يشرف عليه عبد الكريم الخطابي[5].

وهكذا كان التحاق زدور إبراهيم القاسم المهاجي بالقاهرة سابقا لوصول القيادات الثورية الأخرى، وقد ساعدتهم علاقاته ومعارفه في تسهيل تحركاتهم ونشاطاتهم، وهو ما أكده آيت أحمد حسين. ثم بدأ اتصال زدور إبراهيم القاسم المهاجي فيما بعد بالمرحوم محمد خيضر ثم آيت أحمد وأحمد بن بلة بعد مجيئهم إلى القاهرة تباعا ليبقى هؤلاء الثلاثة في المكتب بعد فصل الشاذلي مكي من طرف مصالي الحاج[6] ابتداءً من 1952[7].

أما عن نشاطات زدور إبراهيم القاسم المهاجي بالقاهرة، في إطار مكتب المغرب العربي، فقد تمثلت في الترجمة لمساعدة المناضلين بحكم تمكنه من عدة لغات، كتابة المراسلات والمقالات، إلى جانب مهمة أكبر وهي تعريف رجال السياسة ومنهم المصريين والباكستانيين وغيرهم من الذين كانوا قريبي العهد بالاستقلال بالقضية الجزائرية وواقع المجتمع الجزائري[8]. هذا إلى جانب مهمة التنسيق والربط بين القيادة في الجزائر والقاهرة وفرنسا. وفي هذا الصدد، ذكرت جريدة L'Echo d'Alger أنه في نهاية السنة الدراسية 1951-1952 حصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي على مبلغ قدره 30 جنيه مصري من محمد خيضر وفرحي سعيد*، ثمن سفره إلى أوروبا أين كان عليه إيصال مجموعة من الرسائل السرية إلى أصحابها بباريس، ومنها توجه إلى "نيور Niort" بفرنسا دائما للقاء زعيم حزب

---

[1] Aït Ahmed Hocine, opcit, p 227 / هامش رقم (3)
[2] Stora Benjamin, opcit, p 287.
[3] Opcit, p 271.
[4] Opcit, p 146.
[5] العمامرة سعد بن البشير، هواري بومدين الرئيس القائد (1932-1978)، قصر الكتاب، البليدة، الطبعة I، 1997، ص 20.
[6] نايت بلقاسم مولود قاسم، .... المساء بتاريخ 1990/12/03.
[7] Stora Benjamin, opcit, p 133.
[8] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/13.
* **فرحي سعيد** هو الاسم المستعار الذي دخل به آيت أحمد إلى القاهرة وهناك أصبح الناطق الرسمي باسم ح.ا.ح.د في المحاضرات المناهضة للإمبريالية.

حركة الانتصار للحريات الديمقراطية[1]. وفعلا تمكنت من الحصول من أرشيف عائلة زدور على صورة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" مع الزعيم "مصالي الحاج" بـ"نيور" بفرنسا بتاريخ 27 جويلية 1952[2].

وبعد عودة زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى الجزائر، اتصل بحسين لحول**، علما أن هذا الأخير كان أحد المرشحين في الانتخابات ممثلا لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بوهران، وعين فيما بعد مسؤولا عن جهاز الحركة، ثم لجنة التنظيم ثم أمينا عاما للحزب ابتداءً من سنة 1950. ليعود ثانية إلى "نيور" للقاء مصالي الحاج ثانية. وبعد قضاء مهمته عاد إلى القاهرة أين استقبله كل من محمد خيضر وفرحي سعيد، إلى جانب أحمد مزغنة*** وأحمد بودة****، علما أن هذين الأخيرين كانا في مهمة خاصة في القاهرة هذه السنة (1952)[3]. ومن هذا ندرك مدى الدور لذي قام به زدور إبراهيم القاسم المهاجي كعامل اتصال بين هذه القيادات، وكانت عودته إلى القاهرة لإعطاء تقرير عن نتيجة تحركاته بين نيور والقاهرة والجزائر.

وفي المقال نفسه، ذكر أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان قد توجه إلى باريس في الغرفة السادسة التي كان يرأسها Zevadait إلى مقر L'Algérie Libre***** أين قدم له مبلغا ماليا قدره 500.000 فرنك فرنسي كان خيضر يطالب بها. وفي سبتمبر من نفس السنة وبعد عطلة قصيرة قضاها بالجزائر، عاد زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى القاهرة أين اتصل بأحمد بن بلة[4] في إطار مكتب المغرب العربي. هذا علما أن أحمد بن بلة* وبعد هروبه هروبه من سجن البليدة في 16 مارس 1952، توجه إلى القاهرة أين أصبح عضوا في الوفد الخارجي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية رفقة آيت أحمد حسين ومحمد خيضر. كما تخصص في الجانب العسكري وتكوين الفدائيين وإرسال الأسلحة، وتوطدت علاقاته بجمال

---

[1] Echo (L') d'Alger, 19/10/1955.

[2] أرشيف العائلة، صورة بتاريخ 27 جويلية 1952. انظر ملاحق الصور.

** **حسين لحول** من مواليد سكيكدة (1917/12/17)، عضو في النجم ثم حزب الشعب.

*** **أحمد مزغنة** (1907-1982) من مواليد البليدة، عضو في النجم ث ح.ش.ج ثم ح.ا.ح.د.

**** **أحمد بودة** من مواليد 1907 بالقبائل، عضو في اللجنة المركزية لـ ح.ش.ج ثم ح.ا.ح.د ثم ممثل لجبهة التحرير الوطني بالعراق وليبيا (1958-1962).

[3] Stora Benjamin, opcit, p 276.

***** هي جريدة أسبوعية بفرنسا، كان محمد يزيد العضو في اللجنة المركزية لـ ح.ا.ح.د ينشط لجنة تحريرها. Stora, p 305

[4] Echo (L') d'Alger, 19/10/1955.

* **أحمد بن بلة**: ولد بمغنية سنة 1916، عضو في اللجنة المركزية لـ ح.ا.ح.د، مسؤول في المنظمة الخاصة، أول رئيس للجزائر (1962-1965).

عبد الناصر ومعاونيه في هذا المجال[1]. وفي هذا الصدد نذكر وصف المدني أحمد توفيق لمكتب المغرب العربي عند زيارته له سنة 1956، حيث ذكر أنه بزيارته لقسم الجزائر[**]، وجد الغرفة الفسيحة الأولى يحتلها مكتب محمد خيضر بها آلة هاتف، مكتب متوسط الحجم، وأربعة مقاعد، وخزانة في الجدار بأوراق متناثرة. أما غرفة أحمد بن بلة فقد وصفها بالنظافة والترتيب. كما ذكر أن حالة الوفد الجزائري بالقاهرة كانت مفككة بسبب عدم الانسجام بين رجاله وقلة ما يقوم به من أعمال[2]. هذا عن شهادة توفيق المدني عن أوضاع مكتب المغرب العربي بعد الثورة، أما قبلها فقد كان نشاطه مكثفا في سبيل التعريف بالقضية الجزائرية والقضايا المغاربية ككل. وقد ورد في رسالة بعث بها الجنرال سوستال Soustelle إلى مستشار الاتحاد الفرنسي Begarra بتاريخ 7 ديسمبر 1955 تحت رقم 698/SP أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان معروفا بالقيام بعدة مهام في إطار الاتصال بين القاهرة ، وباريس والجزائر لحساب حزب الشعب الجزائري، حيث كان يقوم بربط الاتصالات بالإطارات الكبرى للحزب: مصالي الحاج في نيور في Les Deux Sèvres بفرنسا حيث كان هذا الأخير تحت الإقامة الجبرية، محمد خيضر، حسين لحول، أحمد مزغنة، أحمد بودة وآخرين[3].

وقد ذكرت جريدة L'Echo d'Alger أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي وأثناء زيارته للجزائر، كان يحضر معه رسائل من "الشاذلي مكي" يوجهها إلى مسيري حركة الانتصار للحريات الديمقراطية[4].

وهكذا فقد كانت نشاطات زدور إبراهيم القاسم المهاجي بسريتها مكثفة قبيل اندلاع الثورة التحريرية، وخاصة على إثر أزمة ح.ا.ح.د. التي تعود جذورها إلى عودة ميصالي الحاج من رحلته إلى المشرق يوم 1952/01/16، حيث وجد قيادة الحزب معزولة عن القاعدة، وتذمر الثوريون داخل الحزب ومطالبتهم بالعمل العسكري. ولما حاول ميصالي الحاج القيام بجولة في الشرق الجزائري تم إلقاء القبض عليه ونفيه إلى فرنسا يوم 14 ماي 1952 ليبقى المجال

---

[1] Stora Benjamin, opcit, p 272.

[**] في م.م.ع كان يشترك كل من التونسيين والجزائريين والمغاربة في شقة مؤلفة من ست غرف اقتسموها فيما بينهم بالتساوي، للجزائر غرفتان يمين الداخل، ولتونس غرفتان في الوسط وللمغاربة غرفتان على اليسار. كانت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ترسل مبلغ 750 جنيه شهريا تقتسمه المكاتب الثلاثة. المدني توفيق، نفسه، ج III، ص ص 118-119.

[2] مدني توفيق، حياة الكفاح، ج 3، ...، ص ص 118-124.

[3] Mâachou Aek Abdeljlil, …, In Le Quotidien d'Oran 01/11/2000.

[4] Echo (L') d'Alger, 19/02/1955..

مفتوحا لخصومه كي ينفردوا بقيادة الحزب وخاصة في المؤتمر الثاني لـ"ح.ا.ح.د." الذي انعقد بتاريخ 06/04 أفريل 1953، وقاد هذا التيار بن يوسف بن خدة الأمين العام للجنة المركزية لـ"ح.ا.ح.د." بمساعدة حسين لحول[1]. ولعل تنقلات زدور إبراهيم القاسم المهاجي التي ذكرت في مقال Echo d'Alger خلال نهاية السنة الدراسية 1952/1951 كانت تتعلق بهذه الأزمة، ذلك أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان قد توجه إلى "نيور" للقاء مصالي الحاج، ثم عاد إلى الجزائر ليلتقي بحسين لحول الذي كان من المركزيين ومعارضا للمصاليين[2]. وانتقل بعدها إلى "نيور" مرة أخرى للقاء مصالي الحاج ثانية. وقد يكون ذلك لمحاولة تسوية الخلاف أو تقريب وجهات النظر داخل الحزب، ليعود بعدها إلى مكتب المغرب العربي بالقاهرة أين اتصل بمحمد خيضر وحسين آيت أحمد وأحمد بودة[3]، الذي كان معارضا لمصالي الحاج، ويرى في ضرورة إعطاء الاولوية للمنظمة الخاصة. وأحمد مزغنة الذي كان من المصاليين. ومع انعدام المعلومات حول نتائج وحيثيات هذه المهمة، إلا أن دافعها قد يكون تسوية الخلاف داخل الحزب.

وقد ذكر مولود قاسم نايت بلقاسم بأن كل من محمد خيضر وأحمد بن بلة وآيت أحمد كانوا يزورونهما عندما يتغيبا قليلا عن مكتب المغرب العربي لأسباب الدراسة والامتحانات. وذكر أنهما (زدور إبراهيم القاسم المهاجي ونايت بلقاسم) كانا تحت تصرف القيادة الجزائرية التي كانت تعد مع الستة في الجزائر لتفجير ثورة أول نوفمبر 1954. هذا علما أنهما كانا قد درسا معا وسكنا في غرفة واحدة وناضلا ونشطا معا في إطار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وبقيت الاتصالات بينهما حتى قبيل وفاته[4].

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنه بسبب نشاطاته السياسية المكثفة والمهمات التي كانت توكل إليه، وتنقلاته بين الجزائر، ومصر وفرنسا، بباريس ونيور، رسب زدور إبراهيم القاسم المهاجي في امتحانات دورة الصيف لسنة 1953، كما سبق ذكره، وبدلا من البقاء

[1] بوقريوة لمياء، المرجع نفسه، ص ص 28/27.

[2] Benjamin Stora, opcit, p 290

[3] L'Echo (L') d'Alger 19/02/1955

[4] نايت بلقاسم مولود قاسم، "الشهيد بلقاسم زدور إبراهيم"...، المساء 1990/12/03.

بالقاهرة للإعداد للامتحان في شهر سبتمبر، أوكل له عزام باشا مهمة جديدة دفع هو مصاريفها[1].

ورغم كثافة هذا النشاط وأهميته، فإن زدور إبراهيم القاسم المهاجي تميز بالسرية التامة فيما يخص مهامه. فطيلة دراسته وأثناء انتهازه فرصة القدوم في مهمات سياسية سرية إلى الجزائر، كان يزور عائلته ولم يكن يتطرق إلى أي شيء عن ذلك النشاط وارتباطاته، ما عدى بعض الإشارات الخاطفة حول اتصالاته بالقيادات الهامة بمصر، وعدد من الصور التي كان يحتفظ بها في وثائقه الخاصة. ذلك أنه وفي ظل انعدام وجود طائرة مباشرة من الجزائر إلى مصر كان في كل مرة يزور فيها الجزائر يتوجه إلى فرنسا ومنها إلى الجزائر، وكان أحيانا وللتقليل من التكاليف الخاصة بالسفر، يتوجه إلى فرنسا ومنها إلى إيطاليا أو اليونان ليقل الطائرة إلى مصر ويكون بذلك ثمن الرحلة أقل تكلفة[2]، علما أن هذه التنقلات كانت مراقبة من طرف السلطات الفرنسية وهو ما أكده المقال الذي نشرته L’Echo d’Alger.

وقد عرف زدور إبراهيم القاسم المهاجي في الأوساط السياسية بمصر باسم "قاسم زيدون"، حيث ذكره حسين آيت أحمد في كتابه بهذا الاسم[3]. وكذلك ذكره نايت بلقاسم في مقاله في جريدة المساء. و"قاسم زيدون" هو الاسم الذي نال به المكانة الفكرية والسياسية التي حضي بها في القاهرة.

وقد علمت من الحاج زدور محمد شقيق زدور إبراهيم القاسم المهاجي، أنه في سبتمبر 1954 جاءه مبعوثان – لم يذكر مصدرهما – إلى المنزل يعرضون عليه مهمة تمثيل الجزائر في المؤتمر العالمي الأول لدول عدم الانحياز في مدينة باندونغ الإندونيسية[4]، لكنه رفض. وقد علل "زدور محمد" هذا إلى مقتل أحد أصدقائه، وهو علي الحمامي، من الجزائر نتيجة حادثة طائرة في باكستان، وكان رفقة كل من الحكيم الحبيب ثامر من تونس والأستاذ أمحمد بن عبود من المغرب، حيث مثلوا مكتب المغرب العربي في أول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية[*]. وكانت حادثة الاستشهاد بتاريخ 12 ديسمبر 1949[5]، أثناء توجه الطائرة

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/13.
[2] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/10.
[3] Aït Ahmed Hocine, opcit, p 227.
[4] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/13.
[*] نقل جثمان الشهيدين محمد بن عبود من تونس وعلي الحمامي من الجزائر بطائرة إنجليزية في 1950/01/11، لترسى الطائرة في الجزائر ثم طنجة لوضع جثمانيهما. بينما لم يعثر على جثمان الحبيب ثامر. انظر إدريس الرشيد، ص 174.
[5] ابن عبود أمحمد، مؤتمر المغرب العربي، ...، ص 29.

إلى مدينة باندونغ[1]. أما عن هذا المؤتمر فقد عقد بإندونيسيا ودعا إلى عقده الأقطاب الثلاثة : جمال عبد الناصر، المارشال تيتو رئيس يوغسلافيا وجواهر لال نهرو رئيس الهند خليفة لغاندي. عقد هذا المؤتمر سنة 1955 وحضرته الجزائر بممثلها محمد يزيد[**][2] الذي كان قد التحق بالقاهرة يوم 27 أكتوبر 1954 وأصبح بعد ذلك ممثلا لجبهة التحرير الوطني بنيويورك[3].

هذا عن النشاط السياسي لزدور إبراهيم القاسم المهاجي، أما نشاطه الثقافي فقد كان غنيا جدا كما هو الحال بالنسبة لكل أعضاء مكتب المغرب العربي الذين اتحدت رغبتهم في الكفاح ومقاومة الاستعمار. لذلك فقد استغلوا كل الوسائل للتعريف بقضيتهم من صحافة ومحاضرات ومؤتمرات، فقد تميزت نشاطات المكتب بالتنوع الكبير[4] والحيوية والفعالية، وتجلى دور زدور إبراهيم القاسم المهاجي في هذا المجال في سعيه في كل المناسبات لتسليط الضوء على واقع الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، خاصة وأنه كانت له مكانة مرموقة بين الأوساط السياسية المصرية، وداخل المؤسسة الجامعية من خلال نشاطاته السياسية وكتاباته الثقافية التي سنوليها دراسة خاصة، ولعل أهمها مقالاته التي كانت تنشر بجريدة المنار.

ونشير هنا إلى أنه كانت تربط زدور إبراهيم القاسم المهاجي علاقات حسنة برجال الإخوان المسلمين وزعيمهم سيد قطب[5] الذي كان قد شارك في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المغرب العربي بالقاهرة سنة 1947، حيث أخذ الكلمة الافتتاحية يوسف الرويسي الذي قدم الأستاذ عبد الرحمن عزام والأستاذ عبد الكريم غلاب بصفته الكاتب العام للمؤتمر، والرشيد إدريس عن حزب الدستور الحر التونسي، وأحمد أمين عن الجامعة العربية ليختتم الجلسة سيد قطب[6]. هذا علما أنه كانت هناك **"جمعية الشبان المسلمين"** التي استقطبت عددا من الطلبة بمصر ومنهم هواري بومدين الذي كان مهتما بمتابعة محاضرات "حسن البنا" واللواء

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/10.

[**] **محمد يزيد**: أمين عام لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (1946)، عضو في اللجنة المركزي لـ ح.ا.ح.د (1948) إلى جانب عدة مهام سياسية أخرى.

[2] المدني أحمد توفيق، حياة الكفاح، ج 3، ...، ص 89.

[3] Stora Benjamin, opcit, p 305.

[4] ابن عبود أمحمد، المرجع نفسه، ص 12.

[5] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/13.

[6] ابن عبود أمحمد، كاني جاك، مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، ...، ص 7.

"صلاح حرب"[1]. ونحن نذكر هذه المعلومة لمعرفة الأجواء التي كانت سائدة بمصر في هذه الفترة.

نستخلص من كل هذا أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد تمكن من خدمة القضية الجزائرية في إطار اتصالاته الواسعة بالأوساط السياسية بمصر، وبفضل دوره التنسيقي بين القيادات الوطنية في الجزائر والقاهرة وفرنسا.

شكل الطلبة الجزائريون بالقاهرة في إطار المغرب العربي رابطة الطلاب الجزائريين. كان الطلبة موزعين إلى خلايا تنظم اجتماعات ولقاءات، وركز نشاطهم الثقافي على المحاضرات والندوات، كما كان الطلبة يدفعون اشتراكات، علما أن أغلب الطلبة بمصر كانوا أعضاء في حزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. وذكر لنا الدكتور "يحي بوعزيز" أنه ظهر الصراع بينهم وبين الطلبة المنتمين إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. فكان القسم الأول يرى أولوية الاستقلال للجزائر ثم التعليم، بينما كان القسم الثاني يسبق التعليم على الثورة[2].

وقد واكبت الحركة الطلابية الجزائرية منذ نشأتها سنة 1919 الحركة الوطنية الجزائرية وشاركتها في اتخاذ القرار[3]. وهو ما ظهر جليا عند اندلاع الثورة بتلبية الطلبة والتلاميذ لنداء جبهة التحرير الوطني بترك مقاعد الدراسة في جامعة الجزائر وثانوياتها وفي الجامعات الفرنسية بتاريخ 19 ماي 1956[4]. ومن مظاهر المساندة للثورة أيضا أن الطلبة الجزائريين بالقاهرة كانوا يساهمون قبل وبعد تخرجهم في تسيير الشؤون الإدارية لمنظمة الحزب كل حسب طاقته، وكذلك تمثيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في جميع التظاهرات[5].

هذا وقد ذكرت عدة مراجع مساهمة زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تكوين الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، فقد ذكر Kessel Patrick وPirelli Giovanni أنه "منذ ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين قام هذا الأخير بالتنديد ببعض أساليب القمع كما حدث لزدور إبراهيم القاسم المهاجي الذي كان من أوائل مسيري مكتب ا.ع.ط.م.ج[*]

[1] العمامرة سعد بن البشير، هواري بومدين، الرئيس القائد ...، ص 22.
[2] شهادة الدكتور بوعزيز يحي بمنزله يوم 2001/08/25.
[3] هلال عمار، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، لافوميك، 1986، ص 15.
[4] بوقريو لمياء، المرجع نفسه، ص 192.
[5] هلال عمار، المرجع السابق، ص 91.
[*] **إ.ع.ط.م.ج** : الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

والذي تم قتله"[1]. كما ذكر "الشيخ سليمان" في كتابه L'Algérie en armes فيما مضمونه أن عمليات القمع سرعان ما ستمس أعضاء ا.ع.ط.م.ج، حيث سيتعرض عدد كبير منهم للاستدعاء والتفتيش والاعتقال خلال سنة 1955. بل إن البعض منهم سيلقى حتفه كما هو الحال بالنسبة لنائب المدير ونقصد به زدور إبراهيم القاسم المهاجي[2]. والمعلومة نفسها نجدها في نص المرافعة التي تقدم بها المحامي "أمقران ولد عودية"[**] الذي كلف بالمرافعة عن 16 طالبا متهمين بإعادة تأسيس جمعية محلة، حيث ذكر "ولد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين داخل الثورة، ومنذ ميلاده جرب وعلى مستوى مسيرته الأساليب اللاإنسانية التي لسنا الوحيدين الذين ينددون بها، وزدور أحد أوائل مسيري مكتبه قد تم اغتياله..."[3]. أما من جهته فقد نفى الدكتور "الصم منور" الذي كان قد التحق بالقاهرة سنة 1954، قبل الثورة، أية علاقة بين زدور إبراهيم القاسم المهاجي وا.ع.ط.م.ج، وأكد أن فلسفة زدور إبراهيم القاسم المهاجي وإيديولوجيته غير فلسفة ا.ع.ط.م.ج وإيديولوجيته[4].

وفي هذا الإطار سأحاول إعطاء لمحة عن النشاط الطلابي منذ بداياته وإلى غاية تأسيس ا.ع.ط.م.ج. فبعد 3 سنوات فقط من تأسيس المدارس العليا، تأسست جمعية الطلبة للجزائر (العاصمة)[*] والتي أصبحت فيما بعد الجمعية العامة لطلبة الجزائر[**]، وكانت هذه الأخيرة من أولى الجمعيات العام بفرنسا، كان الانضمام إليها مفتوحا لكل الطلبة. غير أنه وفي سنة 1893 بدأت النزاعات العنصرية تظهر عليها، حيث رأى بعض أعضاؤها ضرورة الانتخاب لقبول الأعضاء الجدد[5]. وفي سنة 1906 تأسس الاتحاد الوطني لجمعيات الطلبة بفرنسا، وعقد سنة 1908 مؤتمره الثاني بالجزائر العاصمة، وكان برنامج الاتحاد في هذا المؤتمر معالجة مشكلتين أولاهما تعليم "الأهالي" والثاني تحويل المدارس العليا إلى جامعات[6].

---

[1] Kessel Patrick et Pirelli Giovanni, Le peuple Algérien et la guerre, 1954-1962, Lettres et témoignages, François Maspero, 1962, p 356

[2] Cheikh Slimane : l'Algérie en armes, ou le temps des certitudes, ed. Casbah, 1998, p 251.5 هامش رقم

[**] كان المحامي أمقران ولد عودية مكلفا بالمرافعة عن 16 مناضلا متهما بإعادة حل جمعية منحلة، غير أنه تم اغتياله ليلة المحاكمة مما أدى إلى تأجيل المحاكمة إلى يوم 25 جويلية 1959 بعدما كانت مقررة ليوم 13 ماي 1959. انظر Pervilllé Guy Les étudiants Algériens,.. ص 161-173.

[3] Pervillé Guy, Les étudiants Algériens de l'université Française, 1880-1962, Préface de Habib Med, Ed. Casbah, Alger, Mai 1997, p 161.

[4] شهادة الدكتور الصم منور بمكتبة CRIDISH بتاريخ 2007/08/12.

[*] Société des étudiants d'Alger

[**] Association générale des étudiants d'Alger

[5] Perville (Guy), opcit, p : 87

[6] Opcit, p : 88

وفي يناير 1919 قامت الجمعية العامة للطلبة الجزائريين التي كانت خاضعة لأبناء الكولون، بتشكيل فئة خاصة "بالمسلمين" تضم الأعضاء المنتسبين والذين كانوا يدفعون الاشتراكات فقط ولا يحق لهم الانتخاب[1]. لذلك قام الطلبة الجزائريون بالتعاون مع الطلبة التونسيين والمغاربة بجامعة الجزائر بتأسيس ودادية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا[***]، لتظهر بذلك كفاءة الطلبة الجزائريين وجدارتهم، وكان ذلك يوم 16 مارس 1919[2]، وقد ترأس هذه الودادية "فرحات عباس"[****] سنة 1926. وتحولت فيما بعد إلى جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، وشارك بعض أعضائها في تكوين جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس حوالي سنة 1927[3]، وقررت عدم قبول الطلاب المتجنسين بالجنسية الفرنسية في صفوفها، وعقد مؤتمرات سنوية تكون في إحدى مدن المغرب[4]. هذا وقد لعب الطلبة الجزائريون دورا هاما في إطار هذه الجمعية ومن خلال مؤتمراتها التي ركزت في مجملها على التعليم، قضايا التاريخ الوطني، التربية الوطنية والمرأة. ودافعت عن الشخصية العربية الإسلامية للجزائر بشكل خاص، وبتشجيع ودعم من إخوانهم في المغرب وتونس، طالب الطلبة الجزائريون بتحسين أحوال التعليم وفرض اللغة والآداب العربية الإسلامية في المدارس لكل مراحل التعليم. وتمكنت هذه الجمعية فيما بين 1945/1944 من الحصول على مقر لها بعنوان 115 شارع القديس ميشيل بباريس[5].

أما عن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، فتعود جذوره إلى العشرينيات من هذا القرن، بفضل جهود الطلبة المنضمين لنجم شمال إفريقيا وجمعية العلماء المسلمين، فقد ركز حزب النجم على توعية الشباب المسلم القادم من الجزائر وتونس والمغرب إلى فرنسا[6]. كما أن دور الحركة الطلابية ظهر بوضوح أثناء الحرب العالمية الثانية ليكتسب الصبغة النضالية الثورية بعد نهاية هذه الحرب، فقد تحمس عدد كبير من الطلبة لفكرة الثورة، وساهم في

---

[1] Hocine (Nouara), Les intéléctuels Algériens, Mythe, Mouvance et anamorphose, des années de Braise aux années de feri, Préface de Mahfoud Kaddache, Dahleb-Enag, Alger 2005, p : 173

[***] **AEMAN** → Amicale des Etudiants Musulmans de l'Afrique du Nord

[2] Perville (Guy), opcit, p : 89

[****] **فرحات عباس** : من مواليد 1899، صيدلي، صاحب بيات 1943، رئيس الاتحاد العام للبيان الجزائري سنة 1946، أول رئيس للحكومة المؤقتة سنة 1958.

[3] Perville (Guy), opcit, pp : 58-59

[4] القورصو (محمد)، تأسيس ج.ع.م.ج، المرجع نفسه، ص 139.

[5] غربي الغالي، الدور النضالي للحركة الطلابية الجزائرية إبان ثورة التحرير، مجلة عصور، العدد 2، سنة 2002، مكتبة الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 02.

[6] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نشاطاتها العسكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية[1]، خاصة وأن حزب الشعب الجزائري قد ركز وابتداء من 1935 على استقطاب الفئات المثقفة من ذوي الشهادات، الطلبة، الثانويين والعمال وذلك لما كان لهذه الشريحة من أهمية داخل الحزب، كما هو الحال بالنسبة للطبيب "الأمين دباغين"، طبيب الأسنان "دردور"، المحامي "حاج سعيد الشريف"، الأستاذ "محفوظي" والمحامي "معيزة" إلى جانب كل من الطلبة "ابن يوسف بن خدة"، "مصطفاوي"، والثانويين أمثال "حسين آيت أحمد"، "عمار أوصديق"[2]. وكان للظروف السيئة التي يعيشها الطلبة، والتطورات السياسية بالجزائر عاملا هاما في دفع الطلبة الجزائريين إلى التفكير في ضرورة إيجاد تنظيم يجمعهم ويدافع عن مصالحهم[3]. إلى جانب عدم تمكنهم من إقناع الطلبة الفرنسيين بشرعية الكفاح المسلح للشعب الجزائري، واقتناع الطالب الجزائري بضرورة تحمله لمسؤولياته التاريخية والحضارية اتجاه نضال شعبه، ونفي ادعاءات فرنسا بأن الثورة الجزائرية يقودها لصوص وقطاع طرق، أو أنها بدفع خارجي يهدف إلى زعزعة الاستقرار الفرنسي[4].

هذا وقد كان الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين السباق إلى الظهور في شكل تجمع طلابي يضم كل الشرائح الطلابية الجزائرية منذ ديسمبر 1953. ونص برنامجه على الانفتاح على مختلف الفئات الطلابية من أصل جزائري. وحاول هذا الاتحاد تنظيم مؤتمر بفرنسا سنة 1954، لكن الحزب الشيوعي رفض مقترحاته[5]، وفي الوقت نفسه كان اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس قد جلب إليه عدد كبير من الطلبة بفضل المساعدة الفرنسية التي كانت تغطي احتياجاته. لكن هذا المخطط لقي معارضة شديدة من طرف بلعيد عبد السلام رئيس (ج.ط.م.ش.ا – AEMAN) والذي كان مسؤولا عن الجناح الطلابي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية. وكان قد انتقل خصيصا إلى باريس سنة 1953 ليفرض التوجه الجديد الذي سيعرف باسم الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين[6]. كما كانت هناك محاولة لإيجاد لإيجاد وحدوي يجمع الطلبة الجزائريين والمغاربة والتونسيين خلال فترة الخمسينيات، لكن

---

1 هلال عمار، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، ...، ص 16.

2 Hocine (Nouara), opcit, pp : 168-169

3 غربي الغالي، المرجع نفسه، ص 03.

4 المرجع نفسه، ص 03.

5 حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية، ...، ص 52.

6 Perville (Guy), opcit, p : 118

هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب ابتعاد الطلبة التونسيون عن المجموعة وتأسيسهم جمعية خاصة بهم عرفت باسم الاتحاد العام للطلبة التونسيين[1].

هكذا وفي شهر جويلية من 1955 تم تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وباشر نشاطه السياسي ونضاله ابتداء من مارس 1956[2]، وكان ذلك بمبادرة من (ج.ط.م.ش.ا – AEMAN) وبوحي من جبهة التحرير الوطني حيث عقد اجتماع تحضيري بباريس فيما بين 4 و7 أبريل 1955 لينتهي الاجتماع بتأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين[3]. وقد ركز (ا.ع.ط.م.ج) في برنامجه على عدة محاور أهمها:

1) جمع شمل الطلبة الجزائريين وتوحيد صفوفهم.
2) العمل على إعطاء اللغة العربية مكانتها باعتبارها المحرك الأساسي للثقافة الجزائرية.
3) مشاركة الاتحاد في الحياة السياسية مشاركة فعالة[4].

من هذا البرنامج، ومن خلال تتبعنا لأفكار زدور إبراهيم القاسم المهاجي ومبادئه، نجد أن هناك نوع من التقارب، فقد كان زدور إبراهيم القاسم المهاجي من مناصري اللغة العربية والداعين إلى حمايتها والنهوض بها، ومن المؤمنين بأهمية الاتحاد سواء على مستوى الطلبة أو على مستوى الأحزاب. وهو ما لمسناه من خلال مقالاته وقناعته بأهمية المزاوجة بين النشاط التعليمي والسياسي.

أما عن نشاط الطلبة الجزائريين بالقاهرة*، فقد كان إلى جانب النشاط السياسي الذي سبق ذكره، يركز على المجال الثقافي فيما يتعلق بالتعرف بالقضية الوطنية الجزائرية ونشرها بين الأوساط الطلابية العربية. إلى جانب محاولة كسب المؤيدين في مختلف الأوساط الثقافية في البلدان التي يقيم بها الطالب الجزائري. والكشف عن الممارسات الاستعمارية اتجاه الشعب الجزائري، ومحاولة التنسيق والتنظيم بين الوسط الطلابي الجزائري في جميع أنحاء العالم[5].

[1] هلال عمار، المرجع نفسه، ص 26.
[2] غربي الغالي، المرجع نفسه، ص 04.
[3] هلال عمار، المرجع نفسه، ص 26.
[4] المرجع نفسه، ص ص 28-29.
* يذكر هلال عمار أن عدد الطلبة الجزائريين في الجامعات والمعاهد العربية مجهول في فترة ما بين (1953-1956).
[5] غربي الغالي، المرجع نفسه، ص 06.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن "عمار هلال" أورد في كتابه "نشاط الطلبة الجزائريين" أن عبد الكريم الخطابي كان قد تولى تدريب الطلبة عسكريا ابتداء من 1949، حيث اتصل به عدد من الطلبة الجزائريين بمصر قبل التحاقهم بالثورة. وذكر "عمار هلال" أن شاهد عيان أكد له هذه المعلومة وذكر له بعض أسماء الطلبة ومنهم الطالب "قاضي"، الذي كان متخصصا في المتفجرات و"عرعار" إلى جانب قاسم زيدون (زدور إبراهيم القاسم المهاجي) وغيرهم[1]. هذا علما أن إدريس الرشيد صاحب كتاب "ذكريات عن مكتب المغرب العربي" ذكر هو الآخر في جريدة "الزهرة" بتاريخ 11/ ماي 1948 بتونس أن "المغرب سيشارك في الجهاد بفلسطين فقد تألفت كتيبة مغربية من متطوعي تونس والجزائر ومراكش وهي في طريقها إلى مراكزها". ويواصل قائلا: "ويتصف هؤلاء المتطوعون بشدة الإيمان والحماس المتقد، وقد نشرت الصحف هنا في القاهرة خبر تأليف الكتيبة الذي تم في صمت وفي ظروف صعبة جدا أثناء الشهور الماضية. كما نشرت أن سمو الأمير محمد الخطابي شقيق الأمين عبد الكريم سيقودها بنفسه"[2]. ومن جهة أخرى فقد ذكر "العمامرة سعد بن البشير" في كتابه "هواري بومدين" أن هذا الأخير (هواري بومدين) وبعد التحاقه بالقاهرة، ابتداء من 1951[3]، قد تهيكل في مكتب المغرب العربي، وسكن بغرفة صغيرة لمكتب تحرير المغرب العربي الذي كان يشرف عليه "عبد الكريم الخطابي" عندما كان "محمد خيضر" و"آيت أحمد" و"أحمد بن بلة" يمثلون حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالخارج[4]. وواصل قائلا أنه في هذه الأثناء قام "أحمد بن بلة" باختيار عشرين طالبا جزائريا من الدارسين بالقاهرة ومن المتطوعين للانضمام للكفاح الوطني من أجل تحرير الجزائر. وهكذا تم تجميعهم بمعسكر الحرس الوطني بكوبري القبة ليتم تدريبهم في دورة خاصة على حرب العصابات، واستمرت الدورة ثلاثة أشهر. وكان من ضمنهم "هواري بومدين" الذي أعطاه محمد نجيب زعيم الثورة المصرية أول وسام باعتباره من الأوائل في التدريب[5]. كما ذكر

[1] هلال عمار، المرجع نفسه، ص 90.
[2] إدريس الرشيد، ذكريات عن م.م.ع، ...، ص ص 149-150.
[3] Stora Benjamin, opcit, p 146.
[4] العمامرة سعد بن البشير، هواري بومدين، ...، ص ص 18-20.
[5] المرجع نفسه، ص 22.

"بنجامين سطورا" أن هواري بومدين كان ضمن مجموعة الخمسة عشر طالبا جزائرية الذين تابعوا حصص التدريب بالمدرسة الحربية بالإسكندرية[1].

نستنتج من كل هذا أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان قد تلقى تدريبات عسكرية سنة 1949 في إطار الإعداد للثورة خاصة وأنه كانت تربطه علاقات وطيدة بالجنرال نجيب.

وهكذا فقد تنوع نشاط زدور إبراهيم القاسم المهاجي بالقاهرة بين المجال الثقافي والسياسي وحتى العسكري، ومثل شخصية المناضل الواثق من نفسه، والمراسل ذا المستوى العالي. هذا ونتيجة لإمكانياته العلمية كما ذكرنا، عرض عليه بعض الأساتذة بكلية دار العلوم التجنس بالجنسية المصرية لكي يتسنى له التدريس بالقطر المصري، لكنه رفض في أي حال من الأحوال التخلي عن جنسيته الجزائرية[2]. وفعلا فبعد نهاية دراسته، وبعد المهمات الكبرى التي أوكلت له في إطار مكتب المغرب العربي، عاد زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى الجزائر سنة 1954 بشهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها وبنشاط سياسي وبمهمات عظمى. كانت السلطات الفرنسية تراقبه عن كثب، وقد عاد بالطريق البري رفقة أحد الأمريكيين بسيارته الخاصة، وأخذت لهما صورة أثناء الرحلة، وكان يحمل معه مجموعة من الوثائق الهامة[3].

[1] Stora Benjamin, opcit, p 146.

[2] المهاجي الطيب، المصدرنفسه، ص 105.

[3] لقاء مع زدور محمد بمنزله، بتاريخ 2001/05/10.

الفصل الرابع

عودة زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى الوطن ودراسة آثاره الفكرية والأدبية

المبحث 1 : **إلقاء القبض على زدور إبراهيم القاسم بعد العودة**

المبحث 2 : **نشاط زدور إبراهيم القاسم الفكري والأدبي**

المبحث 1 : **عودة زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى الجزائر وإلقاء القبض عليه.**

1/ المقتل الوحشي لزدور إبراهيم القاسم :

بنهاية دراسته وحصوله على شهادة الليسانس بجامعة القاهرة، ولمواصلة نشاطاته السياسية السرية، كان على زدور إبراهيم القاسم العودة إلى الجزائر. وفي هذا الصدد نذكر ما كتبه الطيب المهاجي حول عودة ابنه البار إلى وطنه "...ثم عرض عليه التدريس بالكويت فوقف ذلك على استشارتي فأبيت وحتمت عليه العودة إلى الوطن الذي هو في الوقت الحاضر أحوج ما يكون لأمثاله، فامتثل وعاد من فوره يحمل علما نافعا ومعارف واسعة جالبا معه كمية كبيرة من الكتب في علوم مختلفة جلها في علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم الطبيعية بالعربية والإنجليزية والفرنسية. وبقيت تلك الكتب في زوايا الإهمال، قد عشت عليها العنكبوت وأكلت أكثرها الأرضة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..."[1].

ورغم أن نشاطه وتحركاته كانا في سرية تامة، إلا أنه كان محط أنظار ومراقبة السلطات الاستعمارية الفرنسية وقد يكون ذلك لعدة أسباب منها أنه كان أحد المعتقلين في أحداث ماي 1945، ومنها أنه كان سياسيا معروفا في الأوساط المصرية وذا نشاط مكثف من خلال تحركاته عبر الجزائر ومصر وفرنسا، وعبر مصر والجزائر العاصمة ووهران. هذا إلى جانب أفكاره ومواقفه الوطنية المناهضة للاستعمار والتي كانت ترد في مختلف مقالاته.

علما أن زدور إبراهيم القاسم وعند نهاية دراسته كان قد أحضر معه إلى جانب كتبه جهاز راديو بسيط يحمل مجموعة رسائل كان عليه إيصالها إلى أصحابها في شرق ووسط وغرب البلاد[2]. كما كان زود مكتبه بمنزله بأدوات كتابة وآلة طباعة[3]. وفي هذا الصدد يقول الشيخ الطيب حول تنظيم المكتب الخاص بابنه إذ قال: "...ثم جهز هذا المكتب بأدوات الكتابة وآلة الطباعة واعتكف فيه على المطالعة والكتابة، بحيث لا يخرج إلا في أوقات قليلة مناسبة..."[4].

[1] المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ...، ص 105.
[2] شهادة زدور محمد، بمنزله بتاريخ 2001/05/12
[3] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 106.
[4] المصدر نفسه، ص 106.

عاد زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى الجزائر في ربيع سنة 1954 رفقة رجل أمريكاني كان قد جاء بسيارته الخاصة، وهو ما تظهره الصورة التي حصلت عليها من عائلته أثناء الرحلة وعند توقفهما بليبيا للاستراحة[1]. وقد كانت الجزائر في هذه السنة تشهد تطورات سياسية كبيرة، فعلى إثر مشاركة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في انتخابات أبريل 1947، ظهر انشقاق داخل الحزب بسبب رفض العناصر الشابة داخله المشاركة فيها باعتبارها تفتيتا للجهود وتراجعا. غير أن مصالي الحاج قد تمكن من تدارك الوضع بالدعوة لعقد مؤتمر وطني للحزب سنة 1947، وقد ظهر خلال هذا المؤتمر ثلاث تيارات :

1- تيار حزب الشعب : وكان يرى ضرورة الإبقاء على سرية نشاط حزب الشعب الجزائري للمحافظة على شعبيته.
2- تيار الشرعية : ويرى أهمية إشراك الحزب في الانتخابات.
3- تيار العمل الثوري : وكان مع فكرة تأسيس المنظمة السرية العسكرية، وكان يتكون من العناصر الشابة التي تشبعت بفكرة رفع السلاح لتحقيق الاستقلال[2].

وقد تمكن مصالي الحاج من التوفيق بين التيارات الثلاثة حيث أبقى حزب الشعب ليواصل مهمته السياسية بشكل سري بينما واصلت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (ح.ا.ح.د) نشاطها الشرعي. وفي نفس الوقت وافق على إنشاء المنظمة الخاصة التي كانت النواة الأولى لميلاد جبهة التحرير الوطني[3].

غير أن اكتشافها سنة 1950 أدى إلى إلقاء القبض على البعض من مناضليها وهرب البعض الآخر، لتفكك بذلك هذه المنظمة ويتم إبعاد إطاراتها عن المناطق الحساسة[4]. وعلى إثر عودة مصالي الحاج من رحلته إلى المشرق يوم 16 يناير 1952 حاول الاتصال بالجماهير في محاولة منه للقضاء على العزلة التي أصبحت تعاني منها قيادة الحزب وعلى تذمر الثوريين الذين يطالبون بالعمل العسكري، لذلك قام بجولة في شرق الجزائر ليتم إلقاء القبض عليه بعدها ونفيه إلى فرنسا، ليجد خصومه المجال فسيحا للانفراد بالقيادة[5].

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/13.
[2] أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1962/1956)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 45.
[3] أزغيدي محمد لحسن، المرجع نفسه، ص 46.
[4] الزبيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 81.
[5] بوقريوة لمياء، المرجع نفسه، ص 30.

وهكذا فقد ظهرت أزمة حادة في قيادة حزب الشعب و ح.ا.ح.د، مما زاد في شدة الأزمة دخول تونس والمغرب الأقصى ضد الاستعمار الفرنسي حيث كان من المفروض أن تبدأ المعركة في الدول الثلاث[1].

وفي هذه الأثناء عقد المؤتمر الثاني لـ ح.ا.ح.د بالجزائر فيما بين 06/04 أبريل 1953[2]، لكن هذا المؤتمر لم يحقق ما كان يهدف إليه، فقد تعمدت القيادة إقصاء إطارات المنظمة الخاصة، بسبب تمسكهم بفكرة الثورة. إلى جانب بعض الشخصيات البارزة في حزب الشعب الجزائري نتيجة لمناهضتهم لعبادة الشخصية[3]، واعتراضهم على منح مصالي الحاج صلاحيات خاصة. واشتد هذا الخلاف سنة 1953، حيث قام مصالي الحاج بحل اللجنة المركزية لكن أعضاءها لم يذعنوا لهذا القرار لينشق الحزب إلى:

- مصالي الحاج وأنصاره.
- اللجنة المركزية وأنصارها.

وعقد كلا الطرفين مؤتمره، الأول عقد بدعوة من مصالي الحاج بـ"أورني" ببلجيكا فيما بين 15/13 جويلية 1954. بينما اجتمع المركزيون بمدينة الجزائر فيما بين 16/13 أوت 1954[4].

وتجلت مساعي الطرفين في السيطرة على الحزب مع اتفاقهما على عدم أوان العمل المسلح[5]. وفي ظل استمرار النزاع داخل الحزب، عقد قادة المنظمة الخاصة اجتماعا لهم بفرنسا وسويسرا حضره كل من "محمد بوضياف"، "مصطفى بن بو العيد"، "ديدوش مراد"، "أحمد محساس"، "العربي بن مهيدي"، "أحمد بن بلة"، واتفقوا على مبدأ الثورة، وتم الاتفاق على تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل في محاولة منهم لحل الخلاف وتوحيد الصفوف، والإعداد لتفجير الثورة[6]، إلى جانب حجب الثقة عن زعيم الحزب وكل أعضاء اللجنة المركزية، وإعادة بناء "ح.ا.ح.د"[7]، وكان ذلك يوم 23 مارس 1954.

---

[1] الزبيري محمد العربي، المرجع نفسه، ص 81.
[2] بوقريوة لمياء، المرجع نفسه، ص 28/27.
[3] المرجع السابق، ص 81.
[4] أزغيدي محمد لحسن، المرجع نفسه، ص 50.
[5] المرجع السابق، ص 50.
[6] بوقريوة لمياء، المرجع نفسه، ص 31.
[7] أزغيدي محمد لحسن، المرجع نفسه، ص 53.

وسرعان ما بدأت هذه اللجنة في الإعداد للثورة والتخطيط لها. وفي 20 جويلية 1954 تم حل هذه اللجنة، لينبثق عنها ما يسمى باجتماع الاثنين والعشرين (22) الذي ضم أعضاء من المنظمة الخاصة الذين قرروا الانتقال إلى العمل المسلح، وتم الاتفاق في النهاية على حل حزب "ح.ا.ح.د"، وإنقاذ الحركة الثورية من السقوط. كما تم الاتفاق على الثورة المسلحة لتحرير الشعب الجزائري. وفي هذا الاجتماع تم تحديد مهام قادة المنظمة في الداخل والخارج، وقسموا الوطن إلى خمس مناطق عسكرية. وسرعان ما التحق الزعماء بالمناطق التي يرأسونها لتنطلق منها العمليات العسكرية التي حدد لها يوم 01 نوفمبر 1954 التاريخي[1]. وفيما يخص التمثيل الخارجي، فقد قام أعضاء اللجنة بالاتصال بكل من "محمد خيضر"، "آيت أحمد"، "أحمد بن بلة" الذين كانوا ينشطون في القاهرة، وتم الاتفاق فيما بينهم حول جميع المواضيع الخاصة بالثورة[2]. وفي يوم 23 أكتوبر 1954، تم اجتماع "لجنة الستة" الذي قدم فيه "ديدوش مراد" و"محمد بوضياف" نص "نداء جبهة التحرير الوطني" الذي كان سينقل إلى الخارج[3]. وتم الاتفاق على الإعلان عن قائمة الأهداف المعينة للهجوم عليها يوم 1 1 نوفمبر، في الخارج مع توزيع البيان، وأوكلت المهمة لـ"محمد بوضياف" إلى جانب كل من "آيت أحمد"، "أحمد بن بلة" و"محمد خيضر"[4].

هذا وقد حاول قادة الثورة في الخارج مع "أحمد بن بلة" و"حسين آيت أحمد" حل الأزمة وإقناع المصاليين والمركزيين بقبول وحدة العمل المسلح في إطار جبهة التحرير الوطني. لكن هؤلاء رفضوا، بل حاولوا إقناع قادة الثورة بالقاهرة بتأجيل العمل المسلح، وهذا ما يفسر وجود كل من "محمد يزيد" و"حسين لحول" من المركزيين، و"فيلالي مبارك" و"أحمد مزغنة" من المصاليين بالقاهرة في الأيام الأولى من نوفمبر 1954[5].

وقد يكون هذا الخلاف هو ما يفسر التنقلات التي كان "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" قد قام بها في نهاية السنة الدراسية 1951-1952 فيما بين القاهرة و"نيور" والجزائر، ولقاؤه بكل من "مصالي الحاج"، و"حسين لحول"، "أحمد بودة" و"أحمد مزغنة"[6].

[1] بوقريوة لمياء، المرجع نفسه، ص 34.
[2] المرجع السابق، ص 60.
[3] المرجع نفسه، ص 62.
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] المرجع نفسه، ص 35.
[6] Echo (L') d'Alger, 19/01/1955.

وقد أكد لي "زدور محمد" أن عودة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" سنة 1954 كانت في إطار مهمة أوكلت له من طرف القيادة بالقاهرة والتي كان يمثلها كل من "حسين آيت أحمد"، "أحمد بن بلة" و"محمد خيضر"[1]. ومن هذا نستنتج أن عودة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" إلى الجزائر كانت في ظل جو سياسي متأزم غامض، ومليء بالأحداث التي ستتوج باندلاع الثورة المسلحة والتي سيكون "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" من أوائل شهدائها. وهنا لابد من الإشارة إلى ما ذكره المهاجي الطيب عن زدور إبراهيم القاسم المهاجي حول تنظيمه مكتبه الخاص بمنزله، وإحضاره لآلة الطباعة وأدوات الكتابة معه[2]، وقد تكون هذه الأخيرة إحدى أدوات نشاطه السياسي بحكم مستواه الثقافي وتمكنه في مجال السياسة.

وبمجرد عودته إلى الجزائر حوالي شهر جويلية[3]، وفي إطار الإعداد لثورة أول نوفمبر 1954، تكثفت مهامه وتنقلاته، وتكثفت معها مراقبة السلطات الفرنسية له، لذلك فقد تم استدعاؤه للاستجواب يوم 02 نوفمبر 1954 من طرف إدارة حماية الإقليم DST[*]، وتواصلت الاستجوابات مرتين أو ثلاث منذ ذلك التاريخ[4]. وعند استفسار شقيقه عن هذه الاستدعاءات قال زدور إبراهيم القاسم : "يريدون أن أعطيهم معلومات عن المسؤولين بالقاهرة"، وواصل قائلا: "لن أقول شيئا ولو كان ثمن ذلك حياتي"[5].

وبعدما تمكنت الشرطة الفرنسية من جمع المعلومات حول زدور إبراهيم القاسم ، أيقنت أنها أمام أحد أهم المناضلين السياسيين المكلفين بالاتصال. وباندلاع الثورة يوم 1 نوفمبر 1954، زاد ارتباك السلطات الفرنسية، وبدأت بحملة الاعتقالات اتجاه كل من نشك بأن تكون له أية صلة بالنشاط سياسيا كان أو عسكريا. وفي هذا الصدد ذكرت جريدة L'écho d'Alger بتاريخ 19 فبراير 1955 أي بعد حوالي أربعة أشهر على حادثة الاعتقال والاغتيال "...بعد الأعمال الإرهابية لـ 1 نوفمبر 1954 الماضي، بدأت التحقيقات التي مكنت أجهزة الشرطة بوهران من إلقاء القبض على الطالب زدور محمد إبراهيم يوم 6 نوفمبر 1954..."[6]. غير أن

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/13
[2] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 106.
[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/25.
[*] **DST** : Direction de la Surveillance du Téritoire، تأسست سنة 1944 على يد Roger Wybot الذي سيرها إلى غاية 1958. انتقل نشاطها إلى الجزائر يوم 11 أوت 1945، وفي الصحراء منذ اكتشاف البترول. انظر :
Eveno (Patrick), Planchais (Jean), La guerre d'Algérie, Ed Laphomic, Alger 1990.
[4] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/25.
[5] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/12.
[6] Echo (L') d'Alger, n° 15769, 19/01/1955.

أن هذا التاريخ لم يؤكد لنا حيث ذكر الشيخ الطيب المهاجي قائلا: "...ولم يمض على عودته من مصر سوى أربعة أشهر وفي يوم الثالث من قيام الثورة هجم عليه البوليس السري وساقه إلى السجن..."[1]. هذا وقد نشرت جريدة الطالب الجزائري L'étudiant Algérien لسان حال الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في عددها الثاني بتاريخ ديسمبر/يناير 1956 "...علينا نحن مسؤولي الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أن ننحني أمام اغتيال طالب مسلم في 31 سنة من عمره، زدور إبراهيم القاسم الذي تم إلقاء القبض عليه في 3 نوفمبر 1954 بوهران. كنا نعرفه وطنيا، ونعلم أنه قد عاد من القاهرة، وكانت سلطات الأمن تظن أنها قد ألقت القبض على عامل مهم مكلف بالاتصال بالقاهرة..."[2].

وبالفعل فقد اقتحمت الشرطة الفرنسية منزل زدور إبراهيم القاسم بعدما انتظرت خروج الوالد الطيب المهاجي وزدور محمد، وكان ذلك على الساعة 9 صباحا. ولما أدرك زدور إبراهيم القاسم أن الأمر يتعلق باعتقاله بادر بإخفاء حقيبة كان قد أحضرها معه من القاهرة بها عدد من الوثائق (وثائق الدراسة، المقالات، الرسائل الخاصة...) فقد أدخل الحقيبة إلى غرفة والده وطلب من أخته يمينة إيجاد طريقة لإخفائها عن أيدي الشرطة الفرنسية. وبالفعل فقد وضعتها والدته التي تظاهرت بالمرض كوسادة تحت رأسها، فنجت بذلك الحقيبة التي كانت مصدر عدد من الوثائق التي اعتمدنا عليها في هذا العمل[3].

وهكذا وقع زدور إبراهيم القاسم في يد الشرطة السرية التي نقلته إلى مركزها بدار المالية بوهران سابقا، وحاولت الحصول منه على المعلومات حول نشاطه داخل الجزائر أو عن القيادة بمصر.

وبعد إلقاء القبض عليه، انتظرت العائلة الإفراج عنه. وعند عدم حصول ذلك، توجه الشيخ الطيب المهاجي رفقة ابنه زدور محمد بعد أربعة أيام من الاعتقال للاستفسار عنه، ذلك بعد نهاية العطلة الأسبوعية فأجابتهما الشرطة أنه تم نقله إلى الجزائر العاصمة[4]. وقد ذكرت جريدة "صدى الجزائر" أنه تم نقله إلى الجزائر العاصمة بعد حوالي ثمانية أيام[5]. توجه بعدها بعدها الشيخ الطيب المهاجي رفقة زدور محمد إلى الجزائر العاصمة وتقدما للسؤال عن

[1] المهاجي الطيب، المصدر أعلاه، ص 106.
[2] Kiouane Abderrahmane, Moments du mouvement national, Textes et positions, Ed Dahlab, 1999, p 148.
[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2206/06/11.
[4] نفسه.
[5] Echo (L') d'Alger, 19/01/1955.

زدور إبراهيم القاسم في مقر الأمن العام، لكن هؤلاء نفوا كلية وجود معلومات لديهم عن زدور إبراهيم القاسم ، ونصحوهما بالتوجه إلى مقر DST (إدارة حماية الإقليم) بـ Climat De France وهناك أخبرا أن زدور إبراهيم القاسم قد فر من السجن[1].

2/ استشهاد زدور إبراهيم القاسم وبداية التحقيقات:

ذكر الطيب المهاجي عن اعتقال ابنه "...ثم سلط عليه أعوانه القساة القلوب، الغلاظ الطبع، فعذبوه عذابا لا أظن أن أحدا عذب مثله، على أمل أن يبوح لهم بأسرار جبهة التحرير الوطني التي هو أحد رجالها، ومن كبار المسيرين، كان يتردد بين القاهرة وباريس لمأموريات تكلفه بها الجبهة، وكانت الحكومة على علم من ذلك كله بواسطة عيونها والمتزلفين لها. لهذا قبضت عليه بمجرد قيام الثورة ونكلت به تنكيلا على ما ذكرنا..."[2].

من خلال ما ذكر الشيخ الطيب المهاجي، وكما أكدته جريدة صدى الجزائر، فإن زدور إبراهيم القاسم كان قد تعرض للتعذيب على يد DST بوهران قبل أن ينقل إلى الجزائر العاصمة. وقد ذكرت جريدة الطالب الجزائري (L'étudiant Algérien) في عددها الثاني بتاريخ ديمسبر/يناير 1956 "نحن نطالب بالتحقيق، رغم إيقاننا ككل أن أساليب التعذيب التي مورست (طريقة الحمام*، خرطوم الماء** والكهرباء) لم تستعمل فقط بالنسبة لزدور إبراهيم القاسم ، بل هي أساليب الشرطة الجزائرية للاستنطاق فيما يسمونه بالاعترافات العفوية"[3].

وهنا لابد من الإشارة إلى الطرق المستعملة في هذا التعذيب. فالمتفق عليه أن يتم استجواب المتهم بمفرده أمام أقل عدد ممكن من الأشخاص، ويكفي ذلك حضور المستجوب والمترجم، على أن تكون القاعات المخصصة للتعذيب معزولة، تسمى أحيانا بـ"القفص" الذي يفضل أن يتمركز في مناطق بعيدة عن التجمعات[4]. وقد خضع زدور إبراهيم القاسم للتعذيب على يد DST التي تعتبر أهم مركز للتعذيب، كان ببوزريعة، أين أعدت مجموعة من البنايات الخاصة لهذه العملية[5]. أما عن التعذيب، فيبدأ كمقدمة بمجموعة من الضربات الموجعة التي

---

[1] Le Quotidien d'Oran, 02/11/2000.

[2] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 106.

* الحمام : La baignoire

** خرطوم الماء : Le Tuyau

[3] Kiouane Abderrahmane, opcit, p 149.

[4] Branche Raphaëlle, La torture et l'armée pendant la guerre d'Algérie, 1954-1962, Ed Gallimard, 2001, p 325.

[5] Nedjadi Boualem, Les tortionnaires de 1830 – 1962, Ed ANEP, 2001, p 125.

تهدف إلى إقناع المعتقل بأنه دون حماية وأن هذا خطوة أولى لما سيلحق به إن هو لم يقدم اعترافاته وتعاونه مع سجانيه[1].

وقد تبدأ عملية التعذيب بالضرب المبرح بواسطة اللكمات القوية التي توجه إلى وجه المعذب وإلى كامل أطراف جسمه، وخاصة المناطق الحساسة كالوجه والعينين والكبد والبطن والأعضاء التناسلية، بحيث يتداول عليه عدد من الجنود (من جنديين إلى أربعة جنود) إلى أن يفقد وعيه وهو يتخبط في الدم، لينقل بعدها ليسترجع أنفاسه ثم يعاد إلى التعذيب مرة أخرى باستخدام أدوات الضرب مثل السوط أو بالركل أو الرفس حتى يغمى عليه[2]. وبعد هذه المقدمة، تبدأ أساليب التعذيب الأخرى، والتي تتوقف طريقتها ومدتها على القائمين عليها. فالسجين لا يملك سلطة على نفسه، ولا يعلم المدة التي سيبقاها أو سيعذب خلالها. وقد يتم استجوابه مرة أو مرتين أو أربعة مرات في اليوم، وتدوم مدة التعذيب من نصف ساعة إلى ثلاث ساعات أحيانا[3]. وفي هذه المرحلة التحضيرية*، يتم تجريد السجين من ملابسه ليكون ذلك بداية الإهانة المعنوية قبل الجسدية[4].

وقد مورست طريقة التعذيب بالحمام تجاه زدور إبراهيم القاسم ، كما ذكر في لسان حال الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. وتقوم هذه الطريقة بعدة أساليب، فإما أن يوضع المعتقل في البرد القارص في حمام من الماء البارد ليلا ويبقى كذلك حتى يغشى عليه، أو يوضع هذا الأخير في كيس يتم إدخاله في حمام الماء، وقد استخدم هذا الأسلوب للفتيات بشكل خاص[5]. هذا إلى جانب طريقة أخرى باستخدام الماء، يتم فيها وضع خرطوم ماء موصول بحنفية مياه، يدخل في فم المعتقل، ليمتلئ بطنه بالماء. وإذا ما امتنع عن فتح فمه، يغلق أنفه، أو يتم وضع قطعة خشب تمنعه من إغلاق فمه، عندها يبدأ بطنه بالامتلاء بالماء وهو مقيد، وتفوق كمية الماء العشر لترات[6]. وعندما يظهر انتفاخ البطن بالماء، يقوم أحد الحضور في عملية التعذيب بالوقوف فوق بطن الضحية ليبدأ الماء بالخروج بشكل لا إرادي

---

[1] Branche Raphaëlle, opcit, p 327.

[2] عزوي محمد الطاهر، ذكريات المعتقلين، تطور الوحشية الفرنسية والحقد الصليبي في المعتقلات الجزائرية خلال الثورة التحريرية من 1954 إلى 1962، وحدة الطباعة الروبية (الجزائر)، 1996، ص 102.

[3] Nedjadi Boualem, opcit, p 125.

* تسمى عند المختصين بـ "Passage à Tabac".

[4] Branche Raphaëlle, opcit, p 332.

[5] Nedjadi Boualem, opcit, p 112.

[6] Branche Raphaëlle, opcit, p 329.

من مخارج المعتقل[1]. كما استخدمت أيضا طريقة التعذيب "الحمام" مياه تحتوي على مساحيق الغسيل لتزيد في إحساس الضحية بالحروق والألم خاصة إذا تم غمر رأس هذا الأخير في الماء[2].

وغالبا ما ترفق طريقة "الحمام" في التعذيب باستخدام "الكهرباء" وهي معروفة بطريقة "الهاتف"**. وكانت الكهرباء طريقة مستخدمة في كل التراب الوطني لتعذيب المعتقلين واستنطاقهم، فقد كان المعتقل يوضع في حمام الماء الذي توصل به أسلاك الكهرباء التي تصل شدتها من 110 إلى 220 فولط. ويكون الشخص القائم على عملية التعذيب مرتديا قفازات من المطاط، وحذاء خشبي ليحمي نفسه من التيار الكهربائي، علما أن هذه العملية تترك آثارها على الضحية أحيانا لمدة عشرين (20) يوما. كما كان الجلادون يغمرون في بعض الأحيان كل الجسم في الحمام المائي الكهربائي وهي أصعب طريقة في التعذيب بالكهرباء.

وكانت الطريقة هذه المفضلة لدى المعذبين وذلك بسبب سهولة نقل الأدوات المستخدمة فيها وحتى إخفائها، ومفعولها سريع خاصة بوجود إمكانية التحكم في شدة الكهرباء، وتغيير مواقعها على جسد الضحية. وكان يتم التركيز على المناطق الحساسة مثل الشفاه، الأذنين، في الجروح العميقة والجديدة، في الجهاز التناسلي[3]،...

وبعد تعرضنا لأساليب التعذيب هذه، يمكن أن نتصور الحالة التي أصبح عليها زدور إبراهيم القاسم بعد عدة أيام من اعتقاله. وقد أكد المفتش لوفريدو Loffredo في فبراير 1956 أنه مات على إثر التعذيب الذي تعرض له، وذلك بعد التشهير به هو ورجاله حول القضية[4]، خاصة بعد صدور مقال L'EXPRESS بتاريخ 10 نوفمبر 1955 وكان بعنوان "وفاة الطالب" وذلك سنة كاملة بعد حادثة الاغتيال.

هكذا وبوصول زدور إبراهيم القاسم إلى العاصمة، أيقن أحد رجال الشرطة المكلفين باستجوابه بأن التعذيب الذي تعرض له جعله في حالة ضعف كبير بحيث أصبح لا يقوى

---

[1] Nedjadi Boualem, opcit, p 113.

[2] Branche Raphaëlle, opcit, p 328.

** تعرف بطريقة الهاتف Le Téléphone أو التلفزة La Télévision.

[3] Branche Raphaëlle, opcit, p 330.

[4] Kessel Patrick, Pirelli Giovanni, Le peuple Algérien et la guerre, 1954-1962, Lettres et Témoignages, François Maspero, 1962, p 62.

حتى على الكلام[1]، ونصحهم بتركه يستريح، لكن محافظ شرطة DST واسمه Longchamp بدأ باستجوابه ثانية إلى أن مات بين يديه[2]. وقد ذكر لنا شقيق زدور إبراهيم القاسم ، زدور محمد، أنه قد وصلته بعض التفاصيل عن وفاة أخيه، مفادها أنه عندما ساءت حالته، وفضل بعض رجال الشرطة تركه يستريح قال لهم لونشان "Longchamp" : "تتركونني وحدي، أنتم جبناء". وعندما قتل زدور إبراهيم القاسم ، قال أحد رجال شرطة DST أن "لونشان "قام بتصرف أحمق"[3]. وهذا حسبما ذكر لمحمد زدور شقيق زدور إبراهيم القاسم .

هكذا استشهد زدور إبراهيم القاسم بعد معاناة طويلة من شتى أنواع العذاب، وفي هذا الصدد نذكر ما كتبه الشيخ الطيب المهاجي حول نقل ابنه إلى العاصمة إذ يقول: "...ولما أعياها أمره بعد تهديده بالقتل وبعد تصميمه على التضحية بنفسه العزيزة نقلته إلى الجزائر العاصمة ليجدد له البحث هناك..."، وعن استشهاده يواصل قائلا: "...ولكنه نقل ميئوسا من حياته، إذ لم يلبث في إدارة البوليس السري بالعاصمة إلا عشية أو ضحاها حتى زهقت روحه الغالية، وذهبت نفسه الزكية من شدة آلام المعاملة القاسية التي كان يعامل بها في سجن إدارة البوليس بوهران. ولقد عصمه الله تعالى من أن يعامل بمثلها في العاصمة فنقله إلى جواره بعدما أكرمه بالشهادة..."[4].

بعد استشهاده، كان على "DST" تغطية القضية والتعتيم عليها، والخطوة الأولى كانت إخفاء الجثة والتخلص منها، لذلك وضعت في كيس محكم الإقفال، ربط بشكل جيد، ونقلت في قارب، رمي بها في البحر على بعد 40 كلم من ساحل الجزائر العاصمة. ولضمان بقاء الجثة في قاع البحر، وعدم طفوها فوق الماء، ربط بها ما وزنه 70 كيلوغراما من الرصاص[5]. وفي الوقت نفسه وضع تقرير من طرف أحد مفتشي الشرطة مفاده أن زدور إبراهيم القاسم قد فرّ[*] من السجن يوم 13 نوفمبر 1954 من خلال نافذة بدورة المياه، بينما كان مفتش الشرطة يراقب الباب، وبأنه رغم محاولات البحث عنه، لم يتم العثور عليه[6]. وبموجب ذلك تمت محاكمته غيابيا، وأصدر الحكم ضده بالسجن لمدة خمس سنوات، والنفي لمدة خمس

---

[1] EXPRESS (L'), 10/11/1955.
[2] Mâachou Abdelkader Abdeljelil, …, In Le Quotidien d'Oran, 02/11/2000.

[3] شهادة زدور محمد بتاريخ 2006/06/11.
[4] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 106.

[5] EXPRESS (L'), 10/11/1955

[*] انظر الملحق رقم 38 ص

[6] Echo (L') d'Alger, 19/02/1955.

سنوات أيضا، وبغرامة مالية قدرها مائة ألف فرنك[1] وحرمانه من حقوقه المدنية[2]، وأرسل الاستدعاء إلى منزله[3].

غير أنه ولسوء حظ رجال شرطة "DST"، فقد اكتشفت الجثة بعد حوالي ثلاثة أسابيع فقط من الحادثة عند مصب واد "الحميز"، وبالضبط بعد أربعة وعشرون يوما من إلقاء القبض عليه[4]، أي في 30 نوفمبر 1954. نشرت جريدة "Le Journal d'Alger" حادثة اكتشاف الجثة، وكان المقال بعنوان: "العثور على جثة عارية موضوعة بكيس مغلق قرب مصب واد الحميز"، وقد ذكر في المقال أنه تم العثور على جثة مكبلة بين برج الكيفان وشاطئ الجزائر العاصمة على بعد 50 كلم من واد الحميز، الجثة لرجل طوله حوالي 1.65 متر، بشعر أسود، وصدر مشعر، وراحة يد عريضة لا تبين أصابعها أن صاحبها يمارس نشاطا يدويا. ويواصل صاحب المقال قائلا أن الأمر يتعلق بأوروبي رياضي، وهو ما تظهره عضلات صاحب الجثة. كما ذكر أن أحد رجلي صاحب الجثة قد تآكلت كلها تقريبا[5]. وهو ما ذكره الشيخ الطيب المهاجي إذ كتب "...ولكن البحر أبى أن يشارك في هذه الجريمة الفظيعة، فلفظه الساحل حيث وجد جثمانه مهشما، وأوصاله متقطعة..."[6].

وقد أظهر مقال " Le journal d'Alger" أن رأس الجثة قد تعرضت هي الأخرى للتلف، بينما بقيت الأسنان بحالة جيدة بيضاء جدا وجميلة، وهو ما ينطبق على زدور إبراهيم القاسم من صفات القامة والشعر وغيرها. ووصف أيضا الطريقة التي حزمت بها الجثة، حيث ذكر أن الخيوط المستعملة جديدة. وتكفل بتشريح الجثة الدكتور "Godard" الذي ذكر أن الضحية ماتت نتيجة الغمر في الماء، وهو ما يتوافق مع طريقة "الحمام المائي" في التعذيب، إذ تعرضت إحدى الرئتين للاحتقان. وذكر أيضا أن الجثة بقيت حوالي شهر في الماء. وواصل Conesa في مقاله "...يبدو أن الجثة لم تأت من جهة الواد، لأنها لا تحمل أي نوع من الطين، وحتما أنها رميت من قارب أو باخرة، ولابد أنه قد ربط وزن معين بالجثة ليضمن بقاءها في

---

[1] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 107، انظر الملحق رقم 19، ص 165.
[2] Journal d'Alger, 19/02/1955
[3] شهادة زدور محمد، بمنزله بتاريخ 2001/05/12.
[4] Mâachou Abdelkader Abdeljelil, …, In Le Quotidien d'Oran, 02/11/2000.
[5] Konesa G., in le « Le journal d'Alger », 30/11/1954.
[6] المهاجي الطيب، المصدر أعلاه، ص 106.

قاع البحر ولكنه اختفى...". وذكر أيضا "...ولابد أن الضحية كان مخدرا عندما تم تقييده، كما أن العملية التي تتم بهذا الشكل تتطلب وقتا طويلا وتواطؤ عدد كبير من الأشخاص..."[1].

وعلى إثر اكتشاف الجثة، كلف محافظ الشرطة "Tomi" بالتحقيق في القضية لكنه لم يتم التوصل إلى شيء لأن الطبيب الذي كلف بفحص الجثة كان متواطئا في إطار التعتيم على القضية[2]. لذلك فقد ذكر أنه لا يظهر على الجثة أي نوع من الضربات أو الإصابات التي تدل على أن صاحبها مات ميتة وحشية[3]. كما ذكر أن الجثة لأوروبي وليست لمسلم لعدم وجود علامة الختان بها[4]. كما أن الحكم الغيابي، الذي أصدرته محكمة الجزائر بعد شهر وتسعة عشر يوما بعد مقتله (السجن لمدة خمس سنوات، والنفي لنفس المدة، ودفع الغرامة المالية)، لم يكن سوى إحدى خطوات المناورة التي اتبعتها إدارة DST لإبعاد الشبهة عنها. وقد نشرت تفاصيل هذا الحكم في جريدة L'Echo d'Alger بتاريخ 19 يناير 1955[5]. وهكذا تمكنت السلطات الفرنسية من التستر على الحادثة ولو لوقت قصير، ودفنت الجثة في مقبرة للأوروبيين ببرج الكيفان Fort De L'eau.

بعد هذه الحادثة (إلقاء القبض على زدور إبراهيم القاسم)، كان شقيقه زدور محمد يستدعى في كل مرة للاستجواب حول مكان وجود زدور إبراهيم القاسم [6]، غير أن عائلة الطيب المهاجي، كانت تجهل كل شيء عن مصير ابنها. وفي حوالي السادس (6) أو السابع (7) من نوفمبر 1955، أي تقريبا سنة كاملة بعد إلقاء القبض على زدور إبراهيم القاسم ، وبينما كان "الشيخ الطيب المهاجي" وابنه "محمد" على مائدة الغذاء، إذ بالباب يطرق، كان الطارق رجلا يسأل عن عائلة زدور، وقد جاء بسيارته التي أوقفها في الخلف بمكان غير بعيد عن المنزل الكائن بالمدينة الجديدة حاليا. وقد وصف محمد زدور الشخص أنه كان جزائريا بحكم لهجته، في الثلاثين من عمره[7]. قال له الرجل المجهول الهوية: "قيل لكم أن أخاك هرب من مقرات DST بالعاصمة، هذا غير صحيح، أخوك قتل ثم رمي في البحر،

[1] Konesa G., In le Journal d'Alger, 30/11/1954.

[2] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/12

[3] Konesa G., opcit

[4] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/12.

[5] Echo (L') d'Alger, 19/01/1955.

[6] MAACHOU AEK ABDELJELIL, In Le Quotidien, 02/11/2000.

[7] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/14.

اتصل بالمحامي "Popie" بالجزائر العاصمة، سينصحك بما تفعل، لن تكون وحيدا، توجد هناك مجموعة لتساعدك"[1].

وهكذا، وصلت الفاجعة إلى العائلة التي اهتزت لوصول هذا الخبر كالصاعقة، فقد كان زدور إبراهيم القاسم شمعة تنير المنزل بفكره وعلمه. وقد حزنت أمه على مقتله حزنا جعلها تزهد عن ملذات الحياة، وفقدت ابتسامتها حتى أنها امتنعت نهائيا عن الذهاب إلى "الحمام" واستعمال "الحناء" إلى أن توفيت. أما الشيخ الجليل الطيب المهاجي فقد عبر عن زفراته لوفاة ابنه البار في كتابه "أنفس الذخائر وأطيب المآثر فيما اتفق في الماضي والحاضر" حيث كتب في آخر صفحات كتابه "...وذهبت نفسه الزكية ضحية الغدر والمكر والفساد في الأرض، وهكذا، بعدما اجتمع شملي وقرت عيني ببلوغ أملي وتمت علي نعمة ربي بولد كنت أرجو أن لا ينقطع عملي بواسطة دعائه لي بعد مماتي، وقد ورد إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إحداها ولد صالح يدعو له..."[2]، وقال أيضا "...وباستشهاده نالني من الكوارث التي حلت بالجزائر الحظ الأوفر، والنصيب الأكثر إن لم نقل أصبت بما لم يصب به غيري..."[3].

بعد هذا أصبح أمل العائلة الوحيد هو الوصول إلى الحقيقة، وكشف المتسببين في ارتكاب هذه الجريمة البشعة تجاه زدور إبراهيم القاسم الذي كان في الواحدة والثلاثين من عمره (31 سنة). بعدها بدأ زدور محمد شقيق زدور إبراهيم القاسم الأكبر بالاتصال بالشخص المجهول الذي كان قد أعلمهم بحقيقة مصير ابنهم، حيث اتفقا على موعد للقاء في اليوم التالي. وفعلا تم اللقاء في الساعة العاشرة صباحا، وتوجها إلى المحامي "THIERS"، وطلب زدور محمد من الشخص الذي بقي يجهل هويته، أن يعيد أمام المحامي ما أخبره به يوم أمس، وفعلا تم ذلك. بعدها قام هذا المحامي بالاتصال بزميله في العاصمة المحامي "PIERRE POPIE" وتم تحديد موعد للقاء به بالعاصمة.

وفعلا، فقد توجه الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله رفقة ابنه زدور محمد إلى الجزائر العاصمة، وهناك تقدم الشيخ بشكوى إلى نيابة الجزائر حول اعتقال ثم اختفاء ابنه في ظروف

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/14.
[2] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 106.
[3] المصدر نفسه، ص 105.

مجهولة[1]. ولحسن الحظ، أنه بعد رفع الشكوى بأيام وبتاريخ 10 نوفمبر 1955 (سنة بعد مقتل زدور إبراهيم القاسم)، نشرت جريدة "l'EXPRESS" مقالا بعنوان وفاة طالب*، حيث أكد المقال الدعوى التي تقدمت بها عائلة زدور إبراهيم القاسم ، وذكر أن العائلة قد تعرفت من الصور التي أخذت للجثة أن الأمر يتعلق بابنها. كما أكدت الجريدة أن زدور إبراهيم القاسم كان قد تعرض لأساليب التعذيب التي تطرقنا إليها (الحمام المائي، الخرطوم المائي، الكهرباء)[2].

بدأ بعد ذلك البحث في القضية، والاتصال بالأشخاص الذين نشروا معلومات حولها. وقد أشار المحامي POPIE على العائلة إثارة القضية إلى الرأي العام الدولي للتشهير بالأساليب القمعية الفرنسية وإجبار السلطات الاستعمارية على البحث في القضية. وبالفعل فقد كتب زدور محمد شقيق زدور إبراهيم القاسم مائة وثلاثة عشر رسالة (113) إلى النواب، الجمعيات، رئيس الدولة، وزير الداخلية، وزير العدل... لكن الردود لم تكن ذات فائدة. كما حاول زدور محمد التشهير بالأعمال القمعية وأساليب التعذيب التي تمارسها الشرطة، فتعرض للسجن من قبل المحافظ "TOMI" الذي كان قد كلف بالبحث في ملف الغريق الذي اكتشف بواد الحميز. وأمضى زدور محمد ليلة كاملة في الزنزانة[3].

ورغم هذا فقد كان للحملة التي قادها زدور محمد أثرا، حيث اضطرت الحكومة الفرنسية إلى فتح التحقيق في القضية، وتم تعيين مفتش إداري جاء من فرنسا إلى الجزائر العاصمة ثم انتقل إلى وهران. حاول البحث في السجلات القديمة الخاصة بإلقاء القبض على زدور إبراهيم القاسم في أحداث ماي 1945[4]، وسجلت أوصافه ونقلت بصماته فبدأ بالبحث عنها لمقارنتها مع بصمات الجثة إلا أنه وجد أن الاسم على الوثيقة تم إتلافه، فسجل ذلك في تقرير البحث[5] لتتمكن بذلك السلطات الفرنسية من التعتيم على القضية وإبعاد الأدلة ، رغم أن الشيخ الطيب المهاجي كان قد تقدم بدعوتين قضائيتين :

- الأولى كان هدفها التعرف على الجثة التي رمى بها البحر في الجزائر العاصمة.

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.

* " La mort d'un étudiant "

[2] EXPRESS (L'), 10/11/1955.

[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.

[4] MAACHOU AEK ABDELJELIL, In Le Quotidien d'Oran, 02/11/2000.

[5] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.

- الثانية، دعوى ضد مجهول.

غير أن الدعوتين لم تلقيا متابعة، لتحفظ القضية وتقفل في نظر العدالة[1].

لكن السؤال الذي بدأ يطرح نفسه هو السبب الذي أدى إلى تفجير القضية بهذا الشكل، والتفسير هو أنه كان هناك نزاع بين إدارة حماية الإقليم "DST" التي كانت تابعة مباشرة لباريس، وبين سلطات الأمن العام التي كانت تابعة للحاكم بالجزائر العاصمة. وفي هذا الإطار، كان هناك نزاع بين السلطتين أخذ طابعا سياسيا، وأصبحت كل جهة تسعى للإطاحة بالأخرى، لذلك تم التشهير بهذه القضية. ورغم ذلك تواصلت محاولات طمس الحقيقة وتهدئة الوضع، لذلك تم احتجاز زودر محمد وعرض عليه بواسطة المحامي POPIE عرضا مغريا من السلطات الفرنسية حيث طلبوا منه التخلي عن المتابعة القضائية مقابل عشرة (10) ملايين فرنك فرنسي[2]. غير أنه رفض المساومة، وفضل مواصلة متابعة التحقيقات مما زاد في إرباك السلطات المتورطة في الجريمة. غير أن محاولاته باءت بالفشل ولم يسلم حتى من المتابعة، فاضطر إلى التوجه إلى المغرب للابتعاد عن الخطر المحدق به، ثم توجه بعدها إلى تونس التي حصل منها على الجنسية التونسية[3].

هكذا، فرغم محاولات غلق القضية وتجاهلها، إلا أنها أسالت الكثير من الحبر، فقد ذكرت حقيقة الجريمة رسميا في فبراير 1956 من طرف المفتش لوفريدو "Loffredo" وعدد من رجاله لعضو من مكتب وزير العدل، حيث ذكر أن زدور إبراهيم القاسم مات تحت التعذيب[4].

وقد نشرت الحادثة في الكثير من الصحف، إلى جانب التي ذكرناها، مثل جريدة "الطالب الجزائري" في عددها الثاني بتاريخ ديسمبر-يناير 1957 وكان المقال بعنوان "موت قاسم زدور"[5]، هذا إلى جانب ما ذكرته الشهيدة جميلة بوحيرد* عند الحكم عليها بالإعدام يوم 15 جويلية 1957 حيث قالت "الحقيقة أني أحب وطني وأني أريد رؤيته حرا، ولأجل هذا، أؤيد مقاومة جبهة التحرير الوطني، ولأجل هذا فقط ستحكمون علي بالإعدام بعد تعذيبي كما قتلتم

---

[1] MAACHOU AEK, opcit, 02/11/2000.
[2] MAACHOU AEK, opcit, 02/11/2000.
[3] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.
[4] Kessel Patrick, Pirelli Giovani, Le peuple Algérien et la guerre, opcit, p 62.
[5] Kiouane Abderrahmane, Moments du nationalisme Algérien, opcit, pp 147-149.
* **بوحيرد جميلة** : طالبة جزائرية كانت في 22 من عمرها عندما أصبحت عضو في الجبهة لربط الاتصال بياسف سعدي. حكم عليها بالإعدام (1957/07/15) ثم العفو عنها (1958/03/08) ونقلت إلى سجن بفرنسا.

إخوتي بن مهيدي، بومنجل وزدور. ولكن بقتلنا لا تنسوا أنكم تغتالون مبادئ حرية بلدكم وشرفه أيضا، وتضعون مستقبله في خطر، ولن تتمكنوا من منع الجزائر من أن تكون مستقلة إن شاء الله"[1].

أما عن جثة زدور إبراهيم القاسم فبعد العثور عليها قرب مصب واد الحميز، وتشريحها دفنت على أساس أنها لأوروبي في مقبرة للأوروبيين ببرج الكيفان، وذلك اعتمادا على التقرير الذي قدمه الطبيب الشرعي المكلف بفحص الجثة. وذكر لنا محمد زدور أنه سعى للإيجاد القبر، فبحث عن المقبرة، وبعد جهد كبير، وجد الشخص الذي كانت له مهمة الدفن في تلك الفترة. وبعد مراجعة سجلات الأموات المدفونين، أخذه للقبر الذي كان للرجل الغريق مجهول الهوية. غير أن هذا العامل أخبره أنه تم دفن جثة أخرى لأوروبي فوق جثة الرجل الغريق (زدور إبراهيم القاسم)، وهذا ما زاد من حزن عائلة المهاجي إذ تعذر عليهم نقل رفاته إلى مقبرة خاصة بالمسلمين[2].

نستنتج من هذا أنه رغم محاولات السلطات القمعية الاستعمارية لطمس ملامح القضية، ووضعها في طي النسيان، إلا أن التاريخ فرض نفسه من خلال إعادة الاعتبار لزدور إبراهيم القاسم وكشف ملابسات اغتياله والتخلص من جثته. وفي هذا الصدد ذكر المهاجي الطيب في كتابه "...وقد علقت الجرائد والمجلات العربية على اغتيال هذا الولد الزعيم وذكرت الحادث في وقته وضمنت تعاليقها تحليل هذه النفس العبقرية بما ركب فيها من الكمالات الإنسانية، وبما جبلت عليه من التوقان إلى معالي الأمور، والحرص على اكتساب المحامد. وأشادت تلك الجرائد والمجلات بما لصاحب هذه النفس الكبيرة من خدمات قدمها لأمته ولوطنه، ومن أعمال جليلة قام بها للنهوض ببلده. كما شهدت له بذلك لياليه وأيامه التي أفناها وراء السعي في جلب ما يعود من الخير والهناء على أبناء جنسه"[3].

---

[1] Kessel Patrick, Pirelli Giovani, opcit, p 141, 22 هامش رقم

[2] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.

[3] المهاجي الطيب، المصدر نفسه، ص 107.

المبحث 2 : **نشاط زدور إبراهيم القاسم الفكري والأدبي**

1/ تجربة زدور إبراهيم القاسم الصحفية ومحاولة دراسة مقالاته:

سأحاول هنا التعرض إلى آثار "زدور إبراهيم القاسم" من خلال دراسة مقالاته التي كانت تصدر بجريدة المنار، ثم القصيدة التي بعثها إلى أحد أبناء عمومته.

كانت الصحافة المكتوبة – وعلى وجه الخصوص الجرائد والمجلات – ومازالت تحتفظ بمكانتها المرموقة بين مختلف وسائل الإعلام، ولم تفقد أهميتها رغم التقدم العلمي الذي مس مختلف مجالات الحياة، بل بالعكس، فقد ساهمت التكنولوجيا في دفع وتيرة تقدم الصحافة بشكل عام. وبينما كانت الخطابة هي وسيلة التأثير المعتمدة على الرأي العام، أصبحت الصحيفة المطبوعة الأوسع نفوذا[1]. لذلك فقد ناضل الصحفيون لنيل حريتهم حتى تكون مهمتهم هادفة.

وكانت نهاية الحرب العالمية الثانية ونشأة هيئة الأمم المتحدة* فرصة لصعود قضية حرية الصحافة إلى مستوى عالمي. ونصت على ذلك "وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" سنة 1948[2].

هذا وقد لعبت الصحافة منذ ظهورها دورا كبيرا في يقظة الشعوب وحماية نهضتها. فالجرائد هي الصحف التي تنشر المبادئ والأفكار والآراء وتذيع العلوم بين طبقات البشر وتعينها على دفع المضار عنها وجلب المنافع لها[3].

فقد عملت الصحافة في الجزائر والدول المستعمرة بشكل عام على فضح الأعمال القمعية ورد المعتدين وقمع الظالمين. كما كانت دائما وسيلة للاتصال بالأمة وتوعيتها. وأول صحيفة عربية وطنية جزائرية هي جريدة "الحق الأسبوعية" التي صدرت سنة 1894 إلى جانب عدد معتبر من الجرائد التي واجهت البطش الاستعماري[4]. ومن الجرائد التي كانت تصدر في القاهرة وتصل إلى الجزائر، جريدة "الأسد الإسلامي" التي رغم محاولات الاستعمار

---

[1] محمد سيد محمد، الصحيفة والإعلام الدولي، مجلة الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير، العدد 29 / مارس 1982، ص 30.
* **هيئة الأمم المتحدة** : تنظيم عالمي، تأسست بعد الحرب العالمية الثانية، تضم كل دول العالم المستقلة.
[2] خليل فتحي، "حرية الصحافة والتنظيم النقابي للصحفيين"، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 29 / مارس 1982، ص 41.
[3] سيف الإسلام الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء 6، الصحافة العربية في الجزائر بين الحربين 1920-1940، مطبعة المنسرت بعابدين 1977، ص 220.
[4] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة، نفس المرجع، ص 07.

الفرنسي منعها إلا أنها كانت تصل وتعمل على بعث الأمل والحماس والانتعاش بين أوساط الجزائريين، إلى جانب عدد هائل من الجرائد التي تحمّل أصحابها كل أساليب التعسف في سبيل نشر أفكارهم وأهدافهم[1].

والصحافة تعتبر عاملا مهما في بناء الأفراد والمجتمعات، لما تقوم به من توجيه نحو هدف مرسوم. وقد قال أحد الصحفيين الفرنسيين: "دعهم يقولون ودعهم يذمون ولكن أنشر فكرك وليس هذا يحق لك بل هو واجب عليك، نعم إن كل من لديه رأي يعتبر مدينا للناس في إبدائه للصالح العام، فإن كان رأيك ناضجا استفادت منه الأمة وإن كان أفل أصلحتْه"[2]. بينما ذكر الطيب العقبي: "الصحافة لها منافع جمة وفوائد كبرى ولكن عند الأمم التي تحسن استعمالها وتعرف كيف تسير بها. رجال الصحافة في كل الأمم هم قادة الأفكار اليوم وهم في الحقيقة الذين بيدهم – بعد إرادة الله – حركات الشعوب وسكناتها...فلا تلبث الأمة أن تنقاد لها وتأخذ بأقوالهم وتستجيب لندائهم. فكم حرب أثاروا وكم نار حرب أطفأوا"[3].

وقد خص الطيب العقبي بمهنة الصحافة أناسا غير عاديين، إذ قال: "فقد خلق الله للصحافة وإدارتها رجالا هم وحدهم أهلها والقادرون عليها ومقامهم في الهيئة الاجتماعية معلوم"[4]. أما شروط الصحفي فقد ركز الطيب العقبي على أهمية اتساع علمه، وثقافته وذكائه، إذ يقول: "...إنه عالم سياسي، بصير بالأمور، له معرفة تامة ووقوف على ماضي التاريخ وحاضره، ذو نظر سديد وفكر ثاقب، يريه ذكاؤه وما اتصف به من الحذق وتوقد الفطنة، المستقبل فيبصره من وراء حجاب حتى لا تكاد تخطئ له فراسة إذا نظر، ولا يضيع له حدس وتخمين إذا تكهن أو كتب"[5].

ونجد من خلال دراسة مقالات زدور إبراهيم القاسم أنه تميز بعدد من هذه الصفات، فقد كان ملما بالتطورات والأحداث السياسية المحلية والدولية التي كانت سائدة، محيطا بالتحولات الطارئة، مدركا لأهداف الإجراءات السياسية المتخذة. ونلمس ذلك من خلال شمولية مقالاته.فمقال "محمدون ثلاثة"، الذي سترد دراسته، مثلا، كان يتضمن التعريف بثلاث

---

[1] المرجع نفسه، ص 08.
[2] سيف الإسلام الزبير، المرجع نفسه، ج 6، ص 221-222.
[3] عجالي كمال، مهنة الصحافة وشروط الصحفي في نظر الشيخ الطيب العقبي، مجلة الآداب، العدد 05، 2000، شركة دار الهدى، عين مليلية، الجزائر، ص 217.
[4] المرجع نفسه، ص ص 217-218.
[5] المرجع نفسه ، ص 223.

شخصيات سياسية عاصرها، كانت كل واحدة في بلد معين، فالجنرال "محمد مصدّق" كان بإيران، و"محمد علي جناح" بباكستان، و"محمد صلاح الدين" بمصر. وتعرض في مقاله هذا للدور السياسي الريادي الذي قامت به هذه الشخصيات، كل ببلده ومن خلال منصبه. كما أن مقالاته مست مواضيع متنوعة، تخص تونس، المغرب، مصر، وكل حسب ظروفه السياسية.

ونواصل تتبع ما ذكره الشيخ الطيب العقبي حول شروط الصحفي حيث ركز على أهمية المستوى الفكري والثقافي للصحفي، إلى جانب قدراته التحليلية. والأهم من كل هذا موضوعيته وحنكته إذ يقول: "والصحفي هو الذي يبني نتائجه على مقدمات العلم الصحيح ويخوض على فلك فكره المشحون عباب السياسة، فإذا كتب فعن رؤية وعلم، وإذا تكلم تكلم بحقيقة وفهم. يأخذ الحيطة لكل نازل ويعد العدة لكل طارئ ونازل..جرّب وجرِّب عرك الأمور...حنكته التجارب وثقفته العبر...ويصبح بهذا الاعتبار رجل صحافة ورجل عمل يمكنه أن ينفع نفسه وينفع أمته"[1]. وفي هذا الصدد ذكر لنا الدكتور يحي بوعزيز أن زدور إبراهيم القاسم كان جريئا في كتاباته الصحفية فيما يخص نقذ الاستعمار وأعوانه، وفي هذا العرض الصريح للمسائل الاجتماعية التي كان يتخبط فيها الشعب الجزائري يومئذ من جهل وفقر وإهانة[2]، وهو ما لمسناه في مشاركته في الاستفتاء العام الذي قامت به جريدة المنار بفضل مقاله الذي تعرض فيه لواقع الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي.

هذا ويمكن القول أن "زدور إبراهيم القاسم" كانت له بعض هذه الصفات والمزايا التي ذكرها الشيخ الطيب العقبي، فقد ساعدته دراسته بتونس، وتأثره بالوضع السائد بها، ثم التحاقه بالقاهرة ومعايشته لتطورات الأوضاع بمصر عامة، وخاصة فيما يتعلق بثورة 23 جويلية 1952، ثم تطور الحركات السياسية ونشاطها في دول المغرب العربي عامة، وتزايد نشاط جامعة الدول العربية، وانتشار فكرة الجامعة الإسلامية، ثم ظهور الحرب الباردة واشتداد الصراع بين المعسكرين الشرقي بزعامة الاتحاد السوفياتي سابقا، والغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ثم ظهور هذا الصراع على مسرح الأحداث في الوطن العربي خاصة العالم الإسلامي عامة، ومساعي الولايات المتحدة الأمريكية لفرض هيمنتها باتباع سياسة ملء الفراغ، وتركيز فرنسا على إبقاء سياستها على مستعمراتها وفي الوقت نفسه

---
[1] المرجع نفسه، ص 223.
[2] شهادة الدكتور بوعزيز يحي بمنزله بتاريخ 2001/08/25.

ظهور هيئة الأمم المتحدة بثقلها وآمال الشعوب المستعمرة فيها. كل هذه الأوضاع والأحداث أثرت فيه وجعلت تجاربه متعددة وخبرته في الشؤون السياسية واسعة، وهذا ما لمسناه في مقالاته من خلال ربطه بين مختلف الأحداث، وتعبيره في كل مناسبة عن آرائه، ونظرته للموضوع قيد الدراسة.

وهكذا فقد جاء اهتمام زدور إبراهيم القاسم بمجال الصحافة نظرا لأهميتها كونها وسيلة لمعرفة مجريات الأمور خارج الدولة – وداخلها – في حالات الحروب والنزاعات التي تقطع أثنائها العلاقات الدبلوماسية والتجارية والثقافية[1]. هذا إلى جانب وظيفة الصحافة بشكل عام والمتمثلة في البناء وتكوين شخصية الأمة بكل جوانبها المختلفة. وفي هذا الصدد يقول الشيخ "الطيب العقبي": "فإن الجرائد في الأعصر الأخيرة هي مبدأ نهضة الشعوب والعامل القوي في رقيها والحبل المتين في اتصال أفرادها والسبب الأول في تقدمها"، وواصل قائلا أن الصحافة "هي المدرس السيار والواعظ البليغ، وهي سلاح الضعيف ضد القوي ونصرة من لا ناصر له، وأنها المحامي القدير عن كل قضية حق وعدل"[2]. هذا وقد وصف الشاعر الفرنسي "ألفريد ديفيني" الجرائد بأنها "في هذا العصر أحسن صديق وأصدق مرب وأوفى خل يركن إليه"[3].

والجدير بالذكر أن مقالات زدور إبراهيم القاسم قد تنوعت في الصحف والمجلات، فمنها ما هو منشور بمجلة "كل شيء" والأهرام"، "مجلة الشورى"، و"مجلة كوكب الشرق" التي كان مراسلا لها من الجزائر وتونس وكان يعرف من خلالها بالشعب الجزائري[4]. هذا إلى جانب مقال له كتبه بمجلة "الدعوة الإسلامية" سنة 1953[5]، وهي مجلة أزهرية تصدرها جماعة تابعة للإخوان المسلمين بمصر، وكان بعنوان شعب الجزائري مسلم، ولكن تعذر علينا الحصول على هذا المقال. وقد ذكر لنا الدكتور يحي بوعزيز أن المقالات الصحفية التي كتبها زدور إبراهيم القاسم ونشرها هنا وهناك في العديد من الصحف والمجلات العربية

---

[1] مصالحة محمد، "الصحافة وصناعة القرار السياسي"، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 29، مارس 1982، ص 65.
[2] عجالي كمال، المرجع نفسه، ص 221.
[3] سيف الإسلام الزبير، المرجع أعلاه، ص 222.
[4] المهاجي قدور إبراهيم عمار، "صفحات ثقافية مشرقة للشهيد زدور إبراهيم القاسم "، الجمهورية 21 أكتوبر 2002.
[5] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.

كانت قائمة على الرصانة في الأداء، ومركزة على الدعوة إلى نشر الوعي الثقافي والسياسي والديني والاجتماعي والهادفة إلى الحرية والاستقلال وبعث أمجاد الأمة العربية وتراثها[1].

وما تجدر الإشارة إليه هو أن زدور إبراهيم القاسم كان يكتب مقالاته بأسماء مستعارة. ففي مجلة "الدعوة الإسلامية"، كان مقاله باسم "عبد الرزاق الجزائري"[2]، بينما كانت مقالاته بجريدة "المنار" تحمل اسما آخر وهو "قاسم الجزائري"، وأحيانا بالشكل المختصر "ق.ج". ونتيجة لتعدد مقالات زدور إبراهيم القاسم في هذه الأخيرة سنعطي لمحة عنها.

فالمنار جريدة جزائرية أسسها الأستاذ محمود بوزوزو[*] في 21 جمادى الثانية سنة 1370هـ/29 مارس 1951 بالجزائر العاصمة، وهي صحيفة سياسية ثقافية دينية حرة، تصدر مرة كل نصف شهر[3]. ومن مبادئ المنار نبذ التعصب، وتحاشي إثارة الخلافات بين أبناء الوطن، والسعي لجمع الكلمة في سبيل التحرر من الاستعمار والدعوة إلى الوحدة المغاربية، وهذه المواقف هي التي أدت إلى منع السلطات الفرنسية دخولها إلى المغرب ثم تونس[4].

هذا وقد تنوعت مواضيع المنار، إذ تجاوزت الوطنية المحلية إلى القومية العربية والأمة الإسلامية، فكانت تركز دائما على وحدة الأقطار المغاربية. ونورد هنا الجدول الإحصائي التالي الذي يبين المواضيع التاريخية التي نشرت في جريدة المنار والتي تتعلق بتاريخ الجزائر المعاصر[5].

المواضيع	ثقافة	سياسة	وحدة مغاربية إسلامية	نهضة	تطور الاحتلال	ثورة نوفمبر 1954	حركة وطنية	اقتصاد	المجموع

[1] شهادة الدكتور بوعزيز يحي بمنزله بتاريخ 2001/08/25.
[2] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.
[*] **محمود بوزوزو** من مواليد بجاية ومدير مدرستها، درس محليا، التحق بجامع الزيتونة، نشر عدة مقالات في جريدة المنار فيما بين 1951-1954. تميز بجمعه بين فكرتي الإصلاح والسياسة، وأبدى جهرا مواقفه من السياسة الاستعمارية الفرنسية. وعرض عليه ترك الجريدة وإنشاء جريدة أخرى بسبب مواقفه لكنه رفض، وكان مناضلا في حزب الشعب.
[3] هلال عمار، "صحيفة المنار الجزائرية"، الملتقى المغاربي الأول، المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر (1830-1962)، بتاريخ 28-29 ديسمبر 1992، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 181.
[4] بوزوزو محمود، المنار، جنيف يوم 1982/02/25، سلسلة التراث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 03.
[5] هلال عمار، "صحيفة المنار الجزائرية"، نفس المرجع، ص 182.

العدد	18	11	10	04	04	03	03	01	54
النسبة المئوية	33.33	20.37	18.50	07.40	07.40	05.55	05.55	01.85	% 100

ونلاحظ من الجدول:

1/ أولت جريدة المنار المواضيع الثقافية اهتماما خاصا حيث عملت على إحياء التراث العربي الإسلامي.

2/ تأتي السياسة في الدرجة الثالثة، وذلك بالنظر إلى الثقل السياسي لمراسليها وميول صاحبها الذي كان مناضلا في صفوف الكشافة الإسلامية وقائدا لها وكذلك نضاله في إطار حزب الشعب[1].

هذا وقد سعت المنار إلى توحيد الصفوف وهو ما ظهر جليا في عدد من المقالات، وخاصة ما يتعلق بالاستفتاء العام الذي دعا إليه صاحب الجريدة، والذي شاركت فيه عدة شخصيات جزائرية بمواقفها وآرائها، إلا أنه لم يكتب لهذا الاستفتاء أن تؤتي ثماره في الموعد المتوقع بسبب ظروف أوقفت الجريدة لفترة معينة[2].

كما لعبت جريدة المنار دورا هاما في تسليط الضوء على تطورات الأوضاع في الجزائر، تونس والمغرب بفضل تعدد وتنوع مقالات محرريها، رغم السياسة القمعية ومنع حرية التعبير الذي كرسته المادة 80 من قانون العقوبات الفرنسي الذي يطبق في الجزائر، والذي كان يهدف لخنق الأصوات وتكميم الأفواه، وحبس الأقلام عن الدعوة للحق والعدل. إلا أنها ركزت على ضرورة معرفة أصل الداء وهو طبيعة العلاقة بين أمتين مختلفتين، ثقافة أمة غربية لها قيم خاصة، وأمة شرقية ذات قيم يجمعها الإسلام، والتمازج بين الأمتين لا يمكن أن يتم لأن العلاقة بينهما قائمة على الظلم والطغيان[3].

أما فيما يخص مقالات زدور إبراهيم القاسم في جريدة المنار، فقد بلغ عددها ثمانية* وهي كالتالي :

1 المرجع نفسه، ص 181.
2 بوزوزو محمود، المنار، ...، ص 04.
3 بوزوزو محمود، "المنار تستمر في آداء رسالتها"، المنار، العدد 20، 27 مارس 1953.
* ذكر هلال عمار في تتبعه لأعداد المنار ومقالاتها – أثناء انعقاد الملتقى المغاربي الأول حول المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر- أن لزدور إبراهيم القاسم مقال بعنوان "إضراب الجوع بسجن الأصنام"، غير أن هذا المقال ورد بدون اسم صاحبه. انظر المرجع نفسه، ص 185.

1- "الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء"، المنار، العدد 11، السنة الأولى، 08 ديسمبر 1951.
2- "شهيد"، المنار، العدد 15، السنة الأولى، 01 فبراير 1952.
3- "محمدون ثلاثة"، المنار، العدد 15، السنة الأولى، 01 فبراير 1952.
4- "تطورات القضية المصرية"، المنار، العدد 17، السنة الأولى، 29 فبراير 1952.
5- "زيارة ظفر الله خان لمصر"، المنار، العدد 18، السنة الأولى، 14 مارس 1952.
6- "رسالة الشرق"، المنار، العدد 06، السنة الثانية، 04 جوان 1952.
7- "علال الفاسي يقول: من الخير أن تعرض قضية الجزائر على هيئة الأمم"، المنار، العدد 07، السنة الثانية، 19 جوان 1952.
8- "الطلبة الجزائريون يبدون آراءهم في قضية الاتحاد الوطني"، المنار، العدد 42، السنة الثالثة، 08 ماي 1953.

بينما كان مقاله بجريدة الدعوة الإسلامية بعنوان "شعب الجزائر مسلم"، لكنني لم أتمكن من الحصول عليه.

وفيما يلي دراسة تحليلية تاريخية لمقالاته في جريدة المنار.

عنوان المقال: **"الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء"**

المنار : العدد 11 السنة الأولى

السبت 9 ربيع الأول 1371هـ/ 08 ديسمبر 1951.

يتطرق زدور إبراهيم القاسم في هذا المقال إلى احتفال مصر بيوم الشهداء الذي كان يصادف يوم 14 نوفمبر، وإلى مشاركة الطلبة الجزائريين في إحياء هذا اليوم، حيث عقد الطلبة اجتماعا حضره الأزهريون وطلبة المدارس، وتم الاتفاق على تحضير لافتات كتب عليها "الجزائر تتضامن مع مصر في جهادها" و"الشعوب العربية والإسلامية تريد حريتها واستقلالها". كما تم إعلام لجنة تنظيم المظاهرة باشتراك الجزائريين فيها، لتحدد لهم مكانا فيها، وأعلن عن مشاركة الجزائريين في جريدة الأهرام في نوفمبر 1951. وقد حرص الجزائريون "على أن تكون مشاركتهم في المظاهرة رمزا حيا لتأييد الجزائر قاطبة لمصر الشقيقة المجاهدة".

علما أن زدور إبراهيم القاسم كان قد شارك في هذه المظاهرة[1]، وتخلل مقاله وصف مجرياتها، حيث يبدأ باجتماع الطلبة صباح يوم 14 نوفمبر وتوجههم إلى ميدان الخديوي إسماعيل بشكل منتظم، والعلم الجزائري والمصري يرفرف فوق رؤوسهم، تعلوه اللافتات التي كانوا قد أعدوها، والتي يزيد طول كل منها عن الستة أمتار (6 أمتار).

وذكر زدور إبراهيم القاسم في مقاله[2] أن الموكب المهيب بدأ يسير انطلاقا من شارع إسماعيل، بشكل منتظم، مثلت فيه كل هيئة وكل منظمة الشعوب العربية والإسلامية، وكذا الجزائر التي "سار أبناؤها صامتين خاشعين واسم الجزائر على اللافتة فوق رؤوسهم يجلب الأنظار".

وقد عبر زدور إبراهيم القاسم في هذا المقال على مدى فرحته وإعجابه بالطلبة الجزائريين وهم يساندون إخوانهم المصريين. ويواصل وصفه لهذه المظاهرة السلمية في ذكر أن الحدث سرعان ما انتشر صداه في الصحف كما هو الحال بالنسبة لجريدة "الزمان" المسائية التي تطرقت لهذا الحدث، وكانت كلمتها حول الجزائر "شباب الجزائر قد اشتركوا في المظاهرة

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2006/06/11.

[2] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء"، المنار، العدد 11، 1951/12/08.

وحملوا لافتات كتب عليها: الجزائر تؤيد مصر في كفاحها". بينما صرح المتكلم باسم القصر وبمكبر الصوت "نشكر للجزائر تضامنها مع مصر في جهادها".

كما نلمس التأثر الكبير الذي كان عليه زدور إبراهيم القاسم وهو يحضر هذا الحدث حيث كتب "ولعمري إن الجزائر كلها كانت ممثلة بما فيها من وطنية خالصة وعروبة منيعة وإيمان عميق بالله وبالوطن العزيز".

عنوان المقال : **"شهيد"**

المنار : العدد 15 السنة الأولى

الجمعة 06 جمادى الأولى 1371 هـ/ 01 فبراير 1952.

هو مقال كتبه زدور إبراهيم القاسم عن شهيد مصري ضحى بنفسه فداءً للوطن، وقد وصف صاحب المقال وبتأثر كبير الطريقة التي ضحى بها هذا الشاب بنفسه في سبيل وطنه، حيث بدأ زدور إبراهيم القاسم بالتعريف بالشهيد، وحيثيات التضحية التي وصفها بالرائعة والغنية عن كل تعليق ولعل هذا ما يوضح لنا وفي هذه الفترة بالذات مدى استعداد زدور إبراهيم القاسم للتضحية بنفسه في سبيل الوطن، خاصة وأن مصر في هذه المرحلة كانت في تحولاتها الكبرى والتي ستتوج بثورة جويلية 1952.

فالشهيد هو "أحمد محمد عصمت"، خريج مدرسة الطيران، ونجل المهندس "أحمد عصمت"، وحفيد "عبد القادر حلمي باشا" القائد المصري الباسل[1]، في التاسعة والعشرين من عمره، وهو نفس عمر زدور إبراهيم القاسم في هذه السنة، حيث بلغ هذا الأخير يوم 02 فبراير 1952 تسعة وعشرين (29) سنة، عاش فيها أحداث الجزائر المستعمرة، ودرس بتونس المحتلة، وها هو يواصل دراسته بالقاهرة، ومصر لا زالت في يد بريطانيا، لكنها في مرحلة التخلص التدريجي من براثن الاستعمار. ولعل هذا ما أثر كثيرا في زدور إبراهيم القاسم، فكيف يضحي شخص في ريعان الشباب، ويكون مستعدا لترك زوجة وثلاثة أطفال، وأم عجوز، كيف يقدم على ذلك، وهو بوظيفة مرموقة: طيار في شركة مصر للطيران؟ كيف يقدم على هذه الخطوة، لولا كونه وطنيا، فضل التضحية بنفسه ليعيش أفراد عائلته أحرارا في بلادهم[2]؟

فقد ترك هذا الشاب منزله صبيحة يوم 14 يناير 1952، وسافر بسيارته الخاصة إلى بور سعيد، بعدما ترك رسالة لزوجته يشرح فيها دوافعه للتضحية بنفسه، وكانت هذه المدينة قد شهدت معركة شرسة يوم 16 أكتوبر 1951 بسبب خروج الشعب في مظاهرات عارمة للتعبير عن فرحته بإلغاء معاهدة 1936، حيث قابلت السلطات الإنجليزية هذه المظاهرات

---

[1] الرافعي عبد الرحمن، مقدمات ثورة 23 جويلية، المرجع نفسه، ص 102.

[2] زدور إبراهيم القاسم : "شهيد"، في المنار، ع 15، 1952/02/01.

بهجوم شرس، أدى إلى قتل عدد كبير من المصريين ثم استولوا على مكاتب الجمارك والجوازات في "الإسماعيلية" و"بور سعيد" إلى جانب خطوط السكك الحديدية، ووضعوا أيديهم على طرق المواصلات وأوقفوا القطارات[1].

وبوصول أحمد محمد عصمت إلى مدينة "التل الكبير" وبالضبط إلى نقطة التفتيش البريطاني "أبي حماد" الذي أقامه هؤلاء لمراقبة التنقلات من وإلى منطقة القناة: "كانت سيارات مصرية أخرى ومسافرون قد أوقفوا لقصد التفتيش، بينما كان البريطانيون ينقلون جثث قتلاهم الذين فتك بهم الفدائيون في معركة التل الكبير العنيفة في الليلة الماضية، ينكلون بالأهالي انتقاما لقتلاهم"[2].

وكانت معركة "التل الكبير" هذه قد وقعت بين 12 و13 يناير 1952 عندما هاجمها الإنجليز يوم 12 يناير بحجة إيواء البلدة لبعض الفدائيين الذين كانوا يهاجمون معسكراتهم، لكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من رجال البوليس والفدائيين الذين وضعوا الألغام لتفجير القطار الذي يحمل الجند والذخيرة والسلاح، لتقوم قوات الإنجليز الموجودة داخل المعسكر بالخروج لمواجهة المصريين، واستمرت هذه المعركة من الساعة الثالثة بعد الظهر، إلى أن تم الاتفاق على وقف إطلاق النار، لتكون الحصيلة قتل عدد كبير من الإنجليز، واستشهاد سبعة من الفدائيين. وفي اليوم التالي، استأنف الإنجليز عدوانهم مرة أخرى، لكن الفرق في العدة والعتاد جعل المعركة تميل لصالح الإنجليز، الذين قصفوا المدينة بالمدافع. ويذكر هؤلاء أنهم أسروا سبعة من المجاهدين، صلبوهم على الأشجار، وأطلقوا عليهم الكلاب المفترسة لتنهش أجسامهم كإحدى طرق التعذيب، ثم أعدموهم بالرصاص. وفي السادس عشر من نفس الشهر، احتل الإنجليز البلدة والقرى المجاورة لها، وفرضوا رقابة مشددة على طرق المواصلات إليها. ووضعوا نقاطا للتفتيش مسلحة بمدافع الميدان والدبابات[3].

في هذا الظرف، وفي هذا المكان، رفض الشهيد أحمد عصمت تفتيش سيارته، وقدم بطاقته الشخصية إلى رئيس القوات، فأصر هذا الأخير على تفتيش السيارة، فثار شعور أحمد عصمت، وأخرج مسدسه بسرعة "وأطلق رصاصة قتلت ضابطا برتبة (بريقادييه)، وأخرى فتكت بجندي آخر، وقبل أن يستمر في إفراغ مسدسه سقط تحت وابل من رصاص الجنود

[1] الرافعي عبد الرحمن، نفس المرجع، ص 102.
[2] زدور إبراهيم القاسم ، "شهيد"، المنار، 1952/02/01.
[3] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 103.

الآخرين"[1]، ليزيد بذلك من اضطراب الجنود الإنجليز في المنطقة التي كانت قد شهدت معارك أخرى مثل "معركة الإسماعيلية" يوم 16 أكتوبر 1951. واستمر الإنجليز في بطشهم وتنفيذ إستراتيجيتهم بإقامة حكم عسكري بالقناة، وعزلها عن مصر. إلى جانب تكثيف قواتهم وعتادهم، واعتبروا منطقة القناة منطقة بريطانية، تحكم عسكريا. كما استولوا على بعض المساكن، وجعلوها مراكز لجنودهم. ولعل ما زاد الشهيد عزما على التضحية بنفسه، هذه الأساليب التعسفية، واضطهاد المواطنين وإذلالهم، حيث فرضوا تفتيش كل المصريين الراغبين في الدخول أو الخروج من القناة، مهما كانت وظائفهم ومكانتهم، مدنيين أو عسكريين. ولم يستثن سوى أفراد قلائل كانت لهم رخص من القيادة البريطانية أو قناصل الإنجليز. وكان يقوم بهذه العملية أفراد من القوات الإنجليزية مزودين بمسدسات وبنادق[2].

ويواصل زدور إبراهيم القاسم وصفه للحادثة قائلا: "وعندما تسلم المصريون جثته، وأخبرت زوجته، قالت أنه خرج صباحا، وترك رسالة مطولة نشرتها، قال فيها: "إني ذاهب إلى القنال فإن مت فأرجو أن يعلم كل مصري أني شاب متزوج ولي ثلاثة أطفال إلى جانب أمي وإخوتي، وأني ضحيت ليعيشوا أحرارا في بلادهم"[3].

نستنتج من هذا المقال، الذي يعبر عن التضحية وعظمتها، إصرار الشاب الشهيد على إبلاغ صورته بطريقته، والتنديد بالاستعمار الإنجليزي، فرغم علمه بضخامة عدد الإنجليز، وتفوقهم في العدة والعتاد، وخطورة الوضع هناك. إلا أنه مضى إلى هناك يدفعه حبه للوطن. وقد ذكر زدور إبراهيم القاسم في نهاية هذا المقال أن روعة هذه التضحية غنية عن كل تعليق.

[1] زدور إبراهيم القاسم، "شهيد"، المنار، 1952/02/01.
[2] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 104.
[3] زدور إبراهيم القاسم : "شهيد"، المنار، 1952/02/01.

عنوان المقال : **"محمدون ثلاثة"**

المنار : العدد 15 السنة الأولى

الجمعة 6 جمادى الثانية 1371 هـ/ 01 فبراير 1952

هو مقال كتبه زدور إبراهيم القاسم يبدي فيه إعجابه بثلاث شخصيات كان لها صدى في نهضة الأمة الإسلامية – في نظره – إذ يقول: "فقد رسموا بكفاحهم وإقدامهم صراطا سويا، وأثاروا سبيلا واضحا في نهاية عزة الشعوب الإسلامية ومجد الإسلام".

أما هذه الشخصيات، فهي على التوالي وكما ذكرها زدور إبراهيم القاسم في المقال "محمد علي جناح"، "محمد مصدق" و"محمد صلاح الدين"، حيث بدأ زدور إبراهيم القاسم مقاله بـ"إنهم ثلاثة يدعى كل منهم بهذا الاسم الجليل الذي حمد مسعاه الأول في السماوات والأرض، إنهم ثلاثة رفعوا من شأن هذا الدين الحنيف بعد أن سكتت عنه الأيام أحقابا من الدهر، إنهم ثلاثة بعثهم الله ليوقظوا خير أمة من خمولها ويعيدوا لبنيها الثقة بأنفسهم والإيمان بماضيهم وليدفعوهم إلى عزة مستقبلهم".

ويبدو أن زدور إبراهيم القاسم كان متتبعا لنشاطات هذه الشخصيات الثلاث مما جعله يعتبرها فخرا لأمته، لذلك سنحاول التعريف بها وبأهم إنجازاتها، التي جعلت صاحب المقال يعطيها هذا الشأن والصورة العظيمة في مقاله.

1 – محمد علي جناح : ولد يوم 25 ديسمبر 1876 في كراتشي. كان والده تاجرا ينتمي إلى منطقة شبه جزيرة كاتياوار الهندية. انتقل إلى بومباي ليدرس الابتدائي بها، ليعود إلى مدينته، ويلتحق بمدرسة السند العليا أين تعلم القرآن[1]، ثم انتقل إلى مدرسة البعثة المسيحية. وفي سنة 1893 التحق بكلية "لنكولن" لدراسة القانون في لندن بإنجلترا، وتخرج منها سنة 1896 ليكون أصغر هندي يتخرج من هذه الكلية علما أن والده كان يريده أن يكون تاجرا مثله. وقد ركز محمد علي جناح على دراسة تاريخ بلاده، ووصل إلى قناعة أنه لا يمكن هزيمة البريطانيين بالقوة[2].

---

[1] العمر فاروق، محمد علي جناح سفير الوحدة وقائد الانفصال، مطابع صوت الخليج، الكويت 1977، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 24.

وبعودته إلى الهند، وجد محمد علي جناح الوضع سيئا، فوالدته قد توفيت، وتجارة والده تعاني مشاكل، مما فرض عليه الاعتماد على نفسه. وبدأ يعمل بالمحاماة وسرعان ما ذاعت شهرته، وأصبح محاميا ناجحا، بفضل شجاعته، ومهاراته العالية في الدفاع. وفي سنة 1905، التحق بحزب المؤتمر الوطني الهندي* الذي كان متأثرا بقياداته وخاصة "نوروجي" أحد مؤسسي الحزب. وفي السنة نفسها، توجه محمد علي جناح إلى لندن لإثارة المسألة الهندية، مطالبا باستقلالها عن الاستعمار البريطاني. وفي سنة 1906، أصبح سكرتيرا لرئيس هذا الحزب الذي كان يعتبر أكبر منظمة سياسية تعمل من أجل استقلال الهند. وفي سنة 1909 انتخب بالإجماع لعضوية المجلس التشريعي المركزي الهندي ليمثل مسلمي منطقة "بومباي"، كما انضم جناح للرابطة الإسلامية التي تأسست سنة 1906 على يد بعض زعماء مسلمي الهند والتي كانت تعمل على الحفاظ على حقوق المسلمين. وحافظ على عضويته في حزب المؤتمر حتى يعمل من خلال هذه الازدواجية على كسب ثقة الطرفين ومن ثم العمل على توحيد المسلمين والهندوس[1].

وفي سنة 1913 ربط جناح هذه الرابطة بحزب المؤتمر، وانتخب رئيسا لها سنة 1916، ليصبح سنة 1919 ممثلا لمسلمي بومباي في المجلس التشريعي الإمبراطوري، علما أن هذا الأخير كان ذا سلطة محدودة تحت إشراف الحكومة الاستعمارية البريطانية.

غير أن سنة 1920 ستشهد استقالة محمد علي جناح من حزب المؤتمر بعد أن ظل مواليا له حوالي عشرين عاما، وذلك بسبب موافقة الحزب على مناداة غاندي** بالعصيان المدني، الأمر الذي كان يتنافى مع سياسة محمد علي جناح القائمة على مبدأ تحقيق الاستقلال عن طريق الوسائل الدستورية. وظل جناح متبنيا لفكرة التعاون المعتدل مع البريطانيين والتحويل التدريجي للسلطة في الهند إلى أيدي الهنود مواصلا في الوقت نفسه الدعوة إلى اتحاد المسلمين والهندوس في دولة واحدة. ولعل هذا ما أثار إعجاب زدور إبراهيم القاسم بهذه الشخصية التي ظلت تنادي بالوحدة بين المسلمين والهندوس لمقاومة المستعمر البريطاني.

---

* حزب سياسي قومي هندي، تأسس سنة 1885 كحزب معارض للوجود البريطاني.

[1] العمر فاروق، محمد علي جناح، ....، صص 42-43.

** كان غاندي قد عاد من جنوب إفريقيا أين قاد حملة ضد التمييز العنصري. بدأ حياته السياسية في الهند سنة 1915، كان يرى في ضرورة فرض العصيان المدني والمقاومة السلبية لإجبار بريطانيا على منح الهند استقلالها.

وفي سنة 1928 اقترحت الحكومة البريطانية على الأحزاب السياسية في الهند بأن تضع تصورها لدستور الهند بعد استقلالها. فتشكلت لجنة برئاسة "موتي لال نهرو"*، وقد تجاهلت هذه الأخيرة حقوق ملايين المسلمين بالهند، مما جعل محمد علي جناح وبعد اجتماع الرابطة الإسلامية يصدر بيانا سياسيا تضمن أربعة عشر بندا (14)، أهم ما جاء فيها إعطاء جميع الأقاليم نوعا من الحكم الذاتي، وتخصيص ثلث مقاعد المجلس التشريعي المركزي للمسلمين، ووضع تشريع دستوري يتضمن حماية دينهم ولغتهم وثقافتهم[1]. هكذا ونتيجة لإصرار كل من الهندوس والمسلمين على مواقفهم، دعت الحكومة البريطانية سنة 1930 إلى عقد مؤتمر عرف بالمائدة المستديرة بلندن. وفي ظل عدم الوصول إلى تسوية، وشعور محمد علي بالضغط عليه سواء من الهندوس أو المسلمين، قرر تعليق أنشطته السياسية ليواصل دراسته للقانون بلندن إلى غاية 1934، ثم يعود للنشاط السياسي بالهند بأفكار وتوجهات جديدة.

لقد ظل محمد علي جناح يكافح من أجل تحقيق الوحدة بين المسلمين والهندوس، ولذلك كثف نشاطاته في محاولة التوفيق بين حب المؤتمر والرابطة الإسلامية التي كان لها ثلاثة أهداف:

1/ حماية مصالح المسلمين والعمل على تنميتها.

2/ العمل على خلق روح الانسجام والتفاهم بين الجماعات المختلفة في الهند.

3/ الولاء للحكومة البريطانية لشعور أعضائها أن هذه الأخيرة هي عامل توازن بين الهندوس والمسلمين.

ورغم تحفظ علي جناح على النقطة الأخيرة، إلا أنه واصل نشاطه في إطار هذه الرابطة، حيث تمكن من التقريب بين وجهتي نظر حزب المؤتمر والرابطة.

هكذا، ونتيجة لكل الظروف التي شهدها، وبعد أن ظل يكافح من أجل تحقيق الوحدة بين المسلمين والهندوس، تبيّن له استحالة هذا الاتحاد. لذلك فعند اجتماع الرابطة الإسلامية سنة 1937، طالب محمد علي جناح بالاستقلال التام للمسلمين ضمن اتحاد فدرالي هندي إسلامي. وفي اجتماع "لاهور"، مارس 1940، دعا إلى قرار تاريخي عرف بقرار "لاهور"، كان قد اقترحه "مولوي فضل الحق" المعروف باسم "أسد البنغال"، أعلنوا فيه أن المسلمين

---

* موتي لال نهرو والد جواهر لال نهرو.

[1] العمر فاروق، ...، المرجع نفسه، ص 51.

والهندوس يشكلون قوميتين رئيسيتين في الهند، ويجب الاعتراف أن المسلمين أمة لها ثقافتها، حضارتها، لغتها، آدابها وفنونها. وأعلنوا أن كل المناطق المتجاورة والتي يشكل فيها المسلمون الأغلبية يجب أن تكون دولة جديدة[1]. وفي سنة 1944 أرسل جناح رسالة إلى "المهاتما غاندي" يوضح له فيها رؤيته لهذه القضية. هكذا، وبعد محادثات كلف بها اللورد البريطاني "لويس ماونتباتن" تم وضع خطة تقسم بمقتضاها شبه القارة الهندية بعد الاستقلال إلى قسمين هما الهند وباكستان. هكذا، وكما ذكر زدور إبراهيم القاسم في مقاله: "دعا محمد علي جناح المسلمين في الهند فلبوا دعوته وقادهم بإيمانه فاهتدوا بهديه وأقام أسس دولة إسلامية عظيمة مبدؤها الإسلام وغايتها الإسلام، شعبها فتي نشيط وساستها مجاهدون كرام، دستورهم الإخلاص ورائدهم الإيمان"[2].

لقد أثنى زدور إبراهيم القاسم على هذه الخطوة ثناءً كبيرًا، خاصة وأن محمد علي جناح كان انتقل من فكرة الوحدة بين الهندوس والمسلمين، وهي مبدأ وطني هدفه حماية الهند ومواجهة الاستعمار، إلى فكرة جديدة فرضتها عليه ظروف نشاطه السياسي، إذ أيقن أنه لا مجال لهذه الوحدة في ظل إصرار الهندوس على تعنتهم.

هكذا وافقت بريطانيا على هذا التقسيم سنة 1946، وأعلن محمد علي جناح في 14 أوت 1947 قيام جمهورية باكستان الإسلامية وعين حاكما عاما لها وهو في السبعين من عمره. وكان نعم القائد المخلص لشعبه ليموت بعد ذلك بسنة واحدة تقريبا، حيث توفي ليلة الحادي عشر (11) من سبتمبر 1948[3].

وقد عبر زدور إبراهيم القاسم عن مدى ابتهاج العالم الإسلامي لظهور هذه الدولة بفضل هذا القائد الذي وصفه الدكتور فاروق العمر بسفير الوحدة وقائد الانفصال. وختم مقاله بذكر أحد أقوال "محمد علي جناح": "ليس الإسلام مجرد مجموعة طقوس وتقاليد وتعاليم روحية، إنما هو دستور حياة كل مسلم، دستور ينهج عليه في حياته، وتصرفاته في جميع النواحي...إننا كلنا مسلمون، وكلنا باكستانيون وعلينا بصفتنا أبناء الدولة أن نخدمها ونضحي من أجلها لكي تكون عظيمة سائدة وأن شعارنا الدائم هو الاتحاد والإيمان والنظام". ونلمس مدى إيمان زدور إبراهيم القاسم بهذه المبادئ إذ لابد أن يكون قد عكس الأمر بالنسبة

[1] العمر فاروق، المرجع نفسه، ص 62.
[2] زدور إبراهيم القاسم : "محمدون ثلاثة"، المنار، العدد 15، 1952/02/01، المصدر نفسه.
[3] العمر فاروق، المرجع نفسه، ص 63.

للجزائر، التي كانت فيها أزمة حزب الانتصار في بدايتها والحركة الوطنية على المحك، فكان أمله أن تجد الجزائر قائدا كهذا القائد الذي تمكن من تكوين دولة إسلامية خلصها من نفوذ الإنجليز وسيطرة الهندوس. هذا وقد كان الوازع الديني لزدور إبراهيم القاسم وحبه للإسلام هو الذي جعله يعجب بهذه الشخصية.

أما الشخصية الثانية التي تطرق لها زدور إبراهيم القاسم في مقاله "محمدون ثلاثة" فهي:

2 – محمد مصدّق: الذي وصفه برجل العصر "لأنه يمثل العصر في تطلعه إلى الحرية وكفاحه ضد الاستعمار"، ويقول زدور إبراهيم القاسم عنه أيضا: "إنه لمما يشرف الأمة الإسلامية أن تنبت أمثال محمد مصدق فيعيدوا لها مجدا قديما، ويخطو لها في سجل الإنسانية حياة شريفة...".

ولابد هنا من إعطاء نبذة عن حياة محمد مصدق، فقد ولد سنة 1880، كان ابنا لأحد موظفي الدولة الإيرانية، حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة سويسرا، ليعود إلى إيران سنة 1914. وعين رئيسا لحكومة مقاطعة فارس، وفي 1921 وزيرا للاقتصاد، ثم وزيرا للشؤون الخارجية لمدة قصيرة من الزمن، وفي سنة 1923 انتخب عضوا في البرلمان. وكان أول موقف سياسي بارز له هو معارضة انتخاب "رضا خان" شاها لإيران، فأجبر على اعتزال الحياة السياسية سنة 1941[1].

وفي سنة 1944 انتخب مجددا في البرلمان ليعود إلى الحياة السياسية، وتميزت مواقفه في الدفاع عن القومية، ومعارضة منع الاتحاد السوفياتي (سابقا) ترخيص العمل في حقول النفط شمال إيران، كتلك المنح التي حصلت عليها بريطانيا في جنوب إيران. ذلك أن بريطانيا قد تمكنت بعد عمليات التنقيب التي دامت حوالي سبع سنوات، من اكتشاف البترول في مكان يسمى "ميدان نفطون" جنوب غرب إيران الحالية سنة 1908. وفي سنة 1909 تكونت الشركة الإنجليزية الفارسية "APC" وأقيم خط للأنابيب يمتد بين مسجدي سليمان في منطقة عربستان (قريبة من ساحل الخليج) وحتى عبدان عند شط العرب. واتفقوا مع الشيخ "خزعل" على استخدام جزيرة عبدان لبناء مصفاة بترولية فيها. وفي سنة 1920 بدأت المصفاة تعمل، وسال البترول في الأنابيب، وباندلاع الحرب العالمية الأولى، وخوفا من المنافسة الأمريكية،

[1] الإنترنيت : أرشيف الجزيرة نت بتاريخ 2008/07/10.

شكلت الحكومة البريطانية لجنة اقترحت إبرام عقد على المدى الطويل مع الشركة الأنجلوفارسية مقابل مساهمة الحكومة في رأسمال الشركة. ولقد كان لهذه الشركة دورا هاما في تمويل الحلفاء عامة وبريطانيا خاصة بفضل مصنع تكرير البترول في عبدان[1]. وعلى إثر ظهور الثورة البلشفية (سنة 1917) وانهيار القيصرية في روسيا، ألغت بريطانيا الاتفاق البريطاني الروسي* لسنة 1907، وفرضت على طهران معاهدة حماية تشمل الأراضي الإيرانية كلها سنة 1919. وتواصلت المنافسة الدولية للسيطرة على بترول هذه المناطق، دون أن تستغله شعوبها التي كانت خاضعة للاحتلال الإنجليزي.

لذلك فقد كان محمد مصدق معارضا لهذا الاستغلال، وبدأ بالدعوة إلى تأميم شركات النفط، حيث بنى قوة سياسية ذات ثقل كبير بفضل هذا الموقف. وفي هذا الصدد يذكر زدور إبراهيم القاسم في مقاله: "وقد كان محمد مصدق وشعب إيران المجاهد صاحب الضربة الصائبة التي مني بها الأسد البريطاني العجوز فملأت دماؤه آبار عبدان".

ومما زاد في شهرة ومكانة "محمد مصدق" هو إجازة البرلمان الإيراني لتأميم النفط سنة 1951 وذلك بعد اضطرار الشاه لتعيين محمد مصدق رئيسا للحكومة خلفا لـ"حسين علاء" الذي استقالت حكومته نتيجة لتزايد الاضطرابات والنقمة الشعبية. هذا ومنذ استلامه للحكم، أصدر سلسلة من القوانين والتشريعات لمصلحة الطبقة الشعبية بغرض تحسين وضع الإدارة الحكومية والنهوض بها[2]. وقد رفضت بريطانيا قرار التأميم لأنها كانت تتعرض لخسارة كبيرة، ثم اشتكت هذه الأخيرة لدى محكمة العدل الدولية في "لاهاي" بحجة أن التأميم يشكل خطرا على السلام العالمي. وعند نظر المحكمة في شكوى بريطانيا وإيران، سافر محمد مصدق إلى لاهاي للدفاع عن القانون. وفي سنة 1952، ولما تم تحميل أول ناقلة بنفط إيراني مؤمم إلى إيطاليا، اعترض الأسطول الإنجليزي الناقلة في ميناء "عدن"، وصادر حمولتها بدعوى عدم شرعية بيع النفط. في هذا الظرف، حاول "مصدق" الحصول على المزيد من الصلاحيات الاستثنائية، لكن الشاه رفض، فاستقال "مصدق" واعتكف بمنزله. وسرعان ما

---

[1] محمد عدنان (مراد)، بريطانيا والعرب، تاريخ الاستعمار البريطاني في الوطن العربي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، طلاس در، الطبعة الأولى 1989، ص ص 305-307.

* الاتفاق البريطاني الروسي سنة 1907، تقاسم فيه الطرفان النفوذ في إيران.

[2] مجذوب طلال، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، دار ابن رشد للطباعة والنشر، الطبعة I، 1980، ص 316.

قامت المظاهرات في معظم مدن إيران تطالب بعودته، مما اضطر الشاه وبعد ثلاثة أيام إلى استدعاء "محمد مصدق" وتسليمه رئاسة الحكومة بالصلاحيات التي طلبها[1].

غير أن كل هذا لم يكن يروق للشاه الذي حاول إبعاد "محمد مصدق" عن رئاسة الوزراء سنة 1953، لكنه اضطر إلى العدول عن هذا الموقف بسبب خروج الجماهير المؤيدة لـ"مصدق" ومناداتها بعودته. وأجبر الشاه على مغادرة البلاد[2] متوجها بطائرة يقودها بنفسه إلى إيطاليا.

وفي هذا الصدد، أورد زدور إبراهيم القاسم قولا لـ"محمد مصدق" الذي اعتبره مطهرا للبلاد من نفوذ الاستعمار، وقائدا لمسيرة الحرية الكاملة والاستقلال التام، حيث ذكر هذا الأخير: "أن شعوب الشرق قد حطمت أغلالها وهي تنظر بعين الكراهية إلى كل أولئك الذين لا تزال جوانبهم تخفق بأحلام استعمارية"[3].

لكن موقف "محمد مصدق" لم يكن يخدم مصالح أمريكا خاصة، التي بدأت تعمل على بسط نفوذها لتأمين مصالحها في هذه المناطق، لذلك عمدت إلى الإطاحة بالزعيم الإيراني محمد مصدق سنة 1954، واستبدل بالجنرال "زاهدي"، وأعيد الشاه إلى الحكم، لتجد كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية المجال واسعا لتنفيذ أهدافها، حيث تم ضم إيران إلى النظام الدفاعي الذي عرف في البداية باسم حلف بغداد سنة 1955 والذي كان يضم كل من تركيا، العراق، باكستان، بريطانيا ثم إيران بعد الإطاحة بمحمد مصدق. كما عقدت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقيات دفاعية ثنائية مع كل من باكستان، إيران وتركيا[4].

أما بالنسبة لمحمد مصدق، فقد حكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة الخيانة، وبعد انقضائها، وضع تحت الإقامة الجبرية في منزله إلى أن توفي يوم 15 مارس 1967[5].

نستنتج من تتبع سيرة هذه الشخصية، الأسباب التي جعلت "زدور إبراهيم القاسم" يعطيها هذه الأهمية، وهي شجاعته في مواجهة أذناب الاستعمار، ونضاله في سبيل ذلك، وتهديده لمصالح الغرب في إيران، مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على الإطاحة بنظامه ثم وضعه تحت مراقبتها حتى وفاته تفاديا لخطره على مصالحها.

---

[1] المرجع نفسه، صص 317-318.
[2] أرشيف الجزيرة نت بتاريخ 2007/07/10.
[3] زدور إبراهيم القاسم : "محمدون ثلاثة"، المنار، العدد 15، 1952/02/01.
[4] مراد محمد عدنان، بريطانيا والعرب، ...، ص 397.
[5] مجذوب طلال، إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية، ...، ص 321.

ونعود إلى مقال زدور إبراهيم القاسم، ونتعرف على ثالث "محمد" تطرق له وهو "محمد صلاح الدين".

3 – محمد صلاح الدين : وصفه زدور إبراهيم القاسم في مقاله فقال: "محمد صلاح الدين، الوزير المؤمن الذي طبع السياسة الخارجية المصرية بطابع الشجاعة ووسمها بسمة الرجولة وألبسها حلة الصراحة ومنحها صفة الوضوح"[1].

كان محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصري في حكومة الوفد التي ألغت على لسان مصطفى النحاس معاهدة 1936، والتي طلبت من الحكومة البريطانية الدخول في مفاوضات جديدة في مارس 1950. غير أن هذه الأخيرة وبعد تسعة أشهر (من مارس 1950 إلى سبتمبر 1951) أبدت تراجع الموقف المصري وتشدد الموقف البريطاني. ويمكن هنا إدراج بعض أقوال الوزير محمد صلاح الدين أثناء هذه المفاوضات، ومنها "إننا راغبون في الدفاع عن بلادنا، وإننا نقبل أن نكون حلفاء على أن يسبق ذلك الجلاء"[2]. فقد كان متمسكا بموقف الجلاء عن الأراضي المصرية، وبالضبط في منطقة "قناة السويس" التي كانت لها أهمية إستراتيجية. كما كان معارضا لفكرة الدفاع المشترك التي كانت ستقيد مصر باتفاقيات جديدة، حيث قال: "سبق للوفد المصري عندما كان في المعارضة أن رفض فكرة الدفاع المشترك وأجمع الرأي العام المصري على تأييده في هذا الرفض، وانتهى الأمر بعدم قبول أغلبية المفاوضين لمشروع "صدقي- بيفن"* من أجل الدفاع المشترك...وأريد هنا أن أفرق بين الدفاع المشترك في وقت السلم، والدفاع المشترك في وقت الحرب. فالدفاع المشترك في وقت الحرب أمر مقبول...أما الدفاع المشترك في وقت السلم فهو الذي سبق لمصر أن رفضته ويصعب أن نقبله في أية صورة من الصور"[3].

كما أن "محمد صلاح الدين" كان متمسكا برأيه في أنه لا توجد دولة عربية تستطيع أن تشترك مع إسرائيل في نظام الدفاع الجماعي، وفي نفس الوقت أكد على إصراره هو

---

[1] زدور إبراهيم القاسم : "محمدون ثلاثة"، المنار، العدد 15، 1952/02/01.
[2] الرافعي عبد الرحمن، مقدمات ثورة 23 جويلية 1952، نفس المرجع، ص 23.
* بدأت هذه المفاوضات بالقاهرة، ثم استكملت بلندن. قاطعت الأحزاب السياسية هذه المفاوضات لأن صدقي باشا رئيس الوزراء المصري لم يتمتع بأية قاعدة سياسية شعبية أو غير شعبية. كما أن هذه الاتفاقية لم تكن في صالح مصر. انظر مراد محمد عدنان، بريطانيا والعرب، نفسه، صص 410-411.
[3] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 24.

وحكومته على أن تبقى إدارة قاعدة القناة بيد المصريين وقت السلم، بينما تكون بيد المصريين والبريطانيين وقت الحرب[1].

ويواصل زدور إبراهيم القاسم تعريفه ووصفه لهذه الشخصية المصرية قائلا: "عرفت وجهته منذ القديم، وأبرز هدفه منذ أن باشر السياسة، ويمكن تحديد شعاره بأنه مصر للعروبة والإسلام"[2]. وفي هذا الصدد نذكر موقف "محمد صلاح الدين" من المقترحات التي قدمتها الحكومات الأربع (بريطانيا-الولايات المتحدة الأمريكية-تركيا-فرنسا) على إثر إلغاء معاهدة 1936 والمتمثلة في:

- قبول مصر الدفاع المشترك مع هذه الدول.
- تكون حماية قناة السويس لقوات دولية تشترك فيها مصر، بريطانيا، أمريكا، فرنسا، تركيا، أستراليا، نيوزلندا وجنوب إفريقيا.
- يكون لجزء من هذه القوات الحق في البقاء في مصر في حالة السلم والحرب.
- استمرار الحكم البريطاني في السودان مع إنشاء رقابة دولية صورية لا تحد من سيطرة الإنجليز فيه وجعل علاقة مصر بالسودان علاقة مياه فقط.

قدمت المقترحات إلى الحكومة المصرية يوم السبت 13 أكتوبر 1951، واستقبل الدكتور "محمد صلاح الدين" بدار الوزراء سفراء بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا وتركيا. علما أن هؤلاء طلبوا منه المقابلة مجتمعين، فرفض وفضل لقاء كل واحدة على حدة، ولكن هذه المقترحات رفضت من طرف مجلس الوزراء المنعقد يوم الأحد 14 أكتوبر 1951[3]. وفي 27 أكتوبر 1951، بعث "محمد صلاح الدين" برسالة إلى السفير البريطاني في القاهرة تتضمن إقرار الحكومة بإلغاء معاهدة 1936، ومن بين ما جاء فيها: "وإن إلغاء معاهدة 26 أوت 1936، ليستتبع بالضرورة أن يكون له نتائج من بينها انتهاء التحالف بين مصر وبريطانيا العظمى...ولن يكون وجود هذه القوات في مصر من الآن فصاعدا إلا ضد إرادة الشعب والبرلمان والحكومة المصرية"[4].

---

[1] زدور إبراهيم القاسم : "محمدون ثلاثة"، المنار، العدد 15، 1952/02/01.
[2] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، صص 24-25.
[3] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، صص 30-37.
[4] المرجع نفسه، ص 41.

وكان زدور إبراهيم القاسم متتبعا لتطورات الأحداث في مصر، بحكم مزاولته دراسته بها، وأهمية هذه الأحداث، علما أن مقالاته في هذه الفترة كانت تتبع هذه الأوضاع عن كثب، حيث يذكر في مقاله: "وفي هذه الأيام العصيبة وجدت مصر في "محمد صلاح الدين" أمثل معبر عن إرادتها، وأصدق مبارز لأعدائها، وأقوى المحامين إخلاصا لقضية التحرير وتفانيا في الدفاع عن سيادة البلاد الكاملة والاستقلال الأوفى"[1]. ذلك أنه في 18 ديسمبر 1951 وأثناء استمرار الكفاح في القناة، اجتمع محمد صلاح الدين بـ"أنطوني إيدن" وزير خارجية بريطانيا في ظل وزارة "ونستون تشرشل"[*]، عقد الاجتماع بباريس، ودام ساعة كاملة، غير أنه لم يخرج بنتيجة بسبب مساعي "أنطوني إيدن" لجعل مصر أكثر تساهلا للوصول إلى تسوية. بينما طلب صلاح الدين من الجانب البريطاني الكف عن عملياتهم في القناة وأن تكون المفاوضات على أساس الجلاء ووحدة مصر والسودان. وهكذا، يبدو أن هذا الإصرار على وحدة مصر، وجلاء القوات البريطانية فيها، ورفض مشروع الدفاع، رغم الضغوطات هو الذي أكسب الدكتور محمد صلاح الدين هذه الأهمية سواء بالنسبة لزدور إبراهيم القاسم بصفته طالبا وصحفيا، ومناضلا سياسيا، أو بالنسبة للشعب المصري الذي حسب ما قاله هذا الأخير "هو أحب الشخصيات السياسية المصرية إلى شعب مصر المناضل، ولا عجب فهو يعبر تمام التعبير عن هذا الجيل المتحفز إلى تحطيم أكبال الاستعمار، والمتطلع إلى حياة أعز وأسمى"[2].

ومن خلال تتبع نشاط هذه الشخصيات، ندرك مدى الدور الذي لعبته كل واحدة في مجالها وبلدها، وأهمية المواقف التي نادى بها كل من محمد مصدق بإيران، ومحمد علي جناح الذي يعود له الفضل في تشكيل دولة باكستان، ومحمد صلاح الدين الذي كان مفاوضا بارعا ودبلوماسيا محنكا. كما كان اهتمام زدور إبراهيم القاسم بنشاطاتهم ومواقفهم يدل على تطلعات هذا الطالب وآماله في تكوين دولة عربية إسلامية، مناهضة للاستعمار ومتحررة من قيود الغرب أيا كانت طبيعتها.

---

[1] زدور إبراهيم القاسم : "محمدون ثلاثة"، المنار، العدد 15، 1952/02/01.
[*] **ونستون تشرشل** كان رئيس وزراء بريطانيا.
[2] زدور إبراهيم القاسم : "محمدون ثلاثة"، المنار، العدد 15، 1952/02/01.

عنوان المقال : **"تطورات القضية المصرية"**

المنار : العدد 17 السنة الأولى

الجمعة 4 جمادى الثانية 1371هـ/ 29 فبراير 1952م.

يتطرق زدور إبراهيم القاسم في هذا المقال إلى المفاوضات التي كانت قائمة بين الحكومة البريطانية ومصر، على إثر معركة القناة التي خاضها الشعب بكل طبقاته وتشكيلاته وفئاته، وكانت مثالا رائعا للتضحية، حيث حارب فيها الشعب الأعزل من السلاح قوات مسلحة بأحدث معدات القتال. وتجلت بطولة الفدائيين في مهاجمة المعسكرات والمنشآت البريطانية في منطقة القناة، مما تردد صداه في صحف العالم، وكان من أقوى الدعايات لمصر ضد الاحتلال البريطاني[1]. وقد بلغت هذه المعركة أوجها في يناير 1952 بمهاجمة الفدائيين المصريين الحامية البريطانية "التل الكبير" وبنسفهم لمخزن الذخيرة[2]. وقد اعترفت الصحف الإنجليزية بأن المعركة كانت أخطر مما توقعه الإنجليز[3].

هكذا وبينما تصاعد الكفاح الوطني المسلح ضد القاعدة البريطانية، ظهر حدث آخر ذكره زدور إبراهيم القاسم في مقاله، وهو حريق القاهرة[4]. ورأى زدور إبراهيم القاسم أن موافقة بريطانيا على جلاء قواتها من مصر، على أنه حق من حقوقها، يعتبر اتجاها جديدا يسلكه البريطانيون اتجاه القضية المصرية. وذكر مجموعة من العوامل التي رأى أنها فرضت على بريطانيا – سواء من قريب أو بعيد – هذا الاتجاه في تسوية النزاع بينها وبين المصريين، والأسباب التي ذكرها زدور إبراهيم القاسم هي:

1/ "توتر الرأي العام في مصر": ويعود ذلك إلى قيام حزب الوفد بإلغاء معاهدة الحماية لسنة 1923 ومعاهدة 1936، وحتى اتفاقيتي 19 يناير و10 جوان 1899 الخاصة بإدارة السودان. وكان لهذا الإلغاء نتائج هامة في بعث الكفاح الوطني، وتقوية الروح المعنوية حيث تردد صداه في كل أنحاء العالم، ويعتبر أهم عمل قامت به حكومة الوفد. وأما عن أسباب اتخاذ هذه الأخيرة لهذه الخطوة فهي، أولا: حدوث تراجع للقضية المصرية خاصة بسبب

---

[1] الرافعي عبد الرحمن، مقدمات ثورة 23 جويلية 1952، ...، ص 21.
[2] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ...، ص 521.
[3] الرافعي عبد الرحمن، المرجع السابق، صص 86-87.
[4] رفاعي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 233.

مفاوضات "صدقي – بيفن"* سنة 1946، حيث كانت بريطانيا تسعى إلى إنشاء حلف بزعامتها يضم البلاد العربية وبلاد الشرق الأوسط عامة، كشرط على موافقتها على مبدأ الجلاء كإجراء لا مفر منه، لذلك كانت حريصة على أن تضمن في وقت السلم إبقاء قاعدة تكون نواة لقوة عسكرية في الشرق الأوسط، وركزت على أن تكون هذه القاعدة بمنطقة قناة السويس. كما أن بريطانيا أصرت على بقاء قواتها بمصر خاصة، وأن المسألة الفلسطينية لم تكن قد حلت بعد، لذلك لم يكتب لهذه المفاوضات النجاح بسبب عدم ثقة المصريين في البريطانيين، وعدم اشتراك الوفد في المفاوضات، وحرص بريطانيا على استمرار التحالف وتكوين لجنة دفاع مشتركة[1]. أما ثانيا: فهو تشدد الموقف البريطاني في المفاوضات التي تمت بين مارس 1950 وسبتمبر 1951. كما أن مفاوضي "الوفد" قدموا تنازلات[2] منها :

- تكوين مجلس دفاعي بريطاني- مصري مشترك يعترف بحق بريطانيا في إدخال قواتها في الوقت المناسب.
- المحافظة على القواعد البريطانية في مصر وصيانتها، والتعاون العسكري بين الجانبين.
- احترام الوضع القائم في السودان.

لأجل كل هذا لم تجد حكومة الوفد من بد سوى إعلان إلغاء هذه المعاهدة.

وقد اعتبر زدور إبراهيم القاسم هذا الحدث ضربة موجعة ضد النفوذ البريطاني، رغم محاولة كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وتركيا إيقاف هذا الإلغاء، وتقديمهم لعدة اقتراحات تقوم على أساس أن تقبل مصر سياسة الدفاع المشترك مع هذه الدول، وأن تكون حماية القناة منوطة لقوات دولية مشتركة فيها مصر إلى جانب كل من بريطانيا، استراليا، نيوزلندا وجنوب إفريقيا[3]، واستمرار الحكم البريطاني في السودان. غير أن مصر رفضت كل هذه المقترحات لأنها استمرار غير مباشر للحكم البريطاني فيها[4].

* هي مفاوضات تمت بين رئيس الوزراء المصري إسماعيل صدقي، ووزير خارجية بريطانيا بيفن ويقوم مكانه في المفاوضات وزير الطيران.
[1] عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص 519.
[2] محمد عدنان مراد، بريطانيا والعرب، ...، ص 411.
[3] رفاعي عبد العزيز، الديمقراطية والأحزاب، ...، ص 232.
[4] المرجع السابق، ص 233.

وهكذا فقد كانت هذه المقترحات شكل جديد لمعاهدة 1936، وتعني إبدال الحكم البريطاني باحتلال دولي تشترك فيه بريطانيا وحلفاؤها[1].

2/ أما السبب الثاني فيقول عنه زدور إبراهيم القاسم أنه "تواصل مقاومة كتائب التحرير في منطقة القناة وخشية استئناف نشاطها"[2]. وكتائب التحرير هذه تضم الفدائيين المصريين الذين سماهم الإنجليز بالإرهابيين[3]. وكانت هذه الكتائب تتلقى التدريبات في القاهرة، وكانت الخطة المتفق عليها هي نسف جميع معسكرات الجيش الإنجليزي في القناة في وقت واحد، وفي الوقت نفسه نسف الطريق إلى القاهرة، ولكن حريق هذه الأخيرة أدى إلى تأجيل هذه العمليات[4]. هذا علما أنه اشترك في هذه الكتائب شباب الجامعات، ولعل هذا ما زاد في حماس زدور إبراهيم القاسم وهو يعيش هذه الظروف في مصر.

خاصة وأن هؤلاء الشباب أقاموا الخيام والمعسكرات في حرم الجامعات للتدريبات العسكرية. وقد تمكن هؤلاء من نسف عدد من المنشآت في المعسكرات البريطانية وقطع المواصلات[5]، لذلك فقد اعتبر "زدور إبراهيم القاسم" أن نشاط هذه الكتائب قد ضغط على الحكومة البريطانية وجعلها تغيّر موقفها اتجاه القضية المصرية.

3/ أما السبب الثالث: في نظر "زدور إبراهيم القاسم" فكان "حوادث القاهرة الأخيرة"[6]. وقد جاء حريق القاهرة على إثر مذبحة الإسماعيلية التي وقعت يوم الجمعة 25 يناير 1952[7]، والتي أسفرت على قتل حوالي 50 رجلا من البوليس. وبوصول أخبار المجزرة إلى إلى القاهرة قامت الحكومة بعقد اجتماع غير عادٍ. وفي صباح اليوم التالي خرج عدد من قوات الجيش في مظاهرة توجهت إلى الأزهر، ثم ميدان العتبة الخضراء ومنه إلى ميدان الإسماعيلية، الجيزة، واتجهوا إلى جامعة فؤاد الأول التي كان زدور إبراهيم القاسم يزاول الدراسة بها، واختلطوا بالطلبة. وتواصلت المسيرة لتتحول المظاهرة إلى حوادث حرقت فيها

---

[1] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 29.
[2] زدور إبراهيم القاسم : "تطورات القضية المصرية"، المنار، العدد 17، بتاريخ 1952/02/29.
[3] عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص 522.
[4] طيبة (مصطفى)، مذكرات كمال الدين رفعت، حرب التحرير الوطنية، بين إلغاء معاهدة 1936 وإلغاء اتفاقية 1954، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968، ص ص 76 – 83.
[5] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 56.
[6] زدور إبراهيم القاسم : "تطورات القضية المصرية"، المنار، العدد 17، بتاريخ 1952/02/29.
[7] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 113.

أهم المنشآت، المحال العامة[1]...ولابد أن يكون هذا الحدث قد أثر في الطلبة الجزائريين بالقاهرة كباقي الطلبة هناك خاصة وأن المظاهرة كانت قد ضمت عدد كبير من الطلبة في صفوفها[2].

وقد رأى زدور إبراهيم القاسم في هول هذا الحدث وخطورته ما جعل بريطانيا تلجأ إلى محاولة إيجاد تسوية لهذه المشكلة.

4/ كما ذكر زدور إبراهيم القاسم أن "تمسك الحكومة الجديدة بنفس المطالب كان أيضا أحد هذه العوامل، خاصة وأن حزب الوفد قد فقد الكثير من مكانته ونفوذه في ظل الصراعات الداخلية، وتدخل الملك في السلطة، وأدركت حكومته أن بريطانيا تربط بين جلاء قواتها عن مصر وبين مشاركة هذه الأخيرة في حلف دفاعي مشترك يضم "مصر، بريطانيا، تركيا، فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية"، وهو ما عرف بمشروع "الدفاع الرباعي". لذلك رفضت حكومة الوفد المشروعات، ووافق البرلمان المصري بالإجماع على إلغاء معاهدة 1936 واتفاقيتي السودان مع بريطانيا، وأعلن أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر، وأصبح الملك يحمل لقب ملك مصر والسودان[3]، وذلك في 18 أكتوبر 1951[4].

5/ أما خامس عامل يدرجه "زدور إبراهيم القاسم" حسب نظرته للأحداث فهو "استنكار الرأي العام العالمي والشعوب الحرة إصرار البريطانيين على احتلال القناة رغم إرادة المصريين، وعلى سفك دماء أهالي القناة الأبرياء"[5]. وذلك بفضل وسائل الإعلام التي كان لها لها دور كبير في كشف الأساليب الاستعمارية خاصة في مواجهة الثوار في القناة والمعارك الضارية التي قامت هناك مثل معركة الإسماعيلية الأولى (16 أكتوبر 1951)، والثانية (7-18 نوفمبر 1951)، معركة بور سعيد (16 أكتوبر 1951)، معركة السويس الأولى (3 ديسمبر 1951)، والثانية (3-4 يناير 1952)، معركة التل الكبير (12-13 يناير 1952)، ثم مجزرة الإسماعيلية (25 يناير 1952)[6].

---

[1] المرجع نفسه، ص 119.
[2] المرجع نفسه، ص 113.
[3] مراد محمد عنان، المرجع نفسه، ص 412.
[4] رفاعي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 233.
[5] زدور إبراهيم القاسم: "تطورات القضية المصرية"، المنار، العدد 17، بتاريخ 1952/02/29.
[6] الرافعي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 79.

6/ كما أرجع زدور إبراهيم القاسم أيضا سبب استعداد بريطانيا للجلاء بعد مفاوضات جديدة إلى "الوساطة العربية والإسلامية التي قام بها كل من الملك السعودي عيد العزيز، والسيد نوري السعيد والسيد ظفر الله خان، لتقريب وجهتي النظر بين الطرفين"، فقد ظهرت محاولات لتهدئة الوضع بين الحكومة المصرية والسلطات البريطانية من طرف عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية، والسيد نوري السعيد والسيد محمد ظفر الله خان وزير خارجية باكستان، علما أن باكستان كانت حديثة الاستقلال. أما توري السعيد* (1888-1958) الذي حاول المشاركة أيضا في هذه الوساطة، فقد عرف في العالم العربي بحسن علاقاته مع الغرب[1]. وقد تطرق زدور إبراهيم القاسم لهذه الوساطة، وذكر أنه ربما يكون لها دور من قريب أو من بعيد في تقريب وجهات النظر بين الطرفين المصري والإنجليزي.

7/ ونواصل دائما استخراج عوامل انفراج الموقف المصري البريطاني في هذه السنة (1952)، حيث يذكر زدور إبراهيم القاسم أنه يعود إلى "ضغط الساسة الأمريكان على الحكومة البريطانية لإيجاد حل لهذه المشكلة التي وقفت حجرة عثرة في سبيل إقامة مشروع دفاعي يرمي لتأمين هذه الناحية من العالم والتي أصبحت بالنسبة للكتلة الغربية منطقة خطرة لابد من الإسراع لتحصينها[2]. ففي إطار الصراع بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي، دخلت المنطقة العربية ضمن مخططات أمريكا كمنطقة هامة يجب أن تخضع للنفوذ الأمريكي، ولا تقع تحت النفوذ السوفياتي. لذلك فقد استهدفت الإستراتيجية الأمريكية عندما كانت الحرب الباردة على أشدها جر البلدان العربية لإقامة الأحلاف معها. ولكن المخططات الأمريكية في هذا المجال قد فشلت بسبب عدم تمكن هذه الأخيرة من وضع الدول العربية وخاصة مصر، سوريا، العراق تحت نفوذها[3]، خاصة وأن بريطانيا كانت قد فشلت في تحقيق هدفها في إقامة مشروع الدفاع المشترك الذي عرضته على وزارة النحاس باشا، في عدة مناسبات (1950-1951). ثم عرضت مشروع الدفاع الرباعي الذي كان يضم الولايات المتحدة، فرنسا، تركيا، بريطانيا، لكن مصر رفضت هذه المشروعات[4].

---

* نوري السعيد: سياسي وعسكري عراقي، رئيس وزراء لفترات متعددة، شارك في تشكيل حلف بغداد، هو من مواليد 1888، وتوفي سنة 1958 في ثورة عبد الكريم قاسم بالعراق.

[1] محمد عدنان مراد، المرجع نفسه، ص 368.

[2] زدور إبراهيم القاسم، "تطورات القضية المصرية"، المنار، العدد 17، 1952/02/29.

[3] محمد عدنان مراد، المرجع نفسه، صص 412-413

[4] المرجع نفسه، ص 397.

وهكذا فقد وجدت بريطانيا نفسها تحت ضغط الأمريكان الذين تخوفوا من أن يمتد النفوذ السوفياتي في المنطقة وبدأوا بمطالبتها بحل سريع لهذه المشكلة.

8/ وقد ذكر زدور إبراهيم القاسم أيضا "أن هناك سببا قاهرا أقوى منها، هو فشل المشروع الرباعي للدفاع عن الشرق الأوسط فشلا ذريعا بسبب تصميم مصر في مطالبها الوطنية". فقد كانت بريطانيا وكما سبق ذكره، تسعى إلى ربط مصر بنوع من أنواع التحالف مع الغرب، وهو ما رفضته حكومة الثورة رفضا باتا[1]. ويواصل زدور إبراهيم القاسم "لقد كان هذا المشروع هو السلاح الوحيد في يد بريطانيا والحجة لوحيدة في أفواه ساستها وأحلافها الثلاثة، فحاولوا بكل وسيلة أن يرغموا مصر على التسليم به كأساس للمفاوضات المصرية البريطانية، لكن الحكومة المصرية وقفت شعبا وحكومة...واستطاعت أن تقضي في النهاية على مشروع الشرق الأوسط الذي تغلبت عليه روح الاستعمار المركب"[2].

كما تطرق زدور إبراهيم القاسم إلى الموقف الذي اتخذته حكومة دلهي بالهند حين أبلغت إنجلترا يوم 18 فبراير 1952 بأنها مستعدة للمشاركة في الدفاع عن القناة بمقتضى نظام يخضع لإشراف الأمم المتحدة، الأمر الذي أثار استنكارا واسعا في مصر. وقد أبدى زدور إبراهيم القاسم في المقال تعجبه اتجاه هذا الموقف لأن الهند كانت حديثة الاستقلال (1947)[3].

أشار صاحب المقال أيضا إلى مسألة الضمان الجماعي ومشروع الدفاع حيث ذكر مشروع "برشلونة" الذي انعقد في هذه السنة، للنظر في خطط الدفاع عن أوروبا، وتناول بالبحث مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط. ويذكر أن الاتصالات التي كانت قائمة بين نوري سعيد وبريطانيا نتج عنها موافقة هذه الأخيرة على أن يكون ميثاق الضمان الجماعي الذي أقامته الدول العربية فيما بينها – والذي كان الهدف منه وقف عدوان إسرائيل على أية دولة عربية – أساسا لتنظيم الدفاع في الشرق الأوسط. كما اشترطت أن يقتصر مجلس الدفاع المشترك على الدول التي يهمها الدفاع عن الشرق الأوسط. وقد توقع زدور إبراهيم القاسم أن

---

[1] عمر عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 530.
[2] زدور إبراهيم القاسم ، "تطورات القضية المصرية"، المنار، العدد 17 بتاريخ 1952/02/29.
[3] محمد عدنان مراد، المرجع نفسه، ص 392.

تكون مسألة ربط ميثاق الضمان الجماعي العربي بمشروع "أتشيسون ACHESON"[*] لحفظ السلم العالمي مع إمكانية إدخال تعديلات جوهرية على الميثاق، ليتحول الهدف منه إلى الدفاع عن الشرق الأوسط بشكل عام. هذا علما أن ميثاق الضمان الجماعي كان لا زال غير ساري المفعول، إذ اشترط أن يصادق عليه أربعة على الأقل من برلمانات الدول العربية، ولم يصادق عليه في ذلك الوقت إلا البرلمان المصري والسوري.

هكذا ومن خلال هذا المقال، نجد إلمام زدور إبراهيم القاسم بتطورات الأحداث في هذه الفترة، من أوضاع داخلية وخارجية. كما أن توقعاته كانت تقريبا صحيحة فيما يخص قضية الجلاء، إذ ذكر أن بريطانيا "أظهرت استعدادها للجلاء من منطقة القناة في مدة يتفق عليها الطرفان في المفاوضات المرجوة. وقد تكون هذه المدة سنة أو سنتين حسبما توجبه ظروف نقل القوات البريطانية إلى موضع قريب أو بعيد عن مصر"، حيث اقتنعت بريطانيا بعدم جدوى بقائها في مصر بعد انسحابها من الهند. وتم التوقيع على اتفاقية بريطانية مصرية سنة 1954[1] يتم بمقتضاها جلاء بريطانيا عن منطقة قناة السويس خلال 20 شهرا من تاريخ توقيع الاتفاقية. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسن رؤية زدور إبراهيم القاسم للأحداث والتطورات السياسية بصفته صحفي ملمٍّ بالتحولات العامة.

[*] **أتشيسون دين** Dean ACHESON (1893-1971) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية (1949-1953) حمل مع الرئيس ترومان مسؤولية الدبلوماسية الأمريكية فيما يتعلق بالحلف الأطلسي، ومعاهدة السلام مع اليابان،... ساهم في سنة 1947 في وضع سياسة ترومان القاضية بتقديم مساعدة إلى تركيا واليونان، الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، جI، ص 58.

[1] مراد محمد عدنان، بريطانيا والعرب، ...، ص 392.

عنوان المقال : **"زيارة ظفر الله خان لمصر"**

المنار : العدد 18 السنة الأولى

الجمعة 19 جمادى II 1371هـ/ 14 مارس 1952

ظهر هذا المقال في الصفحة الأولى للجريدة، واستكمل في الصفحة الرابعة. وقد ألحق زدور إبراهيم القاسم الجزء الأول من المقال بصورة ضمت عدد من الشخصيات السياسية المعروفة آنذاك ومنها الطيب سليم، الشاذلي مكي، علي بهلوان، ظفر الله خان، علال الفاسي، محمد أسد وعابد بوحافة. كما كان هو الآخر في هذه الصورة بين ظفر الله خان وعلال الفاسي، وقد وجدنا نفس الصورة في كتاب الرشيد إدريس "ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة" في ملحق الصور. أما الجزء الثاني من المقال، فقد ألحقه زدور إبراهيم القاسم بصورة تخطيطية باليد لظفر الله خان وزير خارجية باكستان.

وتطرق زدور إبراهيم القاسم في هذا المقال إلى الجولة التي قام بها ظفر الله خان إلى أنقرة، دمشق، بيروت، ثم القاهرة بمصر. وركز على علاقة هذه الزيارة بظروف مصر الحرجة في هذه المرحلة، حيث يقول: "جاءت الزيارة في ظرف أصبحت فيه القضية المصرية متوترة إلى حد كبير، وأصبح لهذه المشكلة أثر في سياسة الدول الغربية التي قلقت قيادتها للفراغ العسكري الذي طال أمده في الشرق الأوسط بسبب خيبة مشروع المقترحات الغربية"[1]. فقد رفضت كل من مصر، سوريا، لبنان، العراق، السعودية، اليمن والأردن تشكيل حلف عسكري بقيادة شرق أوسطية، كما رفضته أيضا بسبب ارتباطه بحلف شمال الأطلسي.

كما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى ملء الفراغ العسكري في هذه المنطقة خوفا من اتساع النفوذ السوفياتي بها[2]، خاصة وأنه عندما قدمت الحكومة المصرية طلبا لهيئة الأمم المتحدة بالتدخل لحل النزاع المصري البريطاني، ورغم أن مجلس الأمن الذي خصص عشر جلسات لدراسة هذا النزاع سنة 1947 لم يتخذ قرارا بخصوص هذه القضية. وقد وقفت

[1] زدور إبراهيم القاسم : "زيارة ظفر الله خان لمصر"، العدد 18، بتاريخ 1952/03/14.
[2] مراد محمد عدنان، بريطانيا والعرب، ...، ص 478.

الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب بريطانيا، ولم يؤيد مصر سوى الاتحاد السوفياتي (سابقا)، بولندا الشعبية وسوريا[1]، وهذا ما زاد من مخاوف الولايات المتحدة الأمريكية.

وذكر زدور إبراهيم القاسم في مقاله أنه وضعت حلول ومقترحات لهذا الفراغ والمتمثلة في إقامة منظمة للدفاع عن البلاد العربية والإسلامية وهذا هو سر زيارة وزير خارجية باكستان "ظفر الله خان" الذي كان يسعى إلى جعل بلده عضوا في هذا الحلف، وكان يرى "أن يكون الدفاع عن الشرق الأوسط من شأن منظمة إقليمية تقتصر على دول المنطقة التي تمتد إلى الشرق حتى تشمل باكستان وما يجاورها من الدول الإسلامية"[2]. كما أورد صاحب المقال ما صرح به ظفر الله خان في لقاء صحفي عقده بالقاهرة حيث قال : "إذا كتب لمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط أن ينفذ، فإنه لن يؤدي رسالته كاملة إلا إذا اشتركت فيه مع الدول العربية بعض الدول الشرقية الأخرى مثل باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا"[3].

غير أن هذه الأخيرة، وكما ذكر زدور إبراهيم القاسم، كانت تنفر من إقامة السياسة على عقيدة دينية، إلى جانب انضمامها إلى الحلف الأطلسي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كانت بريطانيا هي الأخرى تسعى إلى إيجاد أسلوب جديد لفرض نفوذها، فساعدت على تأسيس جامعة الدول العربية أملا في أن تكون تحت سيطرتها، وإقامة حلف عسكري معها. غير أن كل هذه المحاولات التي سعت لجر بلدان الجامعة العربية للدخول في ميثاق "سعد أباد"* باءت بالفشل. كما فشلت الدبلوماسية البريطانية في عقد معاهدات ثنائية مع دول المنطقة، وفي تشكيل الأحلاف الإقليمية تحت إشرافها الخاص[4].

كما تعرض زدور إبراهيم القاسم وبإسهاب لتصريحات ظفر الله خان في المؤتمر الصحفي الذي عقده بالقاهرة، والذي كان يركز على ضرورة الوحدة والتفاهم بين المسلمين، وعلى أهمية تطبيق ذلك على أرض الواقع. فقد صرح ظفر الله خان: "ليس لنا نحن، معشر المسلمين، أي غرض عدائي ضد أية أمة أو أمم، ولا نريد أكثر من العيش في حرية وكرامة والتطور في الاتجاه الذي نؤمن أنه الحق"[5]. ورغم هذا فقد تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية

---

[1] المرجع نفسه، ص 411.
[2] زدور إبراهيم القاسم : "زيارة ظفر الله خان لمصر"، العدد 18، بتاريخ 1952/03/14.
[3] المصدر نفسه.
* "ميثاق سعد أباد" تأسس سنة 1937 تحت وصاية بريطانيا.
[4] مراد محمد عدنان، المرجع نفسه، ص 478.
[5] زدور إبراهيم القاسم، المصدر نفسه.

من عقد الاتفاقيات الثنائية حول المساعدة العسكرية، ليظهر الحلف التركي الباكستاني، ثم حلف بغداد سنة 1955 الذي أصبح يعرف بمنطقة الدفاع عن الشرق الأوسط[1].

نستنتج من هذا المقال أن زدور إبراهيم القاسم كان قد حضر اللقاء الصحفي الذي عقده ظفر الله خان بالقاهرة، إلى جانب حضوره بمكتب المغرب العربي عند زيارة هذا الأخير له. هذا يعني أنه كان يتتبع كونه صحفيا تحركات ونشاطات الشخصيات السياسية بمصر.

---

[1] المرجع السابق، ص 479.

عنوان المقال : **"رسالة الشرق"**

المنار : العدد 06 السنة الثانية

الجمعة 12 شوال 1371هـ/ 04 جوان 1952م.

بدأ زدور إبراهيم القاسم مقاله بعنوان "علائم الخيبة"، حيث استهله بالحديث عن مؤتمر الدبلوماسيين الفرنسيين الذي انعقد بإسطنبول بتركيا، والذي ما كاد ينفض حتى حصلت القضية التونسية على تأييد كل من سوريا ولبنان، وتعرض إلى الدعوة التي قدمتها الكتلة العربية الآسيوية*. انعقدت جمعية عامة لهيئة الأمم المتحدة يتم فيها بحث القضية التونسية، وذلك بسبب تزايد الأوضاع سوءا بتونس نتيجة لقرار مجلس الأمن برفض إدراج القضية التونسية في جدول الأعمال. هذا علما أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وانتشار وعود تقرير المصير، ثم إنشاء الجامعة العربية سنة 1945، قام "الحبيب بورقيبة" بجولة إلى مصر، وعدد من البلدان العربية بهدف شرح القضية التونسية. وفي سنة 1946 نظم "حزب الدستور الجديد" مؤتمرا وطنيا عاما للمطالبة بالاستقلال والانضمام إلى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة[1]، لتبدأ محاولات طرح القضية التونسية على هذه الأخيرة، حيث توجه صالح بن يوسف** يوم 13 يناير 1952 إلى باريس التي كان يعقد فيها اجتماع هيئة الأمم المتحدة وقدم نص الشكوى التونسية، غير أن فرنسا ادعت أن الحزب الدستوري الجديد لم يحصل على توقيع الباي. لقد تميزت هذه المرحلة بالنشاط المكثف الذي قام به "صالح بن يوسف" في التعريف بالقضية التونسية عن طريق الاتصالات المكثفة بممثلي الأقطار العربية في القاهرة[2].

وفي 09 أبريل من السنة نفسها تم لقاء بين "صالح بن يوسف" والوزير الأول المصري، ورئيس ديوان الملك فاروق وزير العلاقات الخارجية المصرية، والأمين العام للجامعة العربية في إطار التنسيق العربي لمساعدة الشعب التونسي لرفع قضيته لهيئة الأمم المتحدة، وفعلا فقد أصبحت القضية التونسية محل اهتمام شعوب العالم. وكانت الأوساط الدولية

---

* الكتلة العربية الآسيوية : ظهر هذا التحالف نتيجة اجتماع هيئة الأمم المتحدة سنة 1952، ومما وثق الروابط بين أعضاء هذه الكتلة هو انشغالهم بقضيتي المغرب وتونس.

[1] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، ص 480.

** صالح بن يوسف : الأمين العام لحزب الدستور الجديد.

[2] الشابي منصف، "صالح بن يوسف"، حياة الكفاح، دار الأقواس للنشر، الطبعة I، 1990، ص 107.

تعترف بالصالح بن يوسف ناطقا باسم الحركة الوطنية التونسية رغم محاولة فرنسا الضغط عليه من خلال اتفاقيات سرية مع الملك فاروق. وفي 21 جوان 1952 أعلنت كل صحفها أن الملك سيحد من نشاطه، ولحسن الحظ أن مصر كانت تتعاطف مع الحركات الوطنية[1]. كما كان لثورة جويلية 1952 بمصر أثر في ازدياد تأثر "منصف باي تونس"* وكل المناضلين السياسيين بها نظرا للإنجازات التي حققتها.

هكذا، وبعدما كانت تونس قد فشلت في عرض قضيتها على هيئة الأمم المتحدة سنة 1951، نجحت بفضل الجهود المبذولة في إدراجها سنة 1952[2]، خاصة وأنه في صيف هذه السنة صدرت مذكرة حول القضية التونسية بإمضاء ثلاث عشرة دولة عربية وآسيوية تصف الأوضاع السياسية والأمنية في البلاد، وتطالب فرنسا برفع يدها عنها ومنح الشعب التونسي حق تقرير مصيره. ثم بادر العراق يوم 09 أوت 1952 بطلب تسجيل قضيتي تونس والمغرب الأقصى في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة[3]. لكن عدم مشاركة مندوب فرنسا في اجتماع الهيئة أدى إلى انتشار هيجان قومي كبير لتضطر فرنسا بعد ذلك إلى إصدار وعد صريح للباي بالاستقلال في عهد رئيس حكومتها الزعيم الاشتراكي "مانداس فرانس"، وعرف هذا التصريح بـ "تصريح قرطاجة"[4]. وقد اعتبر زدور إبراهيم القاسم أن مشاركة كل من سوريا ولبنان في تقديم هذا الطلب إلى سكرتارية هيئة الأمم المتحدة "يعتبر لطمة في وجه مؤتمر إسطنبول وضربة للعلاقات اللبنانية الفرنسية، ضربة لا ترضي الفرنسيين الذين عقدوا آمالا على الخطط التي أحكموها للدس بين الدول العربية ومحاولة عرقلة أعمال الجامعة العربية"[5].

وبعد الإشارة إلى هذه المبادرة السورية اللبنانية، عرج زدور إبراهيم القاسم إلى الحديث عن مؤتمر لندن الذي جمع المبعوثين الدبلوماسيين في الشرق الأوسط لبحث القضايا المتعلقة ببلاد الشرق، ولإيجاد حلول للأزمات التي زادت توترا. وقد شارك في هذا المؤتمر وزير الخارجية البريطاني وعدد من الأخصائيين في الشؤون العربية والشرقية إلى جانب رؤساء

---

[1] المرجع نفسه، ص 115.

* الباي محمد المنصف، ابن الباي الناصر، عين بايا جديدا على تونس بعد وفاة الباي أحمد في جوان 1942. قام بمبادرة هامة أثناء الحرب العالمية الثانية وهي إطلاق صراح المساجين السياسيين ومنهم الحبيب بورقيبة.

[2] قدورة زاهية، المرجع نفسه، ص 481.

[3] الشابي منصف، المرجع نفسه، ص 115.

[4] قدورة زاهية، المرجع نفسه، ص 481.

[5] زدور إبراهيم القاسم ، "رسالة الشرق"، المنار، العدد 06، بتاريخ 1952/06/04.

أركان الحرب البريطانيين لدراسة المسائل الإستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط، وبالخصوص فيما يتعلق ببقاء منطقة الشرق الأوسط خالية من أي نظام دفاعي، خاصة وأن هذه المرحلة قد تميزت بانتشار موجة التسلح في ظل انقسام العالم إلى معسكرين، لذلك فقد كانت الدول العربية من جهتها تسعى للخلاص من احتكار السلاح الذي فرضه الغرب على العرب. ولعل هذا ما جعل الدول العربية تسرع بالتوقيع على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي في 17 جوان 1950. ورغم أنها كانت نظرية أكثر منها عملية، إلا أنها كانت تهدف إلى تقوية الروابط وتوثيق التعاون بين دول الجامعة العربية[1]. كما أن الدول العربية كانت قد رفضت تشكيل حلف عسكري بقيادة شرق أوسطية مشتركة بسبب ارتباطه بالحلف الأطلسي[2]. وهذا ما جعل هؤلاء العسكريون وفي ظل "بقاء منطقة الشرق الأوسط خالية من أي نظام دفاعي...تحت الخطر مباشرة"[3].

وذكر زدور إبراهيم القاسم أن المؤتمرين تناولوا بالبحث سائر المشروعات والاقتراحات الخاصة بإنشاء نظام دفاعي لسد الفراغ العسكري الذي طال أمده في الشرق الاوسط. وقد ركز الدبلوماسيون على أهمية حل النزاع المصري البريطاني قبل أية خطوة، ذلك أن مصر "لابد أن تكون عاملا فعالا في إقامة أي نظام دفاعي"[4]، خاصة وأنها رفضت أي تسوية قبل التفاهم على منطقة القناة. كما ذكر أيضا "مصر متمسكة بموقفها، مصرة على رفض أي حلف عسكري ما لم تحقق مطالبها الوطنية بالجلاء ووحدة وادي النيل". وأضاف زدور إبراهيم القاسم أنه تم اقتراح جزيرة قبرص لتكون قاعدة لقيادة الشرق الأوسط.

وفي آخر المقال تطرق زدور إبراهيم القاسم إلى اجتماع الهيئة الصحية العالمية في دورتها الخامسة، حيث تم فيها دراسة موضوع إلحاق تونس ومراكش بالمكتب الإقليمي الأوروبي للهيئة بدلا من إلحاقه بالمكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، وهذا تنافيا مع الوضع الطبيعي لهذين البلدين العربيين. وذكر أنه بسبب ذلك قدّم وفد مصر قرارا لهذه الهيئة يتضمن وضع ضوابط ومقاييس لعملية الإلحاق. وعهد إلى اللجنة الإدارية والمالية والقانونية لدراسة الأمر، ففازت وجهة النظر المصرية رغم كل المحاولات الفرنسية لإسقاط هذا

[1] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، صص 462/460.
[2] محمد عدنان مراد، بريطانيا والعرب، ...، ص 478.
[3] زدور إبراهيم القاسم ، المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه.

القرار، ومع ذلك فقد طلبت فرنسا أن تضاف فقرة إلى القرار المصري تطلب بموجبها إلحاق تونس ومراكش بالمكتب الأوروبي بشكل مؤقت حتى تنتهي المباحثات الخاصة بقرار اللجنة التي قدّر لإنهائها سنة واحدة. وفعلا فقد تمكنت فرنسا بموجب هذا التعديل إلحاق تونس والمغرب بالمكتب الإقليمي الأوروبي للهيئة الصحية العالمية لمدة سنة تكريسا لسيطرتها على البلدين.

بيّن هذا المقال مدى إطلاع زدور إبراهيم القاسم على الأوضاع العربية بشكل عام، وهو يبيّن الروح القومية التي كان يتمتع بها، بحيث أن كل ما يحدث في العالم العربي والإسلامي يخص العرب والمسلمين معا بصفتهم كتلة واحدة.

عنوان المقال : **علال الفاسي يقول: "من الخير أن تعرض قضية الجزائر على هيئة الأمم"**

المنار : العدد 07 السنة الثانية

الجمعة 26 شوال 1371هـ/ 19 جوان 1952م.

يتناول زدور إبراهيم القاسم في هذا المقال نشاط "علال الفاسي" في إطار نضاله السياسي لصالح بلاده، ويتعرض لآرائه ومواقفه حول القضية وما ذكره في حديث سياسي لجريدة "الدعوة". وقبل الإحاطة بمضامين المقال، نعطي نبذة عن علال الفاسي.

هو سليل عائلة فاسية، تعود أصولها إلى الأندلس، وذات مكانة في فاس بفضل الوظائف التي تبوأها عدد من أفرادها. درس بجامع القرويين على يد عدد من الأساتذة الكبار أمثال "عبد السلام السرغيني" و"مولاي العربي العلوي" الذي سيعرف بمواقفه المناهضة لنظام الحماية. وقد شكل مع رفاقه الدارسين اتحادا وطنيا[1]، وبعدها شغل وظيفة معلم بالمدرسة الحرة الناصرية، التي كان لها دور فعال في شحن الشباب وتوعيتهم بخطورة الوجود الفرنسي، ليبدأ بعد ذلك بإلقاء المحاضرات بجامع القرويين، مع نشر مبادئ القومية ومثلها[2]. وبسبب نشاطه السياسي حرم من الحصول على شهادة العالمية سنة 1930، وهي لقب شرفي يقدم عند نهاية الدراسة بهذه الجامعة.

كما شارك علال الفاسي في تسيير جريدة "أم البنين" وساهم بكتابة عدة مقالات في "الشهاب"، التي كانت تصدر بقسنطينة برئاسة عبد الحميد بن باديس. وبعد صدور "الظهير البربري" سنة 1930* تم إلقاء القبض عليه ونفيه إلى تازة** لمدة أربعة أشهر. وبعد نهاية هذه العقوبة، توجه سنة 1933 إلى تيطوان أين عبر عن انتقاده لسياسة الحماية الاستعمارية الفرنسية والإسبانية، ليتوجه بعدها إلى فرنسا ثم إسبانيا. وأثناء تواجده بفرنسا سنة 1933 شارك في تحرير "مجلة المغرب" الصادرة باللغة الفرنسية. وبعد ستة أشهر عاد إلى المغرب أين استقبله الملك على إثر تشكيل "الكتلة الوطنية" التي كانت أولى خطوات تشكيل حزب

---

[1] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، ص 553.

[2] المرجع نفسه، ص 353.

* مرسوم سلطاني في المغرب، حيث أنشئ في المنطقة البربرية محاكم عرفية مكلفة ببحث الحق البربري القديم وبإخراج المحاكم غير العربية من دائرة التأثير المتعاظم للحق الإسلامي.

** تازة : تقع شمال فاس.

سياسي. غير أنه سرعان ما تم إلقاء القبض عليه ثانية في نوفمبر 1936، ليطلق سراحه بعد شهر من ذلك، كما منع نشاط الكتلة الوطنية.

وعلى إثر مشاركة علال الفاسي في مؤتمر "الحزب الوطني" الذي تم تأسيسه ومنع نشاط "الكتلة الوطنية" وتقديمه لخطاب ندد فيه بالحماية وما ينعكس عنها من مظالم على الشعب المغربي، ألقي عليه القبض يوم 25 أكتوبر 1937، ونقل إلى الصحراء، ثم إلى "الغابون" التي أمضى فيها تسع سنوات بعيدا عن النشاط السياسي المغربي.

وبوصول "إيريك لايون" كمقيم عام سنة 1946، وسعيا منه لتهدئة الأوضاع، تم إطلاق سراح علال الفاسي ليتوجه بعد سنة من ذلك إلى فرنسا ثم القاهرة، بهدف الدفاع عن القضية المغربية والتعريف بها، ليبقى بالقاهرة لمدة تسع سنوات إلى ما بعد حصول المغرب الأقصى على استقلاله[1].

وفي القاهرة، أصبح أحد مسيري لجنة تحرير المغرب العربي، أين لمع نجمه. وهناك احتك به زدور إبراهيم القاسم وأعجب بأفكاره وطريقة معالجته لقضية بلاده، وتفانيه في خدمتها. والصورة التي أرفقها زدور إبراهيم القاسم بمقاله في جريدة المنار، العدد 18 بتاريخ 14 مارس 1952 يظهر فيها علال الفاسي مشاركا في استقبال ظفر الله خان عند زيارته لمكتب المغرب العربي.

هذا وعلى إثر نفي سلطان المغرب "محمد الخامس" في 20 أوت 1953، فضح علال الفاسي هذه العملية من خلال إذاعة صوت العرب بالقاهرة، وأعلن ولاء كل العناصر الوطنية لمحمد الخامس[2]. كما كان علال الفاسي على اتصال بالمقاومين، وأصبح أمينا عاما للجنة تحرير المغرب العربي التي كانت برئاسة "عبد الكريم الخطابي".

في هذا المقال يتتبع زدور إبراهيم القاسم نشاط علال الفاسي الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة[3]، وذكر أنه سيسافر في رحلة إلى السويد ثم إلى الأمريكيتين. وكان الغرض من هذه الرحلة هو مواصلة الدعاية للقضية المغربية والتعريف بها، إلى جانب اهم هدف وهو "التعريف بالحالة القائمة والعمل على إقناع الدول المنظمة للأمم المتحدة بعدالة قضيتنا نظرا

---

[1] Julien (Charles André), Magali (Morsi), "ALLAL EL FASSI" HERAUT de l'indépendance Marocaine, in Les Africains, Tome 12, Edition Jeune Afrique, Paris, pp 45-54.

[2] يحي جلال، العالم العربي الحديث، ...، ص 617.

[3] زدور إبراهيم القاسم ، "علال الفاسي يقول..."، المنار، العدد 07، بتاريخ 1952/06/19.

لأن القضية المراكشية ستثار من جديد في الدورة المقبلة للأمم المتحدة"[1]. ذلك أنه في 4 أكتوبر 1951، طلب وزير خارجية مصر من الأمين العام للأمم المتحدة أن يضع على جدول أعمال الجمعية العمومية شكوى بخصوص نقض فرنسا لمبادئ الأمم المتحدة. وقد أيد هذا الطلب كل من العراق، لبنان، المملكة العربية السعودية، سوريا واليمن[2].

وفي آخر الاجتماع، قبلت اللجنة العامة اقتراح يقوم على توصية الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة بأن تؤجل وضع القضية المغربية على جدول الأعمال. وعندما وصلت المسألة إلى الجمعية العمومية، حاولت الدول العربية الحصول على قرار يعاكس ما أقرته اللجنة العامة، هذا علما أن فرنسا كانت قد حصلت على دعم الولايات المتحدة الأمريكية. كما أن عملية الاقتراع الخاصة بإدراج مشكلة المغرب في جدول الأعمال أسفرت على حصول الدول العربية على تأييد 28 صوتا ومعارضة 23 وامتناع سبعة عن التصويت[3]. وفعلا، فقد أكد علال الفاسي في تصريحه الذي أورده زدور إبراهيم القاسم المهاجي أن الدول العربية كلها تؤكد عزمها على المطالبة من جديد بدراسة الجمعية العامة للأمم المتحدة لقضية مراكش. ويواصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي ذكر تصريح علال الفاسي، حيث تطرق إلى مذكرة جلالة السلطان "محمد الخامس" للحكومة الفرنسية في "طنجة" 1947[4]، وذكر أن السلطان يطالب بتأليف حكومة حرة وطنية قبل الدخول في أية مفاوضات.

أما فيما يخص موقف علال الفاسي من القضية التونسية، فقد قال: "ليس في الإصلاحات المعروضة على تونس إلا ما يزيد الاستعمار متانة وقوة ورسوخا، ونحن لا نرضى بغير استقلال بلادنا ووحدة أرضينا"[5]. ذلك أنه في سنة 1946 نظم حزب الدستور الجديد مؤتمرا وطنيا عاما للمطالبة بالاستقلال التام والانضمام إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة. وقد شارك فيه حزب الدستور القديم والحديث، مندوب الاتحاد العام التونسي للشغل CGTT[*]، فقامت السلطات الفرنسية بالهجوم على المؤتمرين واعتقلتهم مما أدى إلى ظهور ثورة واضطراب شعبي كبير، فسعت السلطات الاستعمارية لتهدئة الأوضاع بإتباع أسلوب

---

[1] المصدر نفسه.
[2] لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نيقولا زيادة، مراجعة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، نيويورك، 1963، ص 442.
[3] لاندرو روم، المرجع نفسه، ص 443.
[4] أمين سمير، المغرب العربي الحديث، ...، ص 143.
[5] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، المصدر نفسه.
[*] تأسس الاتحاد العام التونسي للشغل في 20 يناير 1946.

اللين، فغيرت المقيم العام الفرنسي، وشكلت وزارة حيادية برئاسة "مصطفى الكعاك"، وتبعتها وزارة أخرى برئاسة "محمد شنيق" الذي تقدم إلى الحكومة الفرنسية بمطالب قوبلت بالرفض، فحاولت تونس عرض قضيتها على هيئة الأمم المتحدة سنة 1951[1]. أما هذه الإصلاحات فقد صدرت في 8 فبراير 1958، وكانت مخيبة للآمال، فبينما أسندت للتونسيين نصيبا أوفر من الوزارات والإدارات، نجدها قد أبقت على المراقبة التونسية ورفضت حق المواطنين في اختيار من يمثلهم تمثيلا حقيقيا. وبعد عدة مفاوضات، أرسلت مصالح الوزارة الخارجية الفرنسية يوم 15 ديسمبر 1951 مذكرة إلى الوزير "شنيق" تؤكد على مبدأ السيادة المزدوجة، وعلى إبقاء نوع من المراقبة الفرنسية على الحياة السياسية بالبلاد. لذلك وبسبب عدم جدوى هذه الإصلاحات، أكد "علال الفاسي" على مبدأ الاستقلال والوحدة.

بعدها تطرق "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" إلى حديث الزعيم المراكشي عن تهديد فرنسا بالانسحاب من هيئة الأمم المتحدة، إذا لم تكفّ أمريكا عن تأييد قضايا شمال إفريقيا، حيث ذكر هذا الأخير بأن هذا الإجراء لن يكون له تأثير كبير. علما أنه ابتداء من ربيع 1952 صرح الناطقون الرسميون وغير الرسميين باسم فرنسا أنها لن تهتم بأي قرار قد يصدر عن الجمعية العمومية بخصوص المغرب، وأن فرنسا لن تسمح لأي دولة أو منظمة أجنبية أن تتدخل في شؤونها الداخلية[2]. هذا بينما صرح المارشال جوان** أنه "إذا قررت الجمعية العمومية بحث المشكلة المغربية، فإن فرنسا ستكون مضطرة للتخلي عن منظمة حلف الأطلسي، وهيئة الأمم المتحدة. غير أن فرنسا لم تنسحب من أيّ من المنظمتين، لكنها رفضت مشاركة مندوبيها في مناقشة قضية المغرب[3]. كما عبر علال الفاسي – كما ذكر زدور إبراهيم القاسم المهاجي – عن إدراكه أنه لو اتخذت الأمم المتحدة قرارا يؤيد قضيتي تونس والمغرب، فإن ذلك سينفذ "ولكن اتخاذ قرار في صالحنا من الأمم المتحدة من شأنه أن يقيد قضية الحرية في العالم ويقوي كتلة الشعوب المكافحة ضد الاستعمار..." هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد ذكر علال الفاسي أن عرض القضية التونسية إلى جانب القضية المراكشية في اجتماع هيئة الأمم المتحدة سيزيد القضية ثقلا"، بل يرى أن عرض القضية

---

[1] قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ...، صص 480-481.
[2] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "علال الفاسي يقول"، المصدر نفسه.
** المارشال جوان كان مقيما عاما لتونس.
[3] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، المصدر نفسه.

الجزائرية أيضا سيكون له الأثر البالغ، حيث ستظهر مطالب شعوب شمال إفريقيا مرة واحدة، وأكد على ضرورة الاتحاد في العمل من أجل الحرية كما أبدى تأسفه عن عدم وجود أعمال مشتركة بين أحزاب الشمال الإفريقي[1]. ولعل هذا ما جعل "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" يهتم بتصريح علال الفاسي وخاصة فيما يتعلق بتدويل القضية الجزائرية.

وفي نهاية المقال ذكر "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" أن علال الفاسي بصدد التحضير لإثارة قضية مراكش في الدورة المقبلة لهيئة الأمم المتحدة. وفعلا فقد انعقدت الجمعية العمومية لأول مرة بنيويورك في خريف 1952، وكانت الدول العربية مصممة على أن تظهر القضية المغربية على جدول الاعمال، وقد شعرت الكتلة العربية الآسيوية بحقها في طلب عرض القضية المغربية للمناقشة لأن الواقع أظهر أنه لم يتم سنة 1952 أي شيء يدل على احتمال الوصول إلى حل كنتيجة لمفاوضات مباشرة بين الحكومة الفرنسية والسلطان[2]، ورغم أن الدول ذات المستعمرات (بلجيكا، بريطانيا، هولندا) أبدت رفض تدخل الأمم المتحدة في قضية المغرب، إلا أن أكثر الدول بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية كانت ضد هذا الموقف لذلك فقد وضعت القضية المغربية في جدول الأعمال[3]. وفعلا، فبعد هذه الجولة إلى الدول الإسكندنافية، ودول أمريكا اللاتينية، كان علال الفاسي أحد أعضاء الوفد المغربي الذي شارك في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة سنة 1952[4].

نجد من خلال هذا المقال أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان الصحفي البارع والذي كما ذكر خليل فتحي، يتعامل مع الأفكار والأخبار، وهو يريد لهذه الأفكار والأخبار أن تنتشر وتؤثر بالصيغة التي يراها صحيحة، لأن هذه الأفكار والأخبار تتحول بمجرد وصولها للقراء إلى قوة، ومفعولها يظل يؤثر مدة طويلة. لهذا فإن الصحافة مهنة ومسؤولية ورسالة ولأن الصحفي ينتج أفكارا وأخبارا له موقف منها ورأي في صيغتها التي تصل بها إلى الرأي العام وله هدف من هذا الوصول[5]. فزدور إبراهيم القاسم المهاجي كان قد احتك بعلال الفاسي، وخاصة فيما يتعلق بعرض القضية على هيئة الأمم المتحدة، الأمر الذي كان يرى فيه أفضل أسلوب للتعريف بالقضية خاصة.

[1] المصدر نفسه.
[2] لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ...، ص 444.
[3] لاندو روم، المرجع نفسه، ص 447.
[4] Julien (Charles André), Magali (Morsi), Opcit, p 50.
[5] خليل فتحي، حرية الصحافة والتنظيم النقابي للصحفيين، ...، ص 38.

عنوان المقال : **"الطلبة الجزائريون يبدون آراءهم في قضية الاتحاد الوطني"**

المنار: العدد 42 السنة الثالثة

الجمعة 24 شعبان 1372هـ/ 08 ماي 1953

المقال يدخل في إطار مساعي "المنار" لدفع فكرة الاتحاد ونشرها. وهذا الاستفتاء هو الأول من نوعه في الصحافة العربية الجزائرية. والموضوع الذي تطرحه المنار في هذا العدد من أهم المسائل الحيوية للجزائر وهو "الاتحاد" الذي يدعو له، والذي لم يتحقق رغم الاتفاق العام على ضرورته ووجوبه. فإذا كان الاتحاد ضروريا وواجبا، يتساءل "محمود بوزوزو" صاحب الفكرة، فلماذا لا يتحقق؟ أليس ذلك في الإمكان؟ وعلى أي أساس يبنى الاتحاد؟ فإن وقع الاتفاق على أساس معين فما هي الوسائل لجمع الكلمة حول تنفيذه؟ كان هذا موضوع الاستفتاء الذي قامت به المنار والذي ظهر لأول مرة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية[1]. وقد شارك في هذا الاستفتاء عدة شخصيات جزائرية، منها الشيخ العربي التبسي، أحمد توفيق المدني، الطيب العقبي، محمد قنانش، الطيب المهاجي، عبد الرحمن بن العقون وغيرهم.

وقد عالجت المنار قضية الاتحاد باعتبارها قضية إنسانية عادلة، نظرا لارتباطها بقضيتي القطرين الشقيقين تونس والمغرب اللذين تربطهما بالجزائر وحدة جغرافية وإستراتيجية يستغلها الخصم، زيادة على الوحدة الدينية والجنسية واللغوية. لذلك كان لزاما عليها توحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة للقضاء على الاستعمار الغاشم، ثم توطيد التعاون وحسن الجوار ليس بين دول المغرب فحسب، بل وبين العالم العربي والإسلامي[2].

وقد تضمن هذا المقال آراء مجموعة من الطلبة الجزائريين في الاتحاد، فبينما بدأ زدور إبراهيم القاسم المهاجي مقاله بتساؤل طرحه : "هل الاتحاد ممكن؟ منطقيا لا أرى هناك أي استحالة، ومثاليا أرى ذلك واجبا، وعمليا هنا المشكلة". وذكر أن الاتحاد ممكن إن كان هناك شعب يريده، وذكر أن كل هيئة في الجزائر توجد آلات استعمارية تنخر عظام الأمة وهي سبب الشقاق. فالاتحاد ممكن إن نحن استغنينا عن تلك "الآلات التي استعملت في الاجتماعات

---

[1] بوزوزو محمود، "استفتاء هام في قضية الاتحاد"، المنار، العدد 17، بتاريخ 06 فبراير 1953.
[2] بوزوزو محمود، "المنار تستمر في أداء رسالتها"، المنار، العدد 20، بتاريخ 27 مارس 1953.

السابقة، واستبدال غيرها من أعضاء مخلصين مجدّين يكونون هم الأدوات في الاجتماع التمهيدي للاتحاد[1]. كما دعى "مولود قاسم نايت بلقاسم" السيد "محمود بوزوزو" إلى عقد مؤتمر عام يضم أهم الشخصيات في الجزائر تكون غايته الجزائر جزائرية. ويختتم مقاله قائلا: "فالاتحاد ممكن وواجب وأساسه توزيع الوظائف وتقسيم العمل للاستقلال ووسيلة الاجتماع الذي يدعو إليه بوزوزو أهم عناصر الأمة"[2].

ونجد "عثمان سعدي" الذي كان ببغداد يقول: "أن الاتحاد في الجزائر لا يمكن إلا إذا تجردنا من ذواتنا الفردية ورمينا المصالح الشخصية جانبا، وخنقنا أهواءنا وشهواتنا المادية في مهدها وعملنا بدافع من غريزة الوطنية الصادقة إلى تحقيق غاية واحدة وهي تحقيق السعادة للمجتمع الجزائري". وذكر في آخر مقاله أن فكرته في الاتحاد تتلخص في هذه المعادلة : "تمهيد للاتحاد + عمل إيجابي في سبيل تحقيقه = اتحادا متغلغلا في أعماق كل فرد جزائري"[3].

أما من جهته، فقد ذكر "علي الجزائري" الذي كان ببغداد أيضا أن "عدم اتحاد الجزائريين هو الذي أخّر قضية الجزائر وجعلها في المؤخرة بالمقارنة مع تونس والمغرب، وذكر أن الاتحاد هو الخطوة الأولى لبناء الاستقلال الجزائري"[4].

أما "محمد شيوخ" الذي كان هو الآخر أحد الطلبة الجزائريين ببغداد، فقد أكد أن الاتحاد ممكن وضرورة حتمية نتيجة للصراع القائم بين الأحزاب، وهو واجب لكونه يخلق الشخصية الجزائرية "التي لا نراها ولا نسمع عنها في الشرق ولا في الغرب...". وختم مقاله بوسائل تحقيق هذا الاتحاد، وهي :

- اجتماع الأحزاب والمختارين من المنظمات الأخرى.
- يحاول هؤلاء إقناع مسيري الأحزاب بوجوب إخضاعهم لدستور عام شامل.
- يعقد مؤتمر عام تبسط فيه المشاكل ويعرض فيه البرنامج وتنتخب الهيئة العليا[5].

أما فيما يخص زدور إبراهيم القاسم المهاجي فقد استهل مقاله بـ "...يكفي دليلا على ضرورته ما تعيش فيه بلادنا من وضع شاذ وظروف عاتية وحسبنا برهانا على أهميته أنه لا

---

[1] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "الطلبة الجزائريون..."، المنار، العدد 42 بتاريخ 1953/09/08.
[2] نايت بلقاسم مولود قاسم، "الطلبة الجزائريون..."، المنار، المصدر نفسه، التاريخ نفسه.
[3] عثمان سعدي، "الطلبة الجزائريون..."، المنار، نفس المصدر، نفس التاريخ.
[4] علي الجزائري، "الطلبة الجزائريون..."، المنار، نفس المصدر، نفس التاريخ.
[5] شيوخ محمد، "الطلبة الجزائريون..."، المنار، نفس المصدر، نفس التاريخ.

يرضي المستعمرين". وواصل قائلا أن الاتحاد من لوازم حب الوطن، والإيمان بأن للجزائر كرامة ولأمتها شرفا أصيلا ولشعبها تاريخا مجيدا. ثم بدأ بتحليل الموضوع بدءا بعرض أسس الاتحاد وهي أصل المشكلة والمتمثل في:

1- الاستعمار الذي خضع له الشعب الجزائري والذي أفقده حريته وسيادته ووقع بين أنياب دولة لا تربط بينه وبينها أية علاقة.
2- استمرار العدوان المسلح الذي توج بأحداث ماي 1945 وأحداث أخرى.
3- إدعاء فرنسا بأن الجزائر فرنسية وأنها من أوروبا، وقد ركز زدور إبراهيم القاسم المهاجي على رفض الشعب الجزائري لهذا الإدعاء "فكل جزائري معتز بجزائريته، فخور بعروبته، شامخ بإسلامه".
4- سياسة الاستيطان التي ركزت على تشجيع الهجرة الأوروبية والتي أدت إلى تأسيس مراكز الاستعمار في الساحل وفي سهول متيجة، وهران، عنابة، سكيكدة. وبلغ عدد الأوروبيين بالجزائر سنة 1846 حوالي 48 ألف فرنسي و 62 ألفا من جنسيات أوروبية مختلفة، ليرتفع هذا العدد سنة 1911 إلى 752 ألف فرنسي 189 ألف أجنبي[1]. وبالمقابل فقد عملت السلطات الفرنسية على القضاء على العنصر الجزائري إما بالإبادة الجماعية وخاصة فيما يتعلق بالثوار وعائلاتهم والقبائل المناصرة لهم، أو بالضغط بمختلف أنواعه والذي كانت نتيجته ظهور الهجرة نحو أوروبا والبلاد الإسلامية. ولعل أهم أسباب ظهور الهجرة :
   - سياسة التقتيل والتشريد.
   - مصادرة الأراضي والممتلكات.
   - محاولة السلطات الفرنسية تطبيق سياسة التجنيس.
   - سياسة التجنيد الإجباري التي أدت إلى نزوح مئات العائلات[2].

هذا وتبين الإحصائيات الرسمية الصادرة عن الولاية العامة أنه خلال قرن من الاستيطان الرسمي، أشرف النظام الفرنسي على بناء 928 قرية استيطانية[3].

---

[1] الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، ...، صص 24/23.
[2] بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، ...، ج 1، ص 47.
[3] زوزو عبد الحميد، الهجرة ودورها ...، ...، ص 39.

كما تطرق "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" لقضية استغلال قوات الأطلسي للجزائر بجعل أراضيها مراكز لجنودهم، ومن ثرواتها غذاءً لجيوشهم ومن أبنائها طعمة لنيران حربهم. فقد كان للإنزال الإنجليزي والأمريكي في منطقة الشمال الإفريقي أثره الإستراتيجي لما يتميز به موقع المنطقة من أهمية كان لها أثرها الواضح في سير المعارك البرية والبحرية والجوية[1]. وهكذا أصبحت الجزائر منذ يوم 8 نوفمبر 1942 أما واجب تقديم المال والرجال لخدمة الحلفاء[2]. هذا إلى جانب التجنيد الإجباري الذي جعل الشباب الجزائري في مقدمة المعارك : "وقود الحرب". ورغم رفض الجزائريين لهذا التجنيد، إلا أنه أصبح ومنذ فبراير 1912 قرارا إجباريا بصفة الجزائريين رعايا فرنسيين[3].

أما وسائل الاتحاد، فقد حددها زدور إبراهيم القاسم المهاجي كما يلي :

1/ عقد كل هيئة جزائرية مؤتمرا خاصا بها يجمع قادتها، ويقرر هذا المؤتمر المطالب التالية:

أ- حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

ب- انتخاب جمعية تأسيسية جزائرية ذات سيادة كاملة، يكون الانتخاب فيها حرا وتحت إشراف مجلس الأمن.

ج- تقديم احتجاج لهيئة الأمم المتحدة على إدخال الجزائر في الحلف الأطلسي باعتبارها مقاطعة فرنسية.

د- السعي للحصول على عطف ودعم الرأي العام العالمي.

ه- السعي نحو طرح القضية الجزائرية في جلسات اجتماعات هيئة الأمم المتحدة.

و- الإعلان الرسمي لهذه القرارات بواسطة الصحف على لسان زعماء الهيئات.

2/ وبعد عقد هذا المؤتمر واتخاذ كل هيئة لهذه القرارات وإعلانها إياها يتم تشكيل لجنة تنفيذية موحدة تضم مسؤولي الهيئات، تكون مهمتها وضع خطط العمل لتنفيذ القرارات المقدمة[4].

---

[1] رخيلة عامر، 08 ماي 1945، نفس المرجع، ص 36.

[2] بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، ...، ج 2، ص 235.

[3] المرجع السابق، ج1، ص 33.

[4] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "الطلبة الجزائريون..."، المصدر نفسه.

ومن هنا نلاحظ أن اقتراح زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان منهجيا وهادفا، ومركزا على إعلام الشعب بحيثيات النشاط السياسي، وعلى ضرورة تنسيق العمل وتوحيده. وما تجدر الإشارة إليه هو أن "الطيب المهاجي" كان قد شارك في هذا الاستفتاء بمقال بعنوان: "لنكتفي بالانتماء للإسلام والانتساب للوطن"، حيث يقول: "إن اتحاد الأمة ليس هو ممكنا لم يقع بعد بل هو أمر واقع مرتكز في النفوس ومقرر في الأذهان...والذي يعوق تحققه خارجا طبق ما في الأذهان ويحرم الأمة من استثماره هو الانتماء للأحزاب والتحيز إلى الفئات والتشيع للطوائف والتفاني في تقديس الأشخاص..."[1]. هذا علما أن الطيب المهاجي قد شارك في الاستفتاء قبل زدور إبراهيم القاسم المهاجي، الأول شارك برأيه يوم 27 مارس 1953، والثاني يوم 8 ماي 1953.

[1] المهاجي الطيب، "لنكتفي بالانتماء للإسلام والانتساب للوطن"، المنار، العدد 20، بتاريخ 27 مارس 1953.

التقييم والتعليق على المقالات

من خلال دراسة وتحليل كل هذه المقالات نجد أن تفكير ومستوى زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد تطور وتبلور، كما تقوى شعوره الوطني أثناء تواجده بتونس أولا ثم بمصر ثانيا، وذلك بعد خروجه من الجزائر سنة 1946 طالبا للعلم. فقد ساعده ذلك على الاحتكاك بعدد كبير من الشخصيات السياسية والثقافية التي كان لها الأثر البالغ في تكوينه، فقد احتك بالطلبة المناضلين في جمعية الطلبة الجزائريين بتونس، ونشط إلى جانبهم. ثم في إطار "مكتب المغرب العربي" الذي جمع نخبة الحركة الوطنية المغربية، التونسية والجزائرية، فتشبع بأفكارهم الساعية إلى ترقية أوطانهم وتخليصها من براثن الاستعمار، وزاد هناك اهتمامه بطلب العلم مقتنعا أنه سلاح المواجهة.

كما نجده قد اهتم بالثقافة الحية التي مكنته من التعرف على قضايا مجتمعه خاصة، والمجتمعات العربية والإسلامية الأخرى عامة. فكانت مقالاته تدل على اهتمامه أثناء دراسته بالتطورات السياسية والأحداث الدولية، إلى جانب اتساع إطلاعه لما يجد في الكتب من مادة تثقيفية خصبة ساهمت في نضجه الثقافي ووعيه السياسي وتحليله للأمور والقضايا. كما بلورت تفيكره الثوري الذي ظهر أثره في مقالاته.

وفي هذا الصدد ندرج ما ذكره "الشيخ الطيب المهاجي" عن الكتب التي أحضرها زدور إبراهيم القاسم المهاجي معه من القاهرة : "...وعاد من فوره يحمل علما نافعا ومعارف واسعة، جالبا معه كمية كبيرة من الكتب في علوم مختلفة جلها في علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم الطبيعية بالعربية والإنجليزية والفرنسية." ويواصل قائلا: "ومنذ ذلك الوقت بقيت تلك الكتب في زوايا الإهمال، فقد نسجت عليها العنكبوت وأكلت أكثرها الأرضة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وكان قد نظم لهذه الكتب مكتبا خاصا ورتبها كل فن على حدا، وعليه أرقامه الخاصة به، ثم جهز هذا المكتب بأدوات الكتابة وآلة الطباعة واعتكف فيه على المطالعة والكتابة..."[1].

[1] المهاجي الطيب، "أنفس الذخائر وأطيب المآثر..."، صص 106/105.

وقد تميزت مقالات زدور إبراهيم القاسم المهاجي بغزارة معلوماتها من حيث إحاطتها بالمواضيع المعالجة، وقوة اسلوبها من حيث البلاغة وشدة التأثير في القارئ، ثم سلاسة أسلوبها وبساطته. هذا وقد تضمنت مقالاته تحليلاته الخاصة حول المواضيع المعالجة وآراءه فيها.

هذا علما أن النشاط الطلابي وحتى نشاط الطلاب كان يربط في سنوات الحرب العالمية الثانية بين القضايا السياسية الإقليمية وبين قضية العروبة ووحدتها. وتكون فكرة العروبة قد تواصلت في ظل تواصل الوجود الاستعماري وسعي هؤلاء للتخلص من قيود الاستعمار، وتحقيق الاستقلال إلى ما بعد نهاية الحرب والسنوات التي تلتها والتي زاد فيها نشاط الحركات الوطنية[1].

أما فيما يتعلق بمناهضة الاستعمار ورفض زدور إبراهيم القاسم المهاجي الخضوع له وللوضع القائم، فنجده يقول مثلا: "...ولكن الأمة المصرية وقفت شعبا وحكومة وثبتت أمام كل ضغط واستطاعت بثباتها أن تقضي في النهاية على مشروع الشرق الأوسط الذي تغلبت عليه روح الاستعمار المركب..."[2]. وقوله: "ولا عجب فهو (الوزير المصري محمد صلاح الدين) يعبر تمام التعبير عن هذا الجيل المتحفز إلى تحطيم أكبال الاستعمار المتطلع إلى حياة أعز وأسمى"[3].

كما وجدناه يعارض الاستيطان الفرنسي بالجزائر وتبعاته، إذ يقول: "وأمامنا أخيرا سياسة شيطانية ترمي إلى إبادة العنصر الجزائري في بلاد الجزائر، وإحلال العنصر الأوروبي محله"[4]. هذا إلى جانب خاصية أخرى في مقالاته وهي تركيزه على العروبة والإسلام، إذ يقول مثلا: "وهو (الوزير المصري صلاح الدين) للجامعة العربية مرشد حكيم ولسياسة العروبة زعيم مقدام"[5].

ولعل أهم ملاحظة تستنبط من هذه المقالات، هي أنها كلها كانت تركز وتشير من قريب أو بعيد لقضية الاتحاد والتعاون، حيث كتب زدور إبراهيم القاسم المهاجي: "وكيف لا تتحد أمة غلبت على أمرها وفقدت حريتها وضاعت منها سيادتها وسقطت رايتها...ولم يبق لسلامة

---

[1] يحي جلال، "العالم العربي الحديث"، ...، ص 525.
[2] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "تطورات القضية الفلسطينية"، المصدر نفسه.
[3] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "محمدون ثلاثة"، المصدر نفسه.
[4] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "الطلبة الجزائريون يبدون آراءهم في قضية الاتحاد"، المصدر نفسه.
[5] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "محمدون ثلاثة"، المصدر نفسه.

كرامتها سوى مقاومة الغزاة..."[1]. وكتب أيضا: "...إن هؤلاء الرجال الثلاثة* صدى الأمة الإسلامية في نهضتها المباركة، فقد رسموا بكفاحهم وإقدامهم صراطا سويا، وأناروا سبيلا واضحا في نهايته عزة الشعوب الإسلامية ومجد الإسلام"[2]. وقوله أيضا: "وكان الطلبة الجزائريون حريصين على أن تكون مشاركتهم في المظاهرة رمزا حيا لتأييد الجزائر قاطبة لمصر الشقيقة المجاهدة، فاجتهدوا في أن يظهروا شعب الجزائر بمظهر التكتل والقوة والنشاط"[3].

وهكذا فقد تأثر زدور إبراهيم القاسم المهاجي كباقي شباب حقبة الخمسينيات من القرن العشرين بفكرة الوحدة التي قال عنها "شكيب أرسلان" في كتابه "حاضر العالم الإسلامي": "الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي"[4]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد وجدناه يتتبع نشاط "ظفر الله خان" وزير خارجية باكستان وسعي هذا الأخير إلى إقامة حلف دفاعي عن الشرق الأوسط يكون منوطا بمنطقة إقليمية تقتصر على دول المنطقة التي تمتد إلى الشرق حتى تشمل باكستان وما جاورها من الدول الإسلامية[5]. ويبدو من خلال ذلك أنه كان يؤكد موقف "جمال الدين الأفغاني" الذي رفض التناقض المزعوم بين الإسلام والقوميات، وكان يرى أن نضج الفكر القومي لا يعني إدارة الظهر للتضامن الإسلامي ولا الرفض للجامعة الإسلامية والخلافة الإسلامية[6].

وفي ظل ظهور الحركات التحررية، وتزايد نشاط الحركة الوطنية سواء في تونس، المغرب أو الجزائر، أصبح لا يهم الشعوب العربية سوى التوفيق بين شعورين هما الوطنية والوحدة سواء كانت عربية أو إسلامية. وهو ما نلمسه من شعور لدى "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" الذي عاصر انتشار وتبلور هذه الأفكار. أما "علال الفاسي"، الذي كان قد التقى بزدور إبراهيم القاسم المهاجي في القاهرة، واحتكا ببعضهما في إطار نشاطهما في مكتب المغرب العربي، فقد كانت الوطنية في نظره تعني العمل لتحرير الوطن، والتحرير السياسي

[1] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "الطلبة الجزائريون..."، المصدر نفسه.
* محمد مصدق، محمد صلاح الدين، محمد علي جناح.
[2] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "محمدون ثلاثة"، المصدر نفسه.
[3] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء"، المصدر نفسه.
[4] بن سلامة بشير، "النظرية التاريخية في الكفاح التحرري التونسي"، ج 1، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1977، ص 49.
[5] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، "زيارة ظفر الله خان لمصر"، المصدر نفسه.
[6] بن سلامة بشير، المرجع نفسه، ص 51.

من الاستعمار الفكري، وهي جهاد لا ينتهي بالاستقلال، وهي لا تعارض عنده الإسلامية لأن الوطن عنده لن يكون له مفهوم حقيقي إلا في ظل الإسلامية. ولهذا فإن مفهوم الوطنية عند "علال الفاسي" هو امتداد لهذه القيم المتداخلة التي نادى بها المصلحون في أوائل هذا القرن[1]. وبما أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان قد تأثر بالاتجاه الإصلاحي، وأهداف مشايخه، وتشبع بها ووجد فيها وسيلة لحماية الشخصية العربية الإسلامية من الاضمحلال فإنه يكون مؤيدا وبالشكل القليل لمواقف "علال الفاسي" وآرائه حول الوطنية. ومما زاد في بعث الوعي القومي وبلورته هو الحركات التحررية التي كانت تلهب نفوس الشباب خاصة، وتجعل منهم كل في إطاره يسعى للتخلص من الاستعمار بكل أشكاله. وهكذا تكون الحركة الوطنية قد أضفت مفهوما عصريا للوطنية باعتبار أن الوطن هو هذه المجموعة التي تكون واعية بالخصائص التي تميزها عن غيرها مهما كانت الأسباب، والتي لا ترضى بحكم الأجانب وتطالب بدولة ذات سيادة خاصة بها[2].

وفي الأخير نقول أنه بالنسبة لثقافة زدور إبراهيم القاسم المهاجي، ومستواه الفكري والأدبي لا من حيث تنوع معلوماته أو كثرة وقوة مفرداته، ولا جمال أسلوبه ومدى تمكنه من اللغة، فقد كان ملما بأسرار اللغة العربية، وبالأحداث التاريخية، الأمر الذي جعل مقالاته تلقى إقبالا وبالتالي إمكانية تحقيق أهدافه التي كان يسعى إليها مثل نشر فكرة التعاون والوحدة ونبذ الاستعمار بكل أشكاله.

[1] بن سلامة بشير، المرجع نفسه، ص 51.
[2] المرجع نفسه، صص 53-55

تجربة زدور إبراهيم القاسم المهاجي الشعرية

1/ قصيدة زدور إبراهيم القاسم المهاجي :

حصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي عند نهاية دراسته بمصر على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وكان قد تحصل من والده على تكوين جيد في اللغة العربية وقواعدها، وهذا بفضل مطالعاته الأدبية المتنوعة، فقد ارتقى مستواه الأدبي مما خول له الكتابة في هذا المجال.

وسنحاول هنا دراسة قصيدة شعرية كتبها زدور إبراهيم القاسم المهاجي يوم 25 سبتمبر 1945[1] إلى أحد أفراد عائلته الحاج المختار[*] الذي كان مثله الأعلى في الشخصية الوطنية والدعوة إلى الحرية السياسية ومقاومة الاستبداد والفساد إلى جانب الخلق القوي والكرم وحسن الضيافة[2].

وقبل دراسة القصيدة، نعطي نبذة عن الأدب والشعر.

والأدب من "أدب" ويقصد به لغة الطعام ومن ذلك قولنا "مأدبة"، والأدب اصطلاحا فن رائع وبديع، وهو تعبير عن تجربة شعورية أو موقف أو عاطفة أو حال يمر بها الأديب. والأدب قسمان: شعر ونثر.

- أما النثر فكلام مرسل من غير وزن أو قافية ومن فروعه: الخطابة، الوصية، الأمثال، الحكم، القصص، الروايات.
- أما الشعر فإنه كلام موزون مقفى، وفيه أنواع وأغراض أيضا، فهناك الشعر الملحمي، الغنائي الوجداني، المسرحي، القصصي...

ولأن المثل يقول "الأديب ابن بيئته" فإننا في قصيدة زدور إبراهيم القاسم المهاجي هذه سنرى تحقيقا لهذا المثل، فالشاعر هاهنا يتحدث عن وضعه ومحيطه وكلما يتعلق به معرفا بذلك شخصيته الشاعرة والتي تحمل في ثناياها الشخصية الكفاحية، وما ذلك إلا دليل على حيازته على ملكة فنية شعرية قل نظيرها في الأدب الجزائري وخاصة في فترة الاستعمار

---

[1] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، قصيدة كتب عليها تاريخ 1949/09/25.

[*] الشيخ المختار هو أخ "السي عبد القادر" الذي كان إماما بجامع الترك بسيدي الهواري (مسجد الباشا حاليا)، وذلك حسب شهادة زدور محمد بتاريخ 2006/06/11.

[2] المهاجي قدور عمار، "الشهيد الأديب زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، الجمهورية، 2002/06/19.

التي جعلت العقول راكدة في محاولاتها الساعية لطمس مقومات الأمة. وهي محاولة صادقة منه لترجمة مشاعره الدفينة ونقلها من مجرد مشاعر إلى واقع مرير، واقع الحزن والغبن والهجران الذي يكابده بعيدا عن وطنه وأهله.

<u>تحليل قصيدة زدور إبراهيم القاسم المهاجي</u> :

القصيدة نادرة للشهيد زدور إبراهيم القاسم المهاجي ندرة أمثاله من الشهداء الصادقين. فالشاعر مكتوٍ بحرقة ليست حرقة الحب لمحبوبة يذكرها قلبه، ولا حب للدنيا، إنما هي حرقة الحزن على الوطن الذي آل إلى الحضيض بوجود الاستعمار، ولكن ما يمني نفسه هو تلك الثورة العارمة على المستعمر الغاشم، وكل ذلك عبر عنه الشاعر بطريق "الرمز"، فـ"ساكن القلب" هو الحزن، والدموع التي تفرج بعض همه هي روح الثورة.

والشاعر مقلد للقصيدة العربية القديمة في ألفاظه التي استعملها مثل "القِرى" ويقصد بها الضيافة، و"ديار" وهي لفظة تدل على القبيلة وتجمعاتها، الديّم، سربال، متقصم، وأغلبها مفردات قديمة العهد بنا. كما أنه حافظ على الوزن والقافية معتمدا على الروي ذاته. فأما الوزن فإن القصيدة من بحر البسيط*، وهذا ما يلائم أغراض بث الهموم والشكوى والمدح أيضا.

وذاك ما قصد إليه الشاعر إذ بث بعض همومه بداية كتمهيد لمن يقصده، بأنه متعب النفس محتاج لمن يسلي عنه همومه كما أنها طريقة بني البشر من أجل استدرار بعض العطف، أو على الأقل استجلاب سمع الصاغي إليه لتتبع بعض آلامه فيشاركه فيها، فإذا كان ذاك حمل عنه بعض الحمل، كيف لا وقضيته الجزائر برمتها؟

ثم أخذ الشاعر زدور إبراهيم القاسم المهاجي يمدح أحد أقاربه السيد "المختار" واصفا إياه بجميل الخصال وكريم الشيم وعظيم الخلل، وهي صفات رجل قائد، رجل له مكانة بين أفراد العائلة. حيث نلمس نوعا كبيرا من الصدق المنبعث من التواصل والتراحم بين الأقارب لما لهذه الصلة من قوة ربانية بالغة تؤثر في النفوس وتتأثر بها. فانطلق لسانه مدويا باسمها ليهدي بعضا مما في قلبه المكروب.

---

* بحر البسيط: البحر هو نظام موسيقي تبنى عليه كامل القصيدة. ويوجد ستة عشر بحرا، منها: البسيط، الخفيف، الطويل، الكامل،... وتفعيلات بحر البسيط هي : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن. ومفتاحه هو:
"بسيط لديه يبسط الأمل مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن"

هذا وقد جاء "الروي" حرف الميم الذي يتميز بعديد الصفات كالسلاسة واللطافة، أليس أول ما ينطق به الطفل قوله "ماما"؟ فهو حرف يشعر بالحنان والحنين. وجاء مناسبا لموضوع القصيدة، ولا يخفى علينا أن الشاعر قد قلد مضمون القصيدة لا شكلها فقط حيث إنه استعان بما يسمى بالمقدمة الطللية وذلك في ذكر الأطلال، حيث ذكر وتذكر منازل "سيق" وأهلها، وربعها. وإنما يعود ذلك لارتباط الإنسان بالمكان مهما بعد عنه وللفعل السحري الذي يعود للذكريات في خزائن عقل الإنسان فهي أهم موروث له، منه يستمد قوته للتغلغل في المستقبل. كما أن المكان والزمان الماضي يجعلان الإنسان مرتبطا بأصله وعقيدته ويذكرانه بها. فإن حدث وابتعد عنها عاودته هي لتذكره وإن كان ما يزال متذكرا إياها زادت من وجودها في حياته فيقوى وينمو أكثر ويكبر. وهذا ما فعل فعله في نفس "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، ومنها استمد روح الكفاح والنضال ضد المستعمر، إذ لا يستطيع الإنسان أن يستمر ضد العدوان والهمجية إن لم يكن له رديف وعون وركيزة، وهو ما تكشفه قصيدته المنبعثة من أنفاسه، من "أصله"، و"أهله" و"عقيدته". كما يبدو ارتباطه بالماضي والتراث في تأثره بالقدامى من الشعراء مقتبسا من قول أحد الشعراء قوله:

"ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل"[1] (البيت الخامس)

ونعلم أن الأمل والحلم كلاهما أخ وشقيق للآخر، لا يكادان ينفصلان، فحلمه وأمله أن يرى الجزائر حرة مستقلة، تزهو في ثياب الحرية.

كما يبدو حرص "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" على قومه جليا، فرغم ما عرف عنه من جرأة وشجاعة في إظهار أفكاره ومبادئه اتجاه المستعمر، إلا أنه لم يصرح ولو بكلمة علنية ظاهرة عن النضال أو الكفاح، أو ضرورة المقاومة، بل جاء كل ذلك مختفيا، رمز له ولم يوضحه، بل كنى* عنه كقوله "وحسنه خلقه ورفعة الهمم"، فهو يقصد همم المناضلين والثوار المقاومين. إلى جانب قوله "قبلة مكرمة يؤمها الناس"، هذا يوحي بقيادة هذا الممدوح ورئاسته المهمة، مهمة المقاومة. ثم قوله أيضا في البيت الأول: "يا ساكن القلب نار السكن في ضرم"، توحي هذه العبارة بمدى حنقه وكرهه وعدم زوال غيضه وغضبه على المستعمر.

---

[1] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، قصيدة بتاريخ 1949/09/25 بخط يده.

* الكناية أن تتكلم عن شيء تريد غيره، أي أنها لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.

هذا دون أن نغفل جانب البيان الذي عزز به قصيدته فأنزل بها منزلا بلاغيا جميلا وأنيقا ومتسقا، ويعود ذلك إلى أسلوبه التصويري التشخيصي البديع والجميل وإلى ملكة خيالية هوجاء تعتري فكره المنشغل بالقضية الوطنية. فكلاهما ثائر على الواقع، قضيته وخياله. وترى ذلك مثلا في التشبيه التمثيلي، حيث شبه النار الموجودة في قلبه الذي يملؤه الحزن والهم و الغم بالنار التي يطهى عليها طعام الضيفان ليلا فإنها تبدو من مكان بعيد منيرة ظلام الليل للاهتمام البالغ من المضيف لضيفه فيكثر له الطعام لتكثر النار وتظهر، وكذلك قلب "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" يضطرم نارا تتأجج لاهتمامه البالغ بقضيته ومكانتها منه.

والمجاز في قوله "سرى الوجد من أجيجها في دمي"[1] قاصدا بالوجد الحزن والألم، فمكانهما دماؤه الزكية الطاهرة طهر مشاعره النبيلة اتجاه القضية الوطنية الفذة. وليشخص معانيه أكثر، استعان بالاستعارة[*] في البيت الرابع، حيث شبه الدموع بالماء، جسده بالأرض وهي استعارة مكنية[**]، فهو يرى أن جسده وجسمه أرض، لما للأرض من أهمية في نفسه، حيث يدافع عنها ويحميها من المستعمرين المتطفلين.

هذا ما يتعلق بأسلوبه، أما أفكاره فإنها أفكار ثورية لا محال، إذ تتحدث عن جروح قلبه، ثم عزى نفسه بذكر الأهل ليختم بمدح "الشيخ المختار" صاحب الروح القومية العالية. فجاءت أفكاره عميقة، حيث حلل من خلالها آلامه، وكرهه للمستعمر. وفيما يخص مدحه للشيخ المختار فإننا نلمس إجلالا وتعظيما منه له، وشكرا واحتراما وعرفانا بالجميل، هذا يعود للنفس الطيبة التي يملكها "زدور إبراهيم القاسم المهاجي". فهو كما تعبر عنه لفظة "حويجتي" وهي تصغير لحاجة، لم يطلب إلا شيئا بسيطا، بسيطا للغاية، لباه له الرجل، ومع ذلك كفى في مدحه ووفى وتلك مكارم أخلاق الرجل، وهنا نورد قول "أبي الطيب المتنبي"[*] إذ يقول :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

---

[1] زدور إبراهيم القاسم المهاجي، قصيدته بتاريخ 1949/09/25.

[*] الاستعارة : من المجاز اللغوي، يقوم على تشبيه حذف أحد طرفيه.

[**] والاستعارة قسمان : تصريحية، وهي التي يحذف فيها المشبه ويصرح بالمشبه به. ومكنية وهي التي يحذف فيها المشبه به ويكنى عنه بذكر أحد لوازمه مثل : لولا الدموع التي أسقي بها جسدي، فشبه الدموع بالماء وجسده بالأرض.

[*] المتنبي : أبو الطيب المتنبي شاعر عباسي اسمه الكامل أحمد بن الحسين الكوفي الكندي، الملقب بالمتنبي، ولد سنة 303هـ، وقتل سنة 345هـ، تاركا وراءه ديوان شعر يضم جميع الأغراض الشعرية.

فجميل (معروف) بسيط جعله مملوكا له حيث كفاه التوقير والتقدير. ونعود مرة ثانية إلى ألفاظه التي توضح بجلاء أفكاره ومبادئه وملامحه النفسية الخاصة، فمثلا لفظة "يسعدني" فإن السعادة أمر يعاني الناس من أجل الوصول إليه، وكأن "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" قد وصل إلى السعادة في تحقيق هذا الشيخ له هذه "الحويجة". فيا لها من نفس كريمة طيبة خلوقة، نفس "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" الشاعر الأديب، لا المناضل الشهيد الذي جاد بروحه إلى خالقه.

قصيدة الشيخ الطيب المهاجي** :

هي قصيدة كتبها الشيخ الطيب المهاجي إلى ابنه "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" بعدما وصلته القصيدة السابقة الذكر*** والتي كان ابنه قد كتبها إلى السيد "المختار" يوم 25 ديسمبر 1949. أي عندما كان بمصر في سنته الدراسية الأولى بجامعة دار العلوم، حيث عانى "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" من ألم بعد الوطن والرفاق، وصعوبة العيش.

ويبدو جليا هاهنا أن العائلة شاعرة بالطبع، فالفتى قد ورث عن والده الشعر، ولكنه لم يرثه عنه كفن فقط، بل ورث عنه أيضا الخصال الحميدة والمكارم العلى، وهذا ما تبديه قصيدة والده. فأول شيء افتتح به الشيخ الطيب المهاجي قصيدته "الصبر" وخير ما أوتي العبد إذا أتاه ربه شيئا "الصبر" الذي ينبئ عن حكمة صاحبه، وذاك ما عبر عنه الوالد في البيت الثاني.

ومن القصيدة نستنتج شخصية الطيب المهاجي، الشيخ المعتصم بكتاب الله، والمؤمن بربه إيمانا قويا بألفاظ وعبارات واضحة عبرت عن ذلك مثل "خليقة، ملتجأ، ينقم، صبر جميل، يعقوب،...". كما أنها تبدي مشاعر الوالد الملونة بالحزن والأسى والأسف، كما آلت إليه حال ابنه المنبئة بالخطر الذي يحذق به، مما صعب عليه الحياة. فعيش الآباء لا يحلو إلا بأن يسعد أبناؤهم. وفي هذا الصدد ذكر الطيب المهاجي في القصيدة:

أتت قصيدتك العصماء تنبئني بما تقاسيه من ضيق ومن ألم

وقوله : أبيت ليلي بمضجعي يهاجمني أنكى الهموم التي تفضي إلى العدم

** قصيدة بعث بها إلى زدور إبراهيم القاسم المهاجي.

*** أغلب الظن أن القصيدة بتاريخ سنة 1950، لأنها مؤرخة بيوم السبت 21 جويلية دون ذكر السنة، علما أنه كتبها بعد إطلاعه على قصيدته التي بعثها للسيد مختار.

لكنه ومع ذلك نلمس نوعا من الفخر بابنه، إذ يصف قصيدته بالعصماء رغم ما عبرت عنه من ألم وضرر لحق بالابن، فهي مغردة توحي بمدى اعتزاز الأب بابنه كشاعر خاصة وكمناضل أيضا.

هذا وقد جاءت القصيدة في شكل حوار يخاطب فيه الأب ابنه أو ردّ منه إليه يعزيه ويدعوه فيه بالتسلح بالصبر والعزيمة، فهما الوحيدان اللذان بإمكانهما التفريج عن كربه، آملا أن يجمع شتاتهما بعد غياب طويل.

وقد أكثر الطيب المهاجي – رحمه الله – في قصيدته من استعمال الأفعال مثل: اصبر، يبديه، أتت، تنبئني، تقاسيه، تعانيه، ازداد، أبيت،... لدلالة الحركة والفعالية. فالوالد الشاعر منفعل بقصيدة ابنه، وبما تحمله من مشاعر حارة أثارت نبضات قلبه من أماكنه، وتلك هي عاطفة الأبوة.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه استعان ببعض الصور البيانية القليلة مثل الاستعارة المكنية في قوله "أتت قصيدتك تنبئني"، حيث شبه القصيدة بالإنسان يجلب الأخبار، وأثرها في المعاني توضيح مدى تعبير كلمات الابن عن مشاعره وتأثيرها في والديه. والاستعارة في قوله: "يهاجمني أنكى الهموم"، فقد شبه الهموم بمقاتل يهاجم، وأثرها توضيح شدة تراكم الهموم وسيطرتها. إلى جانب التشبيه في:

لذا أقول كما قد قال من أسف   يعقوب ذو الرتبة العظمى وذو العصم

موازنة بين القصيدتين :

يقول المثل العربي "هذا الشبل من ذاك الأسد"، صحيح أن الولد أخذ عن أبيه ملكة الشعر، لكن التلميذ فاق أستاذه، ويبدو ذلك شكلا ومضمونا.

فيما يتعلق بأوجه التشابه، فنرى استعمال كليهما للشكل الخارجي نفسه للقصيدة العربية القديمة في الوزن، القافية، الروي، برغم التجديد الذي لحق الشعر الحديث. وقد يعود ذلك منهما إلى تشبثهما بالتراث العربي الأصيل.

أما أوجه الاختلاف فتكمن في قوة التصوير والتشخيص التي بدت جليا عند الابن منه عند الأب، خاصة وأن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان قد حصل على تعليم من والده، ثم دعمه بشهادة الأهلية بتونس وتوجه بشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها. فهو مطلع على جميع

الشعر العربي القديم، ودارس للتشبيه والاستعارات ما يزيد ملكته الشعرية نضجا. هذا إضافة إلى المفردات والعبارات اللماعة التي تعبر عن معانيه أصدق وأجمل وأقوى تعبير مستوف بذلك كل مناحيه، وقد أوردت فيما سبق أسئلة عن ذلك. ضف إلى ذلك استعمال زدور إبراهيم القاسم المهاجي للرمز في قصيدته، بينما جاء أسلوب الوالد في التعبير صريحا. إلى جانب كون قصيدة الابن تتميز بالإكثار من استعمال البيان بصورة أكثر أناقة وتشخيصا للمعاني. إلى جانب ارتفاع عدد أبيات قصيدة الأول عن عدد أبيات الوالد. كما جاءت ألفاظ زدور إبراهيم القاسم المهاجي في قصيدته موحي ومؤدية لأغراضها الرمزية. أما عبارات الوالد فجاءت تستوفي مشاعر الأبوة بالدرجة الأولى، وفي المقابل الشيخ الطيب المهاجي عظيم التأثر بالثقافة العربي الإسلامية، وكثير الاقتباس منها.

هذا وقد حصلت من عائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي على بعض دفاتره، أحدهما خاص بمادة البلاغة والنقد الأدبي للسنة الدراسية 1952-1953 أي وهو في السنة الرابعة، آخر سنة للحصول على شهادة الليسانس. ويتطرق في بعض صفحاته للجاحظ، وأسلوبه ثم للكتاب الذي ألفه ابنه المعتز بعد عشرين عاما من وفاة الأول، وهو بعنوان البديع الذي كان يشمل حسب ما كتب زدور إبراهيم القاسم على صنوف بلاغية (الاستعارة، التطبيق)*. وكان الدفتر الثاني الذي حصلت عليه يحتوي على بحث تاريخي كان زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد أنجزه وهو بعنوان "قيمة فتح مصر". ومن خلال الإطلاع على بعض صفحات هذا البحث نجده قد اعتمد على المنهج التاريخي في دراسة الموضوع، بحيث كان عمله موثقا، معتمدا على مصادر هامة أوردها في قائمة المراجع ومنها :

- أسد الغابة في معرفة الصحابة لصاحبه ابن الأثير ج4.
- الإصابة في تمييز الصحابة لصاحبه ابن حجر ج5.
- تاريخ ابن خلدون ج2.
- العرب قبل الإسلام لصاحبه جرجي زيدان*.

إلى جانب مراجع أخرى باللغة العربية والفرنسية، ونستنتج من هذا سعة أو تنوع إطلاع زدور إبراهيم القاسم المهاجي سواء في الأدب أوفي التاريخ. هذا وقد كان بعد حصوله على

* أرشيف العائلة، بعض صفحات دفتر لزدور إبراهيم القاسم المهاجي.
* أرشيف العائلة.

شهادة الليسانس وعودته إلى القاهرة قد جلب معه عدة كتب نظمها في مكتبه الخاص، ورتبها كل فن على حدا، وعليه أرقامه الخاصة، وجهز هذا المكتب بأدوات الكتابة وآلة الطباعة واعتكف فيه على المطالعة والكتابة[1]. هذا وقد كان يقوم بتسفير الكتب التي يملكها[2].

[1] المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ...، ص 106.
[2] شهادة زدور محمد بمنزله، بتاريخ 2006/06/11.

زدور إبراهيم القاسم المهاجي وفن التصوير

إلى جانب اهتمامه بمجال الصحافة، وتتبع الأحداث وتحليلها، فقد كان لزدور إبراهيم القاسم المهاجي هواية التصوير، ولم تكن آلة التصوير تفارقه إلا نادرا، وكان يحملها معه أينما ذهب، وكلما شده حدث التقط له صورة. ورغم إمكانياته المادية المحدودة إلا أنه واصل ممارسة هذه الهواية[1]، وقد أرفق أحد مقالاته بصورة كانت لها أهمية بالغة[*]، وقد تمكنت بفضل تعاون زدور محمد شقيق زدور إبراهيم القاسم المهاجي من الحصول على عدد من الصور كانت قد التقطت له أو التقطها هو نفسه بآلته الخاصة. فكان يركز على أهمية الصور كوسيلة للتعبير وحفظ الذاكرة. ومن الصور ما التقطت له بتونس وهو طالب بجامع الزيتونة، رفقة عدد من رفاقه في الدراسة، ومنها ما كان قد التقط له وهو بكلية العلوم بالقاهرة مع زملائه، أهمها الصورة التي التقطت مع مولود قاسم نايت بلقاسم الذي كان أهم رفاقه بالدراسة بالقرب من ضريح سعد زغلول بالقاهرة، وهي التي نشرها مولود قاسم في المقال الذي كتبه في جريدة المساء بتاريخ 3 ديسمبر 2000، والتي كذب فيه إدعاء أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان شيوعيا، حيث أرفق بهذا المقال هذه الصورة. إلى جانب صورتين أخريين التقطتا في جامع الزيتونة، و كان مولود قاسم قد حصل عليهما من عائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي[2].

كما حصلت على صور أخرى من العائلة كانت قد التقطت لزدور إبراهيم القاسم المهاجي، منها صورة التقطت له بإيطاليا أثناء توجهه إلى مصر. أما الصور التي التقطها بنفسه فهي متعددة، حيث كان مولعا بالتصوير، و خاصة منها صورة التقطها للجنرال نجيب و عبد الرحمن عزام باشا، و هما شخصيتان مصريتان بارزتان على الساحة المصرية، وكانت تربطه بهما علاقة حسنة. كما حصلت على صورة تاريخية له رفقة مصالي الحاج وهو بنيور بفرنسا أثناء تحركاته بين مصر و الجزائر.

---

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2007/07/11.
[*] المقال بعنوان زيارة ظفر الله خان لمصر، المنار، العدد 18، 1952/03/14.
[2] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2007/07/11.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث، أرجو أن أكون قد وفقت قدر الإمكان في إيفاء الموضوع حقه، وإعطاء هذه الشخصية مكانتها. فكان لابد من إحياء ذكرى "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" الطالب، المناضل، الشهيد الذي ظل دوره مغمورا، مجهولا كباقي سير وأخبار العديد من رجال الثقافة والأدب والعلم والسياسة، ومعالم عصرهم غير معروفة.

في هذا الإطار حاولت التعريف بهذه الشخصية التي كرست حياتها للدفاع عن الوطن، وبعائلة "امهاجة" التي عرفت بـ"بيت العلم"، والتي ظلت تمد وهران خاصة والجزائر عامة برجال وأعلام أفادوا بعلمهم ودينهم، فمنهم "المهاجي الطيب" والد "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" و"المهاجي ميلود" وغيرهم من أعلام وهران.

لقد مثل "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" الشخصية السياسية المحنكة والمثقفة، والصحفي والشاعر، والطالب الهاوي. تميز بشخصيته الفذة وأفكاره النيرة، وغيرها من الصفات والميزات التي حاولت من خلال هذا العمل المتواضع إبرازها وتسليط الضوء عليها، بهدف رد الاعتبار له بصفته أحد الشخصيات التي ظلت طي النسيان، خاصة وأن معظم الكتابات حوله – وعلى قلتها – كانت تركز على وفاته والطريقة التي تمت بها دون الإحاطة بدوره السياسي والثقافي.

كان "زدور إبراهيم القاسم المهاجي"، وهو لا يزال طالبا بكلية "دار العلوم" بالقاهرة، محللا للأوضاع السائدة، واعيا لوضع وطنه الجزائر متشبعا بأفكار حزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وعلى رأسها فكرة "الاستقلال". فمقارنة، نجد أن كل من الحركة لوطنية التونسية والمصرية، واللتان عايشها "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" أثناء دراسته واحتك بقياداتهما، لم تطالبا في البداية بالاستقلال، رغم أن كل من تونس ومصر قد خضعتا لاستعمار أقل وطأة من الاستعمار الفرنسي بالجزائر، بل كانت الإشارة إليه ضمنا من خلال المطالبة بالدستور، والجلاء مثلا. وقد استقطب هذا الاتجاه الاستقلالي الثوري

اهتماما بالغا من الجزائريين وخاصة الشباب منهم، كما استدعى نشاط هذا الاتجاه اهتمام ومراقبة السلطات الفرنسية.

هذا وقد ساهمت هجرة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" للدراسة وطلب العلم نحو تونس أولا ثم مصر ثانيا في بلورة شخصيته السياسية بالدرجة الأولى ثم الثقافية. ففي تونس مثلا لم يقتصر نشاط الطلبة بجامع الزيتونة على تلقي الدروس، بل تعدى ذلك إلى تأسيس الجمعيات والانخراط في الأندية، وممارسة النشاطات الثقافية. وكان الهدف من ذلك تكوين الطلبة في مختلف المجالات الثقافية، السياسية والوطنية، وإعدادهم للقيام بدورهم النضالي لصالح وطنهم. وتجلى ذلك مثلا في "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين"، إلى جانب نشاطهم في إطار "اتحادية حزب الشعب الجزائري للطلبة". كما كان لـ"زدور إبراهيم القاسم المهاجي" وبعد هذه التجربة التي حصل عليها من تونس دور في النشاطات الطلابية والسياسية بمصر التي لعبت دورا هاما في دعم الحركات التحررية.

ورغم عدم تمكني من الحصول على معلومات أدق حول النشاط السياسي للشهيد إلا أن ما يمكن استنتاجه من هذا البحث، هو أن دوره تمثل بالدرجة الأولى في التنسيق بين القيادات الثورية بالقاهرة. هذا وكان لتنقلاته المستمرة بين الجزائر، القاهرة وفرنسا دلالة على طبيعة هذا النشاط والذي كانت سريته توحي بأهميته.

كان "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" مشبعا بالثقافة العربية الإسلامية، شديد الإيمان بفكرة الوحدة العربية والمغاربية، كما تميز برؤيته الثاقبة للأمور، وهو ما لمسته في مقالاته التي كانت تدعو إلى نشر الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي، وتنادي بأفكار الحرية والاستقلال والوطنية.

لقد مثل "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" بن "المهاجي الطيب"، سليل الأسرة العريقة، أحد كبار الشخصيات الوطنية السياسية، بفضل علمه الغزير، وتفقهه في الدين وبفضل تعلمه على يد والده، مثقفا وأديبا وذا إطلاع واسع، فلم يكتف بشهادة الأهلية التي حصل عليها من تونس، بل دفعه شغفه للعلم لمواصلة رحلته العلمية بالقاهرة، فكان بذلك من النخبة الشابة المثقفة، الواعية والتي كانت تشكل خطرا على وجهة النظر الفرنسية خاصة وأنه كان من بين الشباب الجزائري بمصر والذي حصل على تكوين عسكري إذ كان مؤيدا لفكرة الثورة والعمل

العسكري، الأمر الذي جعله تحت المراقبة الاستعمارية ليقع ضحية الاستعمار كما وقع لآخرين أمثال "أحمد زبانة" و"حمو بوتليليس".

وفي الأخير أذكر حادثة بسيطة ذكرها لي "زدور محمد"[1] مفادها أنه في صيف 1953 وأثناء زيارة "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" لعائلته التقى وهو بمطعم صديقه "بن أحمد محمد" المعروف بـ"الرائد موسى" والذي كان أحد أعضاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، بساحة "خنق النطاح" بوهران حاليا، بضابط إنجليزي كان ربانا لباخرة إنجليزية تعرف بحاملة الطائرات L'AIGLE والتي كانت قد رست بميناء وهران. فتحدث إليه "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" باللغة الإنجليزية التي كان يتقنها، وسرعان ما أعجب به الضابط وكسب ثقته، فقدم له دعوة لزيارة حاملة الطائرات. وفعلا قام "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" بالزيارة رفقة صديقه "الرائد موسى"، وعند ركوبهم الباخرة استقبلوا استقبالا رسميا وهناك استغل "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" الفرصة للتعريف بالقضية الجزائرية مما يدل على شدة تأثير "زدور إبراهيم القاسم المهاجي" وقوة شخصيته وحسن استغلاله المناسبات للتعريف بالقضية الجزائرية.

وباستشهاده فقدت الجزائر أحد أقوى مناضليها، ليكون من أوائل الطلبة شهداء الثورة، ولو كتب له العيش لكان من القيادات البارزة، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

[1] شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/10.

الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة زدور إبراهيم القاسم بكلية دار العلوم بالقاهرة 1950/10/15



الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة زدور إبراهيم القاسم بجامع الزيتونة بتونس 1949/04/24



الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة زدور إبراهيم القاسم بجامع الزيتونة رفقة مولود قاسم نايت بلقاسم قرب ضريح سعد زغلول بمصر





الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة زدور إبراهيم القاسم بالقاهرة 16 نوفمبر 1950



الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة التقطها زدور إبراهيم القاسم. الواقف الجينيرال نجيب، الجالس بالطربوش عبد الرحمن عزام باشا الكاتب العام للجامعة العربية.



الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة زدور إبراهيم القاسم إلى جانب مصالي الحاج التقطت لهما بـ"نيور Niort" بفرنسا 1952/07/27



الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة زدور إبراهيم القاسم بالبندقية (إيطاليا) في طريق توجهه إلى مصر أكتوبر 1952



الملحق رقم :
المصدر : أرشيف العائلة، صورة زدور إبراهيم القاسم بليبيا التقطت له وهو في طريق عودته إلى الجزائر مارس 1954

ببيليوغرافية البحث

أولا: **المصادر والمراجع باللغة العربية**

أ- **المصادر :**

1 - الأرشيف العائلي

2 - الشهادات

3 - الصحافة

ت - **الأطروحات الجامعية**

ب - **الدراسات والمراجع العامة**

ث - **أشغال الملتقيات الوطنية والدولية**

ج- **المجلات الجرائد**

ثانيا : **المصادر والمراجع باللغة الفرنسية**

أ- **المصادر :**

1 – مديرية الأرشيف بولاية وهران

2 – المصادر المطبوعة

3 - الشهادات

4 - الصحافة

ب - **الدراسات والمراجع العامة**

ت - **المجلات**

ث - **المواقع الإلكترونية**

بيبليوغرافية البحث

أولا : **المصادر والمراجع باللغة العربية**

أ- **المصادر** :

1- الأرشيف العائلي.

- قصيدة الشيخ المهاجي الطيب مودهة إلى الابن زدور إبراهيم القاسم المهاجي لمواساته.
- كتاب الشيخ المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر، الشركة الوطنية للطبع والأوراق، وهران.
- مخطوط "بلاغة الجاحظ" لزدور إبراهيم القاسم المهاجي.
- مخطوط حول "فتح مصر" لزدور إبراهيم القاسم المهاجي.
- وثائق شخصية (صور، كشوفات النقط، بطاقات تسجيل، شهادات: حصل عليها زدور إبراهيم القاسم المهاجي أثناء دراسته "الأهلية-الليسانس").

2- الشهادات :

- شهادة الدكتور الصم (منور) (أستاذ بمعهد التاريخ – هران).
- شهادة الدكتور بوذراع (فاروق) (مستشفى وهران الجامعي).
- شهادة الدكتور بوعزيز (يحي) (أستاذ بمعهد التاريخ – وهران).
- شهادة زدور (محمد) الشقيق الأكبر لزدور إبراهيم القاسم المهاجي.

3- الصحافة :

- المنار، العدد 01، 20 مارس 1951
- المنار، العدد 06، 04 جوان 1952
- المنار، العدد 07، 19 جويلية 1952
- المنار، العدد 11، 08 ديمسبر 1951
- المنار، العدد 15، 01 فبراير 1952
- المنار، العدد 17، 06 يناير 1953

- المنار، العدد 17، 29 فبراير 1952
- المنار، العدد 20، 27 مارس 1953
- المنار، العدد 42، 08 ماي 1953

ب- **الأطروحات الجامعية** :

- أبو الصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1978، الطبعة الأولى، 1981.
- بوقريوة (لمياء)، العلاقات الجزائرية التونسية 1954-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أول الدكتور بلقاسي بوعلام، إشراف ثاني مناصرية يوسف ، 2005-2006.
- القورصو (محمد)، تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران، 1931-1935، رسالة لنيل اشهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، إشراف الدكتور الصم منور، جوان 1977.
- مهديد (إبراهيم)، الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900-1940، الجذور الثقافية، الهوية الوطنية والنشاط السياسي، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جI، جII، إشراف الدكتور الصم منور، وهران 1999.
- مهديد (إبراهيم)، انتخابات الأهالي في وهران، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، إشراف الدكتور شنتوف الطيب، جوان 1979.

ت- **الدراسات والمراجع العامة** :

- إدريس (الرشيد)، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1981.
- أزغيدي (محمد لحسن)، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، (1956-1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.

- أمين (أحمد)، موسوعة أحمد أمين الإسلامية، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنة.
- أمين (سمير)، المغرب العربي الحديث، ترجمة كميل ق. داغر، دار الحداثة، الطبعة الأولى، 1980.
- ابن اشنهو (عبد اللطيف)، تكون التخلف في الجزائر، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر (1830-1962)، ترجمة نخبة من الأساتذة، راجعه عبد السلام شحاذة، دققه واشرف عليه الدكتور محمد يحي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979.
- بلحسن (مبروك)، مراسلات الثورة الجزائرية بين الجزائر والقاهرة (1954 - 1956)، ترجمة الصادق عماري، دار القصبة للنشر، الجزائر 2004.
- بن العقون (عبد الرحمن بن إبراهيم)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء I، (1920-1936)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- بن العقون (عبد الرحمن بن إبراهيم)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء II، (1936-1945)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- بن العقون (عبد الرحمن بن إبراهيم)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء III، (1947-1954)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
- بن سلامة (بشير)، النظرية التاريخية في الكفاح التحرري التونسي، الجزء الأول، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1977.
- بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، 1995.
- تركي (رابح)، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956)، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1395هـ/1975.
- تركي (رابح)، عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر أكتوبر 1974.
- الجابري (محمد الصالح)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس

(1900-1962)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار العربية للكتاب، 1983.
- حمادي (عبد الله)، الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962)، مشارب ثقافية وإيديولوجية، الطبعة II، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995.
- الخطيب (أحمد)، حزب الشعب الجزائري، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
- دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزء الثاني، المطبعة العربية، الجزائر 1971.
- الرافعي (عبد الرحمن)، مقدمات ثورة 23 جويلية 1952، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1964.
- رخيلة (عامر)، 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995.
- رفاعي (عبد العزيز)، الديمقراطية والأحزاب السياسية في مصر الحديثة والمعاصرة (1875-1952)، دار الشروق، الطبعة الأولى، أكتوبر 1977.
- الزبيري (محمد العربي)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- زوزو (عبد الحميد)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
- زوزو (عبد الحميد)، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1997.
- سعد الله (أبو القاسم)ن الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، الطبعة 4، 1992، بيروت.
- سعد الله (أبو القاسم)ن الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، (1900 - 1930)، الطبعة 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.
- سلوادي (حسن عبد الرحمن)، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.

- سيف الإسلام (الزبير)، تاريخ الصحافة في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، الجزائر 1984.
- سيف الإسلام (الزبير)، تاريخ الصحافة في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء السادس، الصحافة العربية في الجزائر بين الحربين (1920-1940)، مطبعة المنسرت عابدين، مصر 1977.
- الشابي (منصف)، صالح بن يوسف، حياة كفاح، دار الأقواس للنشر، الطبعة الأولى، 1990.
- الشريف (محمد الهادي)، تاريخ تونس، سراس للنشر، تونس 1985.
- صاري (الجيلالي)، قداش (محفوظ)، المقاومة السياسية (1900-1954)، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987.
- طيبة (مصطفى)، مذكرات كمال الدين رفعت، حرب التحرير الوطنية، بين إلغاء معاهدة 1936 وإلغاء اتفاقية 1954، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة 1968.
- العمامرة (سعد بن البشير)، هواري بومدين الرئيس القائد (1932-1978)، الطبعة الأولى، قصر الكتاب، البليدة 1997.
- العمر (فاروق)، محمد علي جناح سفير الوحدة وقائد الانفصال، مطابع صوت الخليج، الكويت 1977.
- عمر عبد العزيز (عمر)، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت 1980.
- العياشي (مختار)، البيئة الزيتونية (1910-1945)، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية، تعريب حماد الساحلي، دار التركي للنشر، تونس 1990.
- قدورة (زاهية)، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، 1985.
- الكيالي (عبد الوهاب)، موسوعة السياسة، الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مارس 1981.
- لاندو (روم)، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نيقولا زيادة، مراجعة

أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، نيويورك، 1963.
- مجذوب (طلال)، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، دار ابن رشد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1980.
- محمد عدنان (مراد)، بريطانيا والعرب، تاريخ الاستعمار البريطاني في الوطن العربي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، طلاسدار، الطبعة الأولى، 1989.
- المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، الجزء II، (1925-1954) في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.
- المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، الجزء III، مع ركب الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.
- ملاح (الهواري)، الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري، (1300-1389)هـ/(1881/1969)م، تصنيف وترتيب الأستاذ ملاح الهواري، مراجعة الدكتور بن نعمية عبد المجيد، مخبر مخطوطات الحضارة الغسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004.
- مناصرية (يوسف)، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.
- نجار (عمار)، مصالي الحاج، الزعيم المفترى عليه، دار الحكمة، الجزائر 2000.
- هلال عمار، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، لافوميك 1986.
- يحي (جلال)، العالم العربي الحديث منذ ح.ع.II، دار المعارف، 1966.

ث - **أشغال الملتقيات الوطنية والدولية** :

- الذكرى الـ 45 لاستشهاد الطالب زدور إبراهيم أبو القاسم (1954-1999)، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة المجاهدين، متحف المجاهد لولاية وهران، ماي 1999.
- الملتقى المغاربي الأول، المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر (1830 - 1962)، يومان دراسيان، الجزائر 28-29 ديسمبر 1992، قاعة المحاضرات،

النفق الجامعي، وزارة التربية الوطنية، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ "مولود قاسم نايت بلقاسم"، أيام 18/17 و19 صفر 1426هـ/ 28/27 و29 مارس 2005م، الجزء الأول، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى 2006.

ج - <u>المجلات والجرائد</u>:

- الجمهورية : 2002/06/19
- الجمهورية : 1992/08/20
- الجمهورية : 2002/10/21
- الرأي : 2001/08/30
- م.ت.م:ع 25-26، تونس، جوان 1982، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، جويلية 1982.
- م.ت.م، العدد 15-16، جويلية 1979، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، 31 جويلية 1979.
- مجلة الآداب، العدد 05 / 2000.
- المجلة التاريخية المغربية ع 7-8، تونس، يناير 1977، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل.
- مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 29، مارس 1982.
- مجلة المقاومة الجزائرية، العدد 5، الطبعة 3، 1957.
- مجلة دفاتر التاريخ المغربية، مختبر تاريخ الجزائر، إفريقيا الغربية وغرب البحر الأبيض المتوسط، معهد علم الاجتماع، جامعة وهران، العدد 01، سبتمبر 1987، [مقال للدكتور مهديد إبراهيم: أهمية سنة 1935 في القطاع الوهراني.
- مجلة عصور، العدد II، 2002.
- مجلة عصور، العدد II، ديسمبر 2002.

- المساء : 1990/02/03
- منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات، العدد 16، تونس 1986.

ح- **المواقع الإلكترونية** :

أرشيف الجزيرة نت.

ثانيا : **المصادر والمراجع باللغة الفرنسية**

A - **Sources** المصادر

1- Direction des archives de la Wilaya d'Oran مديرية الأرشيف لولاية وهران

(DAWO)

La série « I » : Affaires Musulmans

- I11 Boite N° 4477

- Action en Oranie : comités régionaux ou locaux : l'activité indigène dans le département d'Oran.
- Dissolution des délégations financières (28/09/1943).

- I11 Boite n° 4480

- Etat d'esprit des indigènes en Oranie (1937-1939).

- I11 Boite n° 6987

- Surveillance des indigènes à Oran : La situation politique à Oran (02/08/1943)
- Surveillance des indigènes à Oran (29/12/1939).
- Renseignement - l'état d'esprit à Oran (04/12/1942).
  -l'état d'esprit des musulmans à Oran (21/06/1943).

2- Sources Imprimées المصادر المطبوعة

- Conseil –le- général du département d'Oran (1959-1930).
- Délégation – les – Financières (1900-1940).
- Délibérations –les- du conseil municipal de La ville d'Oran (1919-1939).

3- <u>Témoignages</u> الشهادات

- Aït Ahmed (Hocine), Mémoires d'un combattant, l'esprit d'indépendance, 1942-1952, Ed Bouchene, Paris 1983.
- Zemmouchi (Kheïra), Bendellal (Hadj Ghaouti), Fatmi (Hadj Abderrahmane), Zaanane (Yamina), La Medersa El Falah, Son Histoire, sa création, ses activitées, El Falah, Oran, 15 Avril 1985.

4- La presse الصحافة

- El Moudjahid 16/02/1991.
- Journal d'Alger, 30 novembre 1954.
- L'Echo d'Alger, 19 Février 1955.
- L'Echo d'Alger, 30 novembre 1955.
- L'Express, 10/11/1955.
- Le Quotidien d'Oran 01/11/2000.
- Oran Républicain, n° 3168, 30/01/1946.

B- **<u>ETUDES ET OUVRAGES</u>** الدراسات والمراجع العامة

- Ained Tabet (Redouane), 8 Mai 1945 en Algérie, OPU, Alger, 1987.
- Branche (Raphaëlle), La torture et l'armée pendant la guerre d'Algérie, (1954-1962), Ed Gallimard, 2001.
- El Korso (Mohamed), Politique et religion en Algérie, l'Islah : ses structures et ses Hommes, Le cas de L' « Association des Oulamas Musulmans Algériens »en Oranie, Tome I, l'Islah et

ses structures.

- Eveno (Patrick), Planchais (Jean), La guerre d'Algérie, Ed Laphomic, Alger 1990.
- Houcine (Nouara), Les intellectuels Algériens, Mythe, mouvance et anamorphose, des années de braise aux années de feu, Préface de Mahfoud Kaddache, Dahlab-Enag, Alger 2005.
- Kaddache (Mahfoud), histoire du nationalisme Algérien, Question nationale et politique Algérienne (1919-1951), Tome I, II, SNED, Alger 1980.
- Kiouane (Abderrahmane), Moments du mouvement national, 1956, Textes et positions, Ed Dahlab, 1999.
- Mahsas (Ahmed), Le mouvement révolutionnaire en Algérie, de la 1er guerre Mondial à 1954.
- Nedjadi (Boualem), Les Tortionnaires de 1830 à 1962, Ed ANEP, 2001.
- Pervilé (Guy), Les étudiants Algériens dans l'université Francaise, 1880-1962, Préface de Med Harbi, Casbah Editions, Alger 1997.
- Stora (Benjamin), Dictionnaire Biographique de militants nationalistes Algériens, (1926-1954), Préface de Harbi Med, Ed l'Harmattan, Paris 1985.

C- **REVUES** المجلات

- « Allal El Fassi : héraut de l'indépendance Marocaine », in Les Africains, Julien Charles André et Magali Morsy, Tome 12, Ed Jeune Afrique, Paris.

E- **SITES INTERNET** : المواقع الإلكترونية

- http://www.1nov54.com/press.ptp
- http://www.algeria-watch.org/fr/aw/aw.htm
- http://www.humanite.fr/journal/2001/-10-06/2001-10-06-1407

الفهارس

فهرس الأعلام

ت

ث

ج

ح

ط

ظ

غ

ف

ق

ك

ب- فهرس الأماكن

س

ش

ط

ظ

ك

ل

فهرس الجمعيات والأحزاب والنوادي

- الحزب الوطني 182
- حزب الوفد 90-92-167-170-
- حزب نجم شمال إفريقيا 4-6-14-16-17-42-52-84-121
- الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين 119-121-122-123-132-135-
- نادي الإصلاحية 28
- نادي الطلبة الشرقيين 98

فهرس المحتويات